

تبيين الحقائق

عن المحررين

تأليف

أبي عبد الكريم وأبي عبد الرحمن
محمد سلطان المعصومي الخجندی المكي

المدرس بالمسجد الحرام

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

ooboeikandi.com

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا
وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

[قرآن کریم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أوجدنا من العدم ، وجعلنا أهلاً لفهم خطابه وكلامه ، فنحن
المخاطبون بخطابه خطاباً عمومياً وخصوصياً ؛ فالعمومى شامل لكل بنى آدم من
عرب وعجم مادام عاقلاً بالغاً ، ولا يخرج منه إلا الصبيان والمجانين . وأما الخصوصى
فمختص بالمؤمنين الذين تشرفوا بشرف الإيمان ، وصاروا من أمة محمد رسول الله سيد
الإنس والجان ، صلى الله عليه وسلم ، وخارج منه غير المؤمنين من جميع أصناف
الكفار ، من أهل الكتاب والجوس والمشركين والدهريين الأشرار .

أما بعد ؛ فهذا أنا عبد الله الفقير إليه جل وعلا أبو عبد الكريم وأبو عبد الرحمن
محمد سلطان المصطفى الخجندى ثم المسكى : إني حينما كنت فى الطائف متصيفاً
عام ١٣٦٥ هـ كنت أتلو كتاب الله القرآن متدبراً معانيه ، إذ تبين لى قصور بنى آدم
بسبب جهلهم بمعانى كلام ربهم فلهذا ضلوا وأضلوا كثيراً ، ولا شك أن سبب
الضلال عدم فهم كلام رب العالمين الذى أنزله الله تعالى لهداية جميع العالمين والحال
أنهم مخاطبون ومكلفون بفهمه وتدبره والعمل والاعتناء به .

فها أنا أذكر هنا أولاً الخطابات الإلهية العمومية الموجهة إلى عموم البشر وكافة
بنى آدم عرباً أو عجماً ، فهم كلهم مكلفون بفهم هذا الخطاب وامتثال هذا الأمر ؛
والرب العالم الحكيم ، ناداهم أمراً بإيهم بالتقوى والتوحيد ، وأن لا يعبدوا إلا إياه ؛
فيجب على كل إنسان عاقل بالغ تعلم القرآن وفهم معناه والعمل بمقتضاه ، ولا يعذر
أحدٌ فى ترك ذلك سواء كان عربياً أو عجمياً أو فارسياً أو تركياً أو رومياً أو هندياً

أو جاويياً أو حبشياً أو صينيئاً أو جابانيئاً أو أمريكيئاً ، لأنه يلزم حينئذ إهمال خطاب الله رب العالمين وأمره ، أو نسبة الجهل إلى الله الرب الحكيم حيث خاطب ونادى أو أمر من لا يستأهل الخطاب ولا يفهم ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ؛ وعلى هذا أوجب الشارع طلب العلم على كل مكلف كما هو مقرر في عامة الكتب الإسلامية الدينية ؛ وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فتعلم القرآن وفهم معناه واجب على كل إنسان خصوصاً المسلمون ، فإنهم هم المخاطبون بخطابات خاصة لهم كما أيها الذين آمنوا ، فتدبر .

وما شاع وذاع فيما بين متأخري أدياء العلم من المسلمين من أن فهم القرآن والعمل به مختص بأهل الاجتهاد ، وهم قد انقضوا منذ عهد بعيد فمن أبطل الباطل وأفسد الفاسد ، إنما دس هذه العقيدة الفاسدة أعداء الإسلام لإبعاد المسلمين عن معرفة كلام ربهم ، فصاروا بذلك محرومين من فهم كلام ربهم العليم الحكيم ، وقد صرفوا كل أعمارهم في دراسة الفلسفة وحكمة الهند واليونان ومباحث الإشرافيين والمشائين وأفكار ابن سينا والفارابي ودراسة ديوان المتنبي وابن الفارض ، وأهل بخارى بديوان ميرزا عبد القادر « البيدل » الذي يقول بأن أصل الإنسان القرد ، ورباعيات الخيل الزنديق ، أو بالصرف والنحو والبيان ، ولكن لم يصلوا إلى المقصد الأصلي من فهم كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل بهما ، فبذلك ضيعوا أعمارهم ، وأفسدوا أعمالهم وأبطلوا عقائدهم ، فصاروا من المحرومين من السعادتين : سعادة الإيمان الصحيح في الدين ، وسعادة الدنيا من الخلافة الإسلامية فيما بين العالمين وإن ادّعوا واعتزوا بأنهم مسلمون وعلماء وسادات ومشايخ بل أقطاب وأوتاد وأبدال ونجباء ، كما هو غير خفي على أولى الأبواب .

والمحظوظون إنما كانوا المسلمين الأولين من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين اقتنوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنالوا رضا الله حتى رضى الله عنهم ورضوا عنه ، فنالوا خلافة الله في الأرض ورفعوا علم الإسلام في شرق الأرض وغربها

مع مانالوا من الأجر والنعمة ، فهم المحظوظون من الإيمان والإسلام بالحظ الأوفر .
وأما المتأخرون الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، وصاروا مذاهب وفرقا واكتفوا بآراء
الرجال واعتمدوا عليها واتخذوها أندادا من دون الله ، فبذلك صاروا محرومين من فهم
أوامر ربهم وتباعدوا عن الحق بُعد المشرقين ، وقد صاروا محرومين من خلافة الأرض
كما صاروا محرومين من فهم كلام ربهم ودراسته بل صاروا أكثرهم محروماً من الإيمان
الصحيح وتوحيد الله رب العالمين ربوبية وإلهية وأسماء وصفات ، وبدلوا ذلك
بالشرك والإلحاد وعبادة الأرواح والقبور والأجداد ، فتنبه وتدبر هداك الله عز وجل .
وإني أذكر هنا أولاً الخطابات والأوامر الإلهية القرآنية الموجهة إلى عامة بني
البشر ، ليظهر لطالب الحق الصواب من الخطأ والحق من الباطل ، فيرجعوا إلى
أصل دينهم فينالوا رضا ربهم في الدارين ، ولقبت مانويت جمعه :

تمييز المحظوظين عن المحرومين

فأسأل الله تعالى الكريم الوهاب أن يوفقني للعمل به ، ويجعله خالصاً لوجهه
الكريم ، وأن ينفع به العباد في عامة البلاد ، فهو حسبي ونعم الوكيل .
الآية الأولى في سورة البقرة : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا
وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

اعلم أن الله تعالى رب العالمين نادى وخاطب عامة الناس عربهم وعجمهم كلهم
وأمرهم أن يعبدوا ربهم الذي خلقهم وخلق جميع من قبلهم من الأنبياء والأولياء ،
فخالق الكل واحد لا شريك له ، وكل الناس من أولهم إلى آخرهم صالحهم وطالحهم
مؤمنهم وكافرهم مخلوقون مربوبون ، ومحتاجون إلى الله خالقهم ورازقهم في حياتهم
وموتهم أبداً ؛ فإن كان هكذا فلا معبود إلا الله ، كما أنه لا خالق إلا الله ، ولا رازق

إلا الله ، ولا متصرف في الكون حقيقة إلا الله عز وجل وحده . فلا تجعلوا الله أنداداً ولا تظنوا ، فضلاً عن أن تعتقدوا أن الملائكة تربيكم أو تضرركم أو تنفصمكم ، أو أن الأنبياء أو الأولياء أو أرواحهم يربونكم أو ينفعونكم أو يضررونكم أو يشفعون لكم يوم القيامة بنفسهم بدون إذن الله وأمره ، فإن كان الأمر هكذا فلا تحبوا إلا الله ، ولا ترجو إلا الله ، ولا تخافوا إلا الله ، ولا تدعوا إلا الله ، ولا تطلبوا إلا من الله ، ولا تنذروا إلا الله ؛ لأن الله ربكم الذي خلقكم بأمره حتى لا يموت أبداً ، وهو أقرب إليكم من حبل الوريد ؛ يجب الدعوات ، ويقضى الحاجات ، ويرزق من يشاء بغير حساب .

فالناس كلهم مخاطبون بهذه الآية وما شابهها . فأمرهم الله تعالى جميعاً بأن يعبدوه وحده ويؤمنوا بأنه الإله الحق ، والمعبود الحق وحده ؛ فمن لم يعبد الله وحده ولم يؤمن بأنه المعبود الحق وحده فهو كافر بالله العظيم يستحق عذاب جهنم وبئس المصير ؛ فحيث خاطبهم الله تعالى وناداهم مسمياً إياهم ناساً ؛ فكل البشر ناس سواء كان عرباً أو عجماء ، فارسياً تركياً هندياً رومياً صينياً حبشياً روسياً جابانياً أمريكياً ، يجب على كل واحد منهم أن يعرف هذا الخطاب لأنهم أهل لمعرفة ذلك ، ولو لم يكونوا أهلاً لما خاطبهم الله تعالى أصلاً ، فمن لم يعرف هذا الخطاب فقد ضيع أهليته ، أخرج عن دائرة الإنسانية وأدخل نفسه في حظيرة الحيوانية ، وليس بداخل في تلك الحظيرة أصلاً ، فمثل هذا يتمي يوم القيامة أن يكون تراباً كالحوانات وليس بصائر .

والإنسان له أهلية للتعليم والتعلم ، فلماذا جعله الله تعالى أهلاً للخلافة في الأرض ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض ؛ فلماذا ترى سلمان الفارسي وبلالا الحبشي وصهيبا الرومي وأمثالهم من الأعجم رضوا الله عنهم قد نالوا الدرجة العليا بالإيمان بالله ورسوله ، ومعرفة الحقيقة بمعرفة كلام ربهم وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج النيسابوري ، وأبو عبد الرحمن النسائي ، وأبو داود السجستاني ، وأبو عيسى الترمذي ، والإمام أبو حنيفة النعمان وغيرهم كلهم من الأعجم رحمهم الله تعالى ورضى عنهم ، تعلموا العربية واشتغلوا

بعلوم القرآن والحديث فبلغوا الذروة العليا من الكمال ، فالإنسان من حيث إنه إنسان أهل لذلك بلا ريب .

ولكنه هو الذي ضيع أهليته ، وصرفها في السفساف والترهات؛ ألا ترى الذين اشتغلوا طول عمرهم بدراسة كتب الصرف والنحو والبيان وفلسفة الهند واليونان ، أو بدواوين الشعراء والألغاز والمعميات ، ودققوا تدقيقاً وألفوا وأبدعوا إبداعاً ولكن خرجوا عن الحق خروجاً فضلوا وأضلوا كثيراً لماذا؟ لأنهم لم يصرفوا تلك الأهلية لمعرفة كلام الله وكلام رسوله حق المعرفة ، بل تفلسفوا وتأولوا وتجاوزوا . فحرفوا تحريفاً وبدلوا تبديلاً وغيروا تغييراً مسمين إياه تأويلاً ، والله العظيم إنهم لو استعملوا تلك الأهلية في معرفة خطابات ربهم لعرفوا الله تعالى حق المعرفة فعبده وحده لا شريك له ، ولعرفوا حقائق الأشياء كما هي ، وسخروا العالم حسب سنة الله تعالى في خلقه كما لا يخفى فليس للإنسان إلا ماسى .

فهذا هو دين العدالة ودين المساواة ودين الحرية ، كما أنه دين التوحيد ، لأن كل إنسان يعامل بنى جنسه بالعدل ويعده كمنفسه لأنه إنسان مثله ؛ فيجب له ما يجب لنفسه ، ولا يظلمه ولا يخذله ولا يخدعه « وكونوا عباد الله إخواناً » يكون شعاره ، ويعتقد كل واحد منهم أنه عبد لله وحده مهما بلغ من الكمال . فالملائكة عبيد لله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والأنبياء والرسل عبيد لله يبلغون إلى الناس أوامر ربهم ، وكذا الأولياء والصديقون عبيد لله يعملون بأمر ربهم ما استطاعوا ، فالكل في عبودية الله تعالى سواء وإنما الفرق في تقوى الله وامتنال الأمر ، فهم عباد مطيعون لربهم . وأما الكفار والفجار فعصاة مخالفون لأمر ربهم ، فحيث إنهم في العبودية سواء فلا يعبد أحد أحداً ، ولا يعتقد أحد في أحد سواء كان حياً أو ميتاً أنه يحميه أو يميته أو يرزقه أو يهديه أو يُدخله الجنة أو ينجيه من النار أو يُعطيه الولد أو نحو ذلك ، فهذا هو المساواة مساواة المخلوق مع المخلوق في العبودية لله تعالى . وهذا هو الحرية يكون الإنسان حراً في عقيدته ، وحرراً في إنسانيته وأعماله ،

ولا يكون مقيداً وعبداً في عقيدته وأعماله لعبد مثله ؛ بل إنما يكون عبداً لله الذي خلقه ، فلا يعبد إلا إياه ولا يخضع إلا له ، ولإطاعة المخلوق في معصية الخالق ولهذا قال الله تعالى « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » من الملائكة والسكرانيين والأنبياء والجن ، فلا تعبدوهم لأنهم مخلوقون مثلكم « لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » عن الإشراك بربكم وتجتنبون عبادة مخلوق مثلكم ، فإذا اتقيتم عن ذلك وقاكم الله تعالى عن الشرك والكفر ، ووقاكم عذاب النار يوم القرار ونجاكم من الذلة تحت سيطرة الأشرار .

فيا أيها الناس لا تجعلوا لله أندادا يحبونهم كحب الله ، أو تعتقدون أنهم ينفعونكم أو يضرونكم ، فتندرون لهم ولمشاهدهم وصرافهم وتستغيثون بهم والحال أنكم أتم بأنفسكم تعلمون يقينا أنهم مخلوقون مثلكم ، لا يقدرون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ، وهم ولو كانوا قد بلغوا أعلا الدرجات قد ماتوا وتحولوا من الحياة الدنيا إلى عالم البرزخ ، ومنه سيحولون إلى عالم الآخرة دار الجزاء ، ففريق في الجنة وفريق في السعير .

فانظر يا أيها الإنسان إلى هذه الخطابات الربانية ، قد ناداك وخاطبك فأمرك ونهاك وأرشدك إلى ما فيه خلاصك وسعادتك في دنياك ودينك ، وأعطى لك العقل وجعلك مخاطباً ومكلفاً به ، وميزك عن سائر الحيوانات بهذا العقل والخطاب والتكليف ، فإذا لم تصنع إلى كلام ربك ولم تفهم خطاب مولاك ، فأنت أجهل الجاهلين ، وأخسر الخاسرين ، ولا ينفك ماتمعت ودرست من فلسفتك وأشمارك والغازك ومعياتك ، ولا سلطنتك وأموالك .

والله العظيم لو تعلمت كل يوم كلمة من كلام ربك لكان ماتمعلمه في الشهر ثلاثين كلمة وفي السنة ثلاثمائة وستين كلمة ، فإذا علمت مثلاً معنى فاتحة الكتاب وفهمته فهما صحيحا كنت مؤمناً موحداً خالصاً ، وتخلصت من داء الشرك والضلال ، وصرت من الفالحين .

وهل يظن أحد أن خطاب : يا أيها الناس اعبدوا ربكم خاص بالعرب ، أو أنه

خاص بالمتجهدين والعلماء ، ولا يظن هذا إلا مجنون ، أو جهلة المنتسبين إلى العلم من الأحناف ومن شاكلهم ، فالخطاب عام شامل لكل البشر ؛ كما أن وجوب الإيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكذا عبادته تعالى عام شامل لكل البشر ، فمن آمن بالله ورسوله ؛ وعلم خطابه فقد فاز فوزاً عظيماً ، وأما من جهل ذلك فقد خسر خسرانا مبيناً .

فآية « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » مسوقة لإثبات التوحيد ، وتحقيق نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللذين هما أصل الإيمان ، والنداء عام لكل البشر ، يشمل المؤمنين والكافرين والمنافقين ، والمشاركة والمغاربة ، فاعبدوا ربكم : يقول للكفار والمشركين وحدوا ربكم ، ويقول للمعاصين أطيعوا ربكم ويقول للمنافقين أخلصوا بالتوحيد معرفة ربكم ، ويقول للمطيعين المؤمنين اثبتوا على الإيمان وطاعة ربكم ، واللفظ محتمل لهذه الوجوه كلها ، وهو من جوامع الكلم ؛ فالأولون والآخرون مخاطبون بالأمس بالتقوى ؛ فحيث إن الناس كلهم مخاطبون يجب عليهم وجوباً عينياً فهم هذا الخطاب ، فمن لم يطلب فهم الخطاب فقد أخرج نفسه عن صفته الإنسانية وصار كالحيوان في صورة إنسان ، فهو لاء هم الخاسرون .

وتأمل أيها الإنسان سورة العصر فإنها تكفيك في كل شئونك ، وترشدك إلى نجاتك وسعادتك ، وتبين لك حالك أنك من الفالحين أو من الخاسرين ، فعليك بهذا الميزان الإلهي فزن به في كل آن نفسك ؛ وعليك بالفهم والتفهم ، والله يتولى هداك .

الآية الثانية في سورة البقرة (يا أيها الناس كُفُوا مَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَأَنْ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » .

لا شك أن هذا الخطاب الإلهي ونداءه عام شامل لسكافة البشر شرقاً وغرباً ،

ولا يختص به طائفة دون طائفة ، فضلا عن العرب خاصة ، كما يزعم بعض الناس ؛ فكل الناس خلق الله الأرض كلها شرقها وغربها وسهلها وجبالها ؛ فكل بني البشر مخاطبون به سواء كانوا عربا أو عجماء ، لأنهم يأكلون مما في الأرض من الأرزاق فأمرهم أن يأكلوا من الحلال الطيب ، ولا شك أن كل ماخرج من الأرض من الأرزاق فهو حلال طيب ؛ وإنما الإنسان الجاهل يخبثه وينجسه كاتخاذ العنب أو الحب خمرًا أو غصبه أموال الناس وأرزاقهم ؛ ولهذا نهى الله تعالى عن اتباع خطوات الشيطان وأمرهم أن يجتنبوها ؛ لأن الشيطان يريد هلاك الإنسان وإهلاكهم لأنه عليه لعنة عدوِّ ميين ابني آدم أجمعين .

ومن شأن الشيطان وخصائصه أنه يأمركم أيها الناس بالسوء والفحشاء ؛ أى ما يثول وينتج عاقبته السوء ؛ وأنه يأمركم أيها الناس أن تتقوا على الله ما لا تعلمون بأن تحلوا شيئًا أو تحرموا شيئًا أو توجبوا شيئًا بلا استناد إلى دليل شرعى من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثل أن تقولوا إن الإشارة بالسيابة فى تشهد الصلاة حرام كأكثر جهلة الأحناف ؛ أو إن فى عمل الموالد ثوابا أو أن قراءة دلائل الخيرات فيها ثواب كذا وكذا ، أو أن بناء القبب على قبور الأولياء خير وثواب ، أو أن التقليد بمذهب معين من المذاهب الأربعة لازم أو نحو ذلك ، فكل هذا تقول على الله بلا علم ولا دليل .

فإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، واركبوا ما أنتم عليه من أمور الجاهلية ، وتقليد من مضى من الناس فى عبادة الأوثان ، واتخاذ الأنداد ، والاعتماد على الأرواح أو الاستمداد منها ، والتوجه إلى القبور ، والنذر إليها وتقبيلها وإسراج السرج عليها ؛ وتقليد غير المعصومين فى الدين ، والتعصب للمذاهب والطرق - أجابوا قائلين : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا وما ألفيناهم عليه ، لأنهم أعلم منا ومنكم ، فقل لهم أو لو كان آباؤكم لا يعقلون شيئًا من كتاب الله ولا يعلمون شيئًا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ولا يهتدون إليه ، لأن التقليد أعمى بصرهم وبصيرتهم والشياطين من الإنس والجن قد تصرفوا فيهم تصرفًا كليًا فيوحى بعضهم

إلى بعض زخرف القول غرورا ، بأن يقول إن الولي الفلاني فعل كذا ، وإن القطب الفلاني استرد أرواح صريديه من يد قابض الأرواح عزرائيل عليه السلام ، وإن فلانا العالم اعترض على العارف الفلاني فصار كذا . فهؤلاء الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه وخطه يُطنطنون بكلماته ؛ فالعوام يصدقون هؤلاء الشياطين فيقلدونهم في كل ما قالوا من الباطل .

فيأيتها الإنسان من حيث إنك إنسان قد خاطبك ربك العظيم الحكيم بياأيتها الناس ، فمليكَ أن تفهم خطاب ربك الموجه إليك ، لأنك أهل لذلك ، فعليك بتعلم اللغة العربية الفصحى والاعتناء بالفهم والتفهم حتى تصير إنساناً كاملاً ، وتنال السعادة دينا ودنيا وأخرى ، فتعيش حراً سعيداً ، وتخلص من الأغلال والسلاسل ، أغلال الدجالين والأبليس ، وسلاسل المستعمرين والمستعبدين .

ويجب على سلاطين أهل الإسلام وأمراءهم ورؤسائهم وعلمائهم وأغنيائهم الاعتناء التام الكلي بتعليم علم القرآن ولغته ، وجعل التعليم فيه إجبارياً حتى يعرف المسامون أوامرهم وخطاباته الموجهة إليهم ؛ ألا ترى أن الحكومات المتقدمة ذات الشأن اليوم كيف تجتهد لجعل لغتها وخطها عمومياً فيما بين رعاياها بل في العالم كله ، وتصرف لذلك ملايين الملايين كل عام ، فتحصل مقاصدها الدنيوية السياسية ، وتفسد عقائد المسامين إفساداً ، فالويل كل الويل لرؤساء المسامين وعلمائهم من هذه الغفلة ، ومن هذا الكسل والجهالة ، أليس كلنا راعيا وكلنا مسئول عن رعيته ؟ .

الآية الثالثة في أول سورة النساء (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) خطاب عام ليس خاصاً بقوم دون قوم ، ولفظ الناس اسم لجنس البشر . وقد اتفق الأصوليون من المفسرين على أن الخطاب عام لجميع المكلفين ؛ وهذا هو الأصح ، ولا وجه لتخصيص بعض المفسرين بأهل مكة ، والأصل أن أل في الناس للاستغراق وأن جميع الناس مخلوقون

بخلق الله ومأمورون بالتقوى . والتقوى هي الإيمان بالله عز وجل ، وأن تقى وتحفظ نفسك من الله ؛ أى من غضبه وسخطه وعقوبته ، ولا يتيسر بل ولا يمكن هذا إلا بعد معرفته ومعرفة ما يرضيه وما يسخطه ، ولا يعرف هذا إلا من فهم كتاب الله تعالى فهما صحيحا ، وعرف سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم معرفة صحيحة ، وعلم سيرة سلف الأمة الصالح مطالباً نفسه بالاهتداء بذلك كله ، فمن صبر وصابر ورابط لأجل حماية الحق وأهله ، ونشر دعوته ، واتقى ربه في سائر شئونه فقد أعد نفسه بذلك للفلاح والغور بالسعادة عند الله تعالى .

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
فيجب على كل فرد فرد من أفراد الناس أن يتقوا ربهم ويؤمنوا به ويمثلوا أمره
ويعرفوا كلامه ، وهذا لا يختص بشخص دون شخص ؛ فالله تعالى يسألهم كلهم عن
الإيمان به وبكتابه ومعرفته ، وأنه تعالى رقيب بصير عليم خبير ، فيجازى كل أحد على
نيته وعقيدته وعمله ، فإذا كان الأمر هكذا فعليكم أيها الناس بتقوى الله ، ولا
تعذرون بترك تعلم القرآن وفهم معناه كما لا تعذرون بترك الإيمان بالله ورسوله ، لأنكم
المكلفون المخاطبون بذلك .

تعلم فليس المره يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
الآية الرابعة في أواخر سورة النساء أيضا (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . إِنَّ يَشَاءُ يَذْهَبِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ ، وَكَانَ اللَّهُ
عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا) أى أيها الناس إذا علمتم أن لله تعالى جميع ما فى السموات وما
فى الأرض من الموجودات والخلوقات فهو جل جلاله يتصرف فيها كيف يشاء ، فاعلموا
أنه تعالى إن يشأ يذهبكم بعذاب ينزله عليكم كما أنزل على قوم نوح وهود وصالح
ولوط عليهم السلام ، أو أمة قوية يسلطها عليكم فتسلب استقلالكم حتى تجعلكم
عبيداً أو كالعبيد لها ، لا تستطيعون أن تقوموا بإقامة شعائر دينكم ، ولا بمصالحكم
ويأت بآخرين يحلون محلكم فى الوجود أو الحكم والتصرف ، كما سلب بختنصر

على بنى إسرائيل، وكما أن البخاريين والخلوارزميين ممن يدعون الإسلام لما غيروا أوامر ربهم عقيدة وعملوا على الله تعالى عليهم الروس والبلاشنة واللادينية فقتلتهم وأهلكتهم وفرقتهم أى تفريق ، وكذا أهل الهند والأندلس سلط الله تعالى عليهم الإنكليز والفرنسيس والأسبان ، وكذا الألمان والظلماني لما طغت و بغت سلط الله تعالى عليها البلاشنة والإنكليز والأمريكان؛ وهكذا سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، فالخطاب بياأيتها الناس عام لا يختص بأمة دون أمة ، ويؤيد ما حررناه ، قوله تعالى : «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ (الآية)» وقوله تعالى « وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » ، وقوله تعالى « وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ » ، وقوله صلى الله عليه وسلم رواية عن ربه جل جلاله « إِذْ أَعْصَانِي مَن يُعْرِفُنِي سَلَّطْتُ عَلَيْهِ مَن لَّا يَعْرِفُنِي » .

فياأيتها الناس اتقوا الله حق تقواه ، ولا تغفروا بما أنتم عليه من زخارف الدنيا ، فإن ربكم لبالمرصاد ، فافهموا كلام ربكم وخطاب مولاكم واعملوا بموجبه في كل الأمور دنيوية ودينية وأخروية ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة ، وكم من الناس في طرفي الإفراط والتفريط ، وإنما السعادة في التوسط والاقتصاد فتنبه .

الآية الخامسة في سورة النساء أيضاً (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ ، وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)

قد نادى الله تعالى بهذه الآية جميع الناس عموماً : عربهم وعجمهم ، شرفهم وغيرهم في سياق خطاب أهل الكتاب ؛ وذكر الرسول هنا معرفاً ، لأن أهل الكتاب قد بشروا به ، وكانوا ينتظرون بعثته ، واختيار لفظ الرب هنا للإشعار بأن هذا الحق الذي جاء به يقصد به تربية المؤمنين وتكميل فطرتهم وتزكية نفوسهم ، فلماذا قال « فآمنوا خيراً لكم » أى إذا كان الأمر كذلك فآمنوا ؛ فإن تؤمنوا يكن الإيمان لكم خيراً ، لأنه يزكيكم ويظهركم من الأدناس الحسية والمعنوية ، ويؤهلكم

للسعادة الأبدية « وإن تكفروا فإن الله ما في السموات والأرض » فهو تعالى غنى عن إيمانكم وطاعتكم فيجازيكم على كفركم وسوء عملكم ، لأن له تعالى ما في السموات وما في الأرض خلقاً وعبيداً ، وكل يبده طوعاً أو كرهاً . أما عبادة الكره وعدم الاختيار فبالخضوع للسنن والأقدار ، وهي عامة في جميع الخلق . وأما عبادة الاختيار فخاصة بالمؤمنين الأخيار والملائكة الأبرار وأمثالهم من جنود الله ، اللهم اجعلنا منهم .

وإن ممن اهتدى بهذا الهدى وتنور بهذا النور الإلهي رجلا من أهل الغرب من النوع المنتسب إلى النصرانية ، فهذا الرجل طالع ترجمة القرآن باللغة الإنكليزية فنور الله تعالى بصره وبصيرته فتعلم اللغة العربية ؛ ففهم بعض معاني القرآن ، وتيقن أن الإسلام هو الدين الحق الذي يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة ؛ فاعتنق الإسلام وهاجر من بلاده قاصداً الإقامة في ديار الإسلام فأقام في الحرمين ، ولكن لما رأى المنتسبين إلى الإسلام هنا وأخلاقهم ومعاملاتهم المخالفة لدين الإسلام وتعاليمه تعجب وتحير ، فقد ذكر لي قائلاً : الحمد لله إني قد أسأمتُ قبل ملاقاته هؤلاء المسلمين وهذا من فضل الله عليّ ولو كنت رأيتهم أولاً قبل ذلك لنفرت عنهم وعن الإسلام ، ولكني لما فهمت خطاب الله بياؤها الناس ، وأنى من جملة الناس وجب عليّ أن أتقى الله الذي خلقني ورباني ، وأومن به وبرسوله وكتابه ، وتيقنت أن كل من اتقى الله ربه سعد في الدارين ، ومن كفر وجحد فإن عذاب الله شديد ، ولا يعذر أحد بالجهل مادام عاقلاً الخ .

فأنظر إلى هذا الرجل الأوروبي كيف تعلم العلم وكيف اهتدى ، فهكذا كل فرد من أفراد البشر له أهلية للتعلم وفهم كلام ربه ، فهذا قد خاطبهم الله تعالى بخطاب عام وأمرهم بالإيمان والتقوى وبالاقتداء بالرسول الذي أرسله الله تعالى بالحق ؛ وهذا الرسول مبعوث إلى كافة البشر وعامة الورى رحمة للعالمين إنسهم وجنهم ، فيجب على كافة بني البشر الإيمان به ومعرفة كلامه ، ولا يعذر أحد بالجهل كما أسألت ، فاعتبروا يا أولى الأبصار والأبصار ، وهذا الرجل المهتدى إلى الإسلام قد صاحبنى منذ عام

١٣٥٥ هـ وحضر دروسى وكثيراً ما راجعنى فى تفهيم معانى بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وقد حسن إسلامه . فأسأل الله تعالى أن يُثبتنى وإياه وسائر المسلمين على الإيمان ، وأن يديم لنا التوفيق وأن يرزقنا حسن الخاتمة آمين .

الآية السادسة فيها أيضاً (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا) .

قد خاطب الله تعالى بهذا الخطاب العام ، عامة البشر وكافة بنى آدم ، وأخبر أنه قد جاء إليكم برهان من جانب ربكم العليم الحكيم ، وهذا البرهان والحجة هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد جاءكم رسول الله يرشدكم إلى الحق ويهديكم إلى صراط مستقيم ، وهو رحمة مهداة لكم من ربكم اللطيف الحكيم ، وأنزلنا إليكم أيها الناس القرآن نوراً مبيناً تنمورون به ، فتجتنبون ظلمات الشرك وتلويثات الأوثان والأنداد فتعرفون ربكم الواحد الصمد فلا تعبدون إلا إياه وحده ، فإن آمنتم بالله وصدقتم بوحدانيته وكلامه ورسوله واعتصمتم بالله عاملين بكلامه وأوامره فسيدخلكم فى رحمة منه وفضل ، وينيلكم سعادة الدارين ، فبعد إيمانكم وظهور صلاحكم وأهليتكم للهداية يوفقكم ويوصلكم إلى رضاه ورضوانه صراطاً مستقيماً .

وإنما أرسل الله تعالى هذا الرسول العربى الأسمى لرحمتكم أيها الناس وتريبتكم وتزكية نفوسكم ، فهو صلى الله عليه وسلم برهان عظيم وجلّى يبين لكم حقيقة الإيمان الصحيح بالله عز وجل ، وجميع ما تحتاجون إليه من أمر دينكم ودنياكم ، فهو صلى الله عليه وسلم بسيرته العملية برهان وحجة ؛ كما أنه صلى الله عليه وسلم برهان فى دعوته العملية الشرعية ؛ وأنزلنا إليكم أيها الناس بما أوحينا إليه كتاباً من لدنا هو كالنور بين فى نفسه ومبين لكل ما أنزل لبيانه ، فيه تنجلي لكم الحقائق بحيث لا يشكبه فيها من تدبره وعقل معانيه .

مثال ذلك توحيد الله فى ألوهيته ور بويته ؛ وهو أثبت الحقائق وأعلى ما يصل

إليه البشر من المعارف ، وأفضل ما تنزكي به النفوس ، وتترقى به العقول ، وقد بعث به جميع رسل الله إلى جميع الأمم ، فكان كل منهم يدعو أمته إليه ، ولكن من الأمم من لا يفقه معنى التوحيد فيلبسونه بالشرك في الألوهية كاتخاذ المسيح إلهاً ، بل اتخاذ من دونه من مقدسيهم آلهة أو أنصاف آلهة يزعمون أنهم وسطاء بينهم وبين الله في كل ما ينفعهم ويضرهم في معاشهم ومعادهم ، وبالشرك في الربوبية باتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فيشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله ويحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم ، فأرسل الله تعالى هذا البرهان محمداً صلى الله عليه وسلم لبيان هذه الحقيقة ، لأن من أشرك من أهل الكتاب وأمثالهم من الأمم القديمة كالهنود والكلدانيين والمصريين واليونان والصينيين كانوا يقولون: إن الإله واحد ، وبعضهم كان يصرح بمثل كلمة التوحيد عندنا أو بها نفسها ، ولكنهم كانوا مع ذلك مشركين يزعمون أن بعض البشر أو الحيوان أو الجماد ينفع أو يضر بصفة خارقة للعادة فيتوجهون إلى تلك الأشياء المعتقددة توجه العبادة ، وبعضهم كانوا يزعمون أن ما جاءت به رسالهم من أحكام الدين غير كافٍ في بيان الدين ؛ فيضع رؤسائهم أحكام الحلال والحرام سواء وافق ما جاء به الرسول أم لا ، فبهذا تغلغت الوثنية في جميع الأديان ، وأفسدتها على أهلها ، فقلد بعضهم بعضاً فيما ورثوه منها .

فأنزل الله تعالى لهداية البشر هذا النور المبين « القرآن » فكان أشد إبانةً لدقائق مسائل التوحيد وخفاياها من نور الكهرباء المتألق في هذا العصر ، فبين لمن يفهم لغته حقيقة التوحيد بالدلائل والبراهين الكونية العقلية ؛ وضرب الأمثال المادية والمعنوية ؛ وضروب القصص والمواعظ والهداية إلى النظر والتجارب ، وكشف عاران على هذه العقيدة من شبهات المضلين ، وأوهام الضالين التي مزجتها بالشرك عزجا ، وجمع بين الضدين بل النقيضين جمعا ، وتمكن في نفوس الناس فقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم التوحيد ، واجتث جذور الوثنية بالبراهين القطعية .

فالذين يعتصمون بهذا القرآن يدخلهم الله تعالى في رحمته خاصة به لا يدخل

فيها سواهم ، وفضل خاص لا يفضل به على غيرهم ، فياخسارة المعرضين وياطوبى للمعتصمين ، وقد صدق وعد الله للصادقين ففاز من اعتصم به من الأولين ، وخاب وخسر من أعرض من الآخرين ، فمسي أن يعتبر بذلك المنتمون إلى هذا الدين في هذا العصر .

وعن هذا قال بعض العارفين :

العلم قال الله قال رسوله وما سوى ذلك وسواس الشياطين
كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

أهل الحديث هم أهل الرسول وإن لم يصحبوا شخصه أنفاسه صحبوا

الآية السابعة في سورة الأعراف (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكُرُونَ)
قد نادى الله تعالى وخاطب بنى آدم في هذه الآية وأمثالها عربهم وعجمهم ذكروهم وأنشاهم ، فامتن عليهم بعد أن أنبأهم بما كان من عرى سلفهم الأول ؛ بما أنعم به عليهم من اللباس على اختلاف درجاته وأنواعه من الأدنى الذى يستر السوءة عن أعين الناس إلى أنواع الحلل التى تشبه ريش الطير فى وقاية البدن من الحر والبرد بستر جميع البدن ، وما فى ذلك من أنواع الزينة والجمال اللاتقة بجميع ذكران البشر وإناهم . فهو جل جلاله يقول : يا بنى آدم إنا بما لنا من القدرة والنعمة والرحمة قد خلقنا لأجلكم ومنافعكم مادة اللباس من القطن والصوف والحريز وغيرها ، وعلمناكم بما خلقنا فيكم من الفرائز والقوى والأعضاء وسائل صنع اللباس منها كالزراعة والغزل والنسيج والخياطة ، وإن منن الله تعالى بهذه الصناعات على أهل هذا العصر أضعاف مننه على المتقدمين من شعوب بنى آدم . فيجب أن يكون شكرهم له تعالى أعظم ، فيا أيها الإنسان أنت المخاطب بهذا الخطاب الربانى أفلا تجتهد وتسعى فى فهم خطاب ربك ، أفلا تحافظ على وحدانيته بهسذه النعم والآيات ، ألا تتقى الشرك والإشراك والكفر والإلحاد ؛ ولباس التقوى هو الخير الذاتى . يعنى فزين نفسك بتقوى

الله وزكها بتوحيد الله وهذا هو الخير الأبدى فيجب عليكم أن تلاحظوا هذه النعم الإلهية
لملككم تقدرون وحدانية ربكم وقدرته القاهرة فلا تمبدوا إلا إياه ، ولا تخضعوا
إلا له جل جلاله . وهذه الآية ترشدنا إلى الصناعات والاكتساب ، والزراعة ، والحياكة ،
وأنواع الصناعة ، كما أنها تنبهنا إلى الستر والتستر وأن كشف العورة سوء وعار وشنار ،
وهذا عام في جميع بني البشر من جنس الأبيض والأحمر ، والأسود ، والأصفر .
(فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ) .

الآية الثامنة فيها أيضاً (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ
مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرََاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ
حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ إِنَّآ جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) .

هذا النداء عام أيضاً لجميع بني آدم عزبهم وعجمهم ، قد خاطبهم الله تعالى في مقام
الوعظ والتذكير ناهياً إياهم أن لا يفتنوا ولا يغتروا بوسوس الشيطان كما وسوس لأبي
البشر آدم عليه السلام بإظهار النصح له والمحبة حتى أخرج الأبوين من الجنة ، فمن قبل
وسوسة الشيطان ابتلى بالعصيان فيكون من أهل الخسران والخذلان ، فنعوذ بالله من
الشيطان ونزغاته ووسوسه ، وهذا من الطب الإلهي في هداية الناس إلى تهذيب
أخلاقهم وإصلاح أعمالهم ظاهراً وباطناً من الشرك وكل ما يفسد الدين .

ومن المصائب على البشر أن أكثر المؤمنين بطب الدين الروحي في هذه القرون
الأخيرة لا يقفون فيها عند حدود ما أنزل الله على رسوله وما فهمه منه رواته من
السلف الصالح ، بل زادوا ، وما زالوا يزيدون فيه من الخرافات والبدع والضلالات
فيُنْفَرُونَ من الدين العقلاء القاصرين ، والشياطين إنما يتصرفون ويوسوسون من
يقبل قولهم من المشركين وأهل الضلال لأن سنة الله التي قد جرت في التناسب بين
أنواع المخلوقات المتجانسة والمتشابهة أن يكون الشياطين الذين هم شرار الجن أولياء
لشرار الإنس وهم الكفار والمشركون وعباد القبور والأرواح (إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيَاطِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ) فأولياء الشيطان هم أصحاب الوسوس

والأوهام وانحرافات والظفيان من أهل الطواغيت والدجل والنفاق فنعوذ بالله من شر الشيطان وشر أوليائه من الإنس والجان .

فيا بن آدم إذا لم تفهم هذا الخطاب الإلهي ولم تعرف هذا الأمر الرباني فأنت خارج عن حيز الأدمية فتكون أسيراً بيد الشيطان فهو يلهب بك كيف يشاء ، وقد أخبر الله تعالى أن الشيطان وقبيله يرون بني آدم في هذه الحياة الدنيا فيوسوسون لهم ، ويضلونهم ، وأما ابن آدم فلا يرى الشيطان على حقيقته وصورته ، وإن رآه على غير صورته ، كالحية والشيخ المتصوف ونحوهم ؛ وعلى أي حال فإن الشياطين إنما يؤثرون على من أطاعوهم من المشركين وعبدة القبور والأرواح ، لا المؤمنين الموحدين المخلصين . اللهم اجعلنا من عبادك المؤمنين الموحدين المخلصين ، وعدنا ياربنا من وساوس الشياطين ودسائسهم سواء شياطين الجن والإنس أجمعين .

الآية التاسعة فيها أيضاً (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) .

هذا النداء والخطاب الإلهي عام شامل لجميع بني آدم رجالاً ونساءً ، ويدل على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى جميع البشر فستر العورة لازم على جميع بني آدم رجالاً ونساءً ، وهذا أصل من أصول الإسلام لحفظ كرامة البشر ورفيهم على سائر الحيوانات ؛ والدين الإسلامي إنما شرعه الله تعالى لإصلاح البشر ديناً ودنياً فهو طب الخالق الحكيم العليم الخبير ؛ ولذا قال (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) بل الزموا الاعتدال والاقتصاد (إِنَّهُ) تعالى (لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) أي إن ربكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم لمنفعتكم لا يحب المسرفين في أمرهم كله ، بل يعاقبهم على الإسراف ، فهذه الآية يرشد الله تعالى عباده عامة إلى الاقتصاد في المعيشة وتديير المنزل على اجتناب ما حظه الشرع من الإسراف والتبذير والبخل والتقتير ، فتدبر أيها الأدمى كلام ربك الحكيم وتفهمه إن كنت من بني آدم ، وقد سمي الله الحكيم اللباس زينة وهو في الحقيقة كذلك فإن الإنسان إذا تعرّى عن اللباس يكون أقبح منظرًا وأشنع مظهرًا من الكلب والخنزير كما هو غير خفي على أهل العقل والدين ، وكذلك الأكل والشرب

لأجل حفظ الحياة والقوة والصحة ، وهذا إنما يعتدل بالاعتدال والتوسط ؛ وأما إذا أكل فوق الشبع أو شرب فوق الرىّ فتنفسد معدته وتتغير صحته فيبتلى بأمراض مهلكة كما لا يخفى وكذلك الإفراط والتفريط في اللباس والبناء والأساس والجماع فكلها مضر ومهلك ، والخير كل الخير في التوسط والاقتصاد فتنبه .

حكاية تناسب المقام ، وهي ما ذكرها العلامة إبراهيم الأزرقي في كتابه « تسهيل المنافع » روى أنه اجتمع عند كسرى « أنوشروان » أربعة من الحكماء : عراقى ورومى وهندى وسودانى ، فقال كسرى لهم : ليصف لي كل واحد منكم الدواء الذى لاداء معه . فقال العراقى : الدواء الذى لاداء معه أن تشرب كل يوم على الريق ثلاث جرعات من الماء الساخن . وقال الرومى : الدواء الذى لاداء معه أن تسف كل يوم قليلاً من حب الرشاد . وقال الهندى : الدواء الذى لاداء معه أن تأكل كل يوم ثلاث حبات من الهليلج الأسود ، والسودانى ساكت وكان أحذقهم وأصغرهم سنّاً ؛ فقال له الملك ألا تتكلم ؟ فقال يامولانا إن الماء الساخن يُذيب شحم الكلى ويرخى المعدة ، وحب الرشاد يهيج الصفراء ، والهليلج الأسود يهيج السوداء ، فقال فما الذى تقول أنت ؟ فقال يامولانا الدواء الذى لاداء معه أن لاتأكل إلا بعد الجوع فإذا أكلت فارفع يدك قبل الشبع فإنك لاتشكو علة إلا علة الموت فقالوا كلهم صدق ؛ والاحتفاء في وقت الصحة خير من شرب الأدوية عند المرض . قلتُ وتصديقه في قوله تعالى : (كَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) .

الآية العاشرة فيها أيضاً (يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

هذا النداء والخطاب الإلهى عام أيضاً لكافة بنى آدم منذ بعث الله تعالى إليهم الرسل عليهم الصلوات والتسليمات ، وهذا يؤذن بأن الله تعالى قد خاطب كل أمة على لسان رسولها وبين لهم أصول دينهم ، فمن اتقى ما نهى الله تعالى عنه ، وأصلح نفسه بما أوجب الله تعالى عليه فلا خوف عليهم مما يترتب على التكذيب والعصيان من عذاب الدنيا والآخرة ولا هم يحزنون عند الجزاء يوم القيامة فيا آدمى إن كنت من بنى آدم فاجتهد

في فهم خطاب ربك لأنك أهل لذلك ولا تضع أهلك من الخاسرين
المالكين ، وهذه الآية كقوله تعالى (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) فتدبر .

الآية الحادية عشرة في الأعراف أيضاً (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) .

هذا خطاب عام لجميع البشر من العرب والعجم وجهه إليهم محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب بن هاشم العربي الأمي بأمر الله تعالى ينسبهم به أنه رسول الله تعالى إليهم
كافة ، لا إلى قومه العرب خاصة ، فهو كقوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا) اللهُ (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ)
فله التصرف والتدبير في العالم كله وهو رب العالمين لا شريك له فلا إله إلا هو ولا
معبود إلا هو كما أنه لا خالق إلا هو ولا رب إلا هو « فأمنوا » يا أيها الناس من أي
أمم كنتم عربا أو عجم شرقا أو غربا (بالله) الواحد في ربوبيته وألوهيته وآمنوا برسوله
الممتاز بأنه الأمي الذي بعثه في الأميين « العرب » رسولا إلى الخلق أجمعين يعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم ويظهرهم من خرافات الشرك ، والردائل والجهل
والتفرق والتعادي بعصبيات الأجناس واللغات والأوطان ليكونوا بهديته أمة واحدة
يتحقق بها الإخاء العام في البشر ، فيا أيها الناس اتبعوا هذا النبي لعلمكم تهتدون إلى
ما فيه سعادتم في الدارين ؛ وما يدخل في اتباعه صلى الله عليه وسلم تعلم لغته التي هي
لغة الكتاب الإلهي الذي أوحاه الله تعالى إليه وأمر جميع من اتبعه ودان بدينه أن
يتعبده به وأن يتأوه في الصلوات وغير الصلوات مع التدبر والتأمل في معانيه وذلك
موقوف على اتقان لغته وهي العربية الفصيحة فيجب على المسلمين أن يبلغوا
الدعوة إلى كل قوم بلغتهم حتى إذا ما هدى الله تعالى من شاء منهم ودخل في الإسلام
علموه أحكامه ولغته كذلك كان يفعل الخلفاء الفاتحون في خير القرون وما بعدها إلى

أن تغلّبت الأعاجم على العرب وسلبوهم الملك كأبي مسلم الخراساني فإنه منع عن تعلم العربية وعزّر من يتكلم بها أو يعلمها ، والحال أن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وأوجب عليهم أن يتعلموا لسانه بقدر ما يُطيقونه ولا شك أن لكل فرد من أفراد بني آدم أهلية تعلم العربية وتعلم معناها ولهذا أمر الله تعالى رسوله أن يخاطبهم ويأمرهم وينهاهم فيتمهوه ويمثلوا أمره .

وجملة القول أن إقامة دين الإسلام متوقفة على فهم لغة كتابه المنزل من رب

العالمين ، وستة نبيه المرسل رحمة للعالمين .

والعقل يفهم من هذه الآيات المحكّمة أن القرآن هداية دينية عربية وأنه حكومة دينية مدنية عربية عربية اللسان عامة لجميع شعوب نوع الإنسان ، وقد قضى الله تعالى أن يوحد به ألسنة جميع الأمم فيجعلهم أمة واحدة بالعقائد والعبادات والآداب والشرع واللغة ليكونوا بنعمته إخواناً ، وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبه إلى قيصر الروم وكسرى الفرس ومقوقس مصر بلغة الإسلام العربية ، وكذا الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون رضی الله عنهم صدعوا بهذا الأمر ونشروا هذا الدين بلفظه .

فالآية الجليلة تصرّح بأنه يجب على كل فرد من أفراد الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل قد أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى جميع الثقّلين الإنس والجن ، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته ، وأن يحلّوا ما حلّل الله ورسوله ويحرّموا ما حرّم الله ورسوله ، وأن يوجبوا ما أوجب الله ورسوله ، فمن لم يؤمن به فهو كافر ، وهذا أصل متفق عليه بين المسلمين أجمعين .

واعلم أن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم إنما علقا الأحكام بالصفات المؤثرة فيما يحبه الله تعالى وفيما يبغضه ، ولم يخص العرب بنوع من أحكام الشرع إذ كانت رسالته ودعوته لجميع البرية عامة ، وإنما نزل الله تعالى القرآن بلسانهم وهذا لأجل التبليغ لأنه بلغ قومه أولاً ثم بواسطتهم بلغ سائر الأمم وأمره الله تعالى بتبليغ قومه أولاً ، ثم بتبليغ الأقرب فالأقرب إليه ، كما أمر بجهاد الأقرب فالأقرب ،

كما ذكره الإمام أحمد بن تيمية في رسالته « إيضاح الأدلة في عموم الرسالة » .
الآية الثانية عشرة في سورة يونس (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ
مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)
قد خاطب الله تعالى الناس كلهم عربهم وعجمهم أحمرهم وأسودهم وأبيضهم أن ضرر بغيكم
وظلمكم وشرككم وكفركم راجع على أنفسكم فستحقون غضب الله ولعنته وعذابه
يوم القيامة ، وإنما تتمتعون عدة أيام في الحياة الدنيا الفانية كالحيوان والوحوش ثم بعد
الموت ترجعون إلى الله فيُنصركم بأعمالكم الظاهرة والباطنة فيُجازيكم عليها إن خيرا
فخير ، وإن شرا فشر ، فالناس كل فرد فرد منهم مخاطبون ومكلفون مادام عاقلا بالغاً ؛
فتدبر أيها الإنسان حتى لا تصير من أهل الخسران ، يا أيها الظالم الباغى إنما تبغى
في هذه الحياة الفانية عدة أيام رائلة ثم تذوق عذابه وعقابه أبدأ الأبدن ودهر الدهرين
بلا انقطاع في دار الجزاء . فالآية قد دلت على أن البغى يُجازى أصحابه عليه في الدنيا
والآخرة ؛ أما في الآخرة فلا شك فيه البتة ، لأنها دار الجزاء بلا مراء ؛ وأما في الدنيا
فمشاهد معلوم لأنه تعالى يقول (إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ) .

ويؤيده ويُفسره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا مِنْ ذَنْبٍ يُعَجِّلُ اللَّهُ
تَعَالَىٰ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ النَّبْئِ وَقَطِيعَةِ
الرَّحِمِ » رواه البخارى في الأدب المفرد والترمذى وابن ماجه . وعن أنس رضى الله
عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثَلَاثٌ هُنَّ رَوَّاجِعٌ عَلَىٰ أَهْلِيهَا : الْمَكْرُ
وَالنَّكَتُ وَالْبَغْيُ ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ - وَلَا يَجِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئَ إِلَّا بِأَهْلِهِ - وَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا
يَنسَكُ عَلَىٰ نَفْسِهِ » رواه أبو الشيخ وابن مردويه ، والمراد نكت اليهود مع الله تعالى
وكذا مع الناس ، وقد جرت أن البغى من أقوى أسباب العداوة والبغضاء بين الأفراد
وإيقاد نيران الفتن والثورات في الأقسام ، والباغى لا يعيش ولا يدوم وينتل عرشه
عاجلاً ؛ وأما بغى أهل أوربا على أهل آسيا وظلمها لهم فنسبب ظلم وبغى أهل آسيا
على أنفسهم فإنهم غيروا أمر الله وأشركوا بعبادة الله واعتمدوا على غير الله من

الأموات والأرواح وتلوّثوا بفساد الأخلاق والتقاطع والتخاذل ، وترك كل ماهدى الله تعالى إليه في كتابه من أسباب السيادة والاستخلاف في الأرض كما نبهنا عليه مرارا ، ومن يستخدمونهم من ملوكنا وأمرائنا وحكامنا هم أشدّ علينا منهم أنفسهم بل لم يسودونا ولم يفلحونا في قطر من أقطارنا إلا بمساعدة ساداتنا وكبرائنا إياهم علينا ، ولو تبنا نحن إلى الله لتاب الله علينا ، ولكن أين تو بقنا وقد وجد في زماننا من هم أشدّ شركا وكفرا بالنعيم والمنعم الواحد الأحد جل جلاله ، وهم قوم يدعون غير الله من الأموات في أشد أوقات الضيق والشدة والخطر ويدعون مع ذلك أنهم مسلمون ويصلون ويحجون بل يدعون أنهم العلماء والعرفاء والسادات الكاملون لأنهم ينطقون بكلمة التوحيد الموروثة بألسنتهم وهم لا يعقلون معناها ، ولا يراعون حدودها وحقوقها والله تعالى يقول (فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) والعبد الضعيف قد كنت ألفت رسالة في هذه المسألة وسميتها :

[حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد] .

وهي مطبوعة في مصر ومنشورة ، وكذا تفسيري على سورة فاتحة الكتاب [أوضح البرهان في تفسير أم القرآن] وهذا مطبوع في مكة في مطبعة أم القرى وكذا رسالتنا المسماة [مفتاح الجنة لا إله إلا الله] وكذا [البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع] المطبوعتان في مصر ، ففي كلها تحقيق هذه المسائل حق التحقيق فعليك بمطالعتها أيها الطالب للحق وبالله التوفيق .

الآية الثالثة عشرة فيها أيضا (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)

وهذا النداء والخطاب عام شامل أيضا لعامة الناس كلهم ، وهذا الذي جاء من الله تعالى إنما هو القرآن وهو موعظة وتذكرة من ربكم الرحيم وشفاء لما في الصدور والقلوب من أمراض الشكوك والشبه والكفر والشرك والنفاق والعقائد الفاسدة الزائفة ويحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى ، ولكنه إنما ينتفع به المؤمنون المصدقون العاملون ، وفي حقهم يكون شفاء وهدى ورحمة ، فأمنوا بالله ورسوله وهذا

الكتاب واهتدوا بهديه ، وهذا لاشك خير وأفضل من أموال الدنيا وزخارفها الفانية كلها ، ولكن أكثر الناس لمالم يؤمنوا بهذا الكتاب ولم يهتدوا بهديه ابتلوا وتلوثوا بالشرك وعبادة الأوثان والدجل والخرافات ، فاستحقوا النار وبئس المصير .

واعلم أن هذا الكتاب جامع لكل ما يحتاج إليه البشر من موعظة حسنة لإصلاح أخلاقكم وأعمالكم الظاهرة والباطنة ، وحكمة بالغة لإصلاح خفايا أنفسكم وشفاء أمراضها الباطنة ، وهداية واضحة للصرط المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ورحمة خاصة للمؤمنين هي شجنة من رحمة رب العالمين العامة للخلق أجمعين يتراحون بها فيما بينهم فتكمل بها رحمته تعالى لهم ورحمته تعالى للعالمين برسوله إليهم .

نكر الله تعالى هذه الكلمات الأربع : موعظة ، شفاء ، هدى ، رحمة ، لتعظيم أمرهن وكاملهن فيجب الانعاط بها إيماناً وتسليماً لأنها من مالك أمر الناس ومربيهم بفضلهم ورحمته وعلمه وحكمته . الأولى : الموعظة أى الوصية بالحق والخير ، واجتناب الباطل والشر بأساليب الترغيب والترهيب التى يرق لها القلب فتبعث على الفعل أو الترك . الثانية : شفاء ما فى الصدور أى شفاء جميع ما فى القلوب من أدواء الشرك والكفر والنفاق والجهل وسائر الأمراض النفسية التى يضيق الصدر بها من شك فى الإيمان ومخالفة للوجدان وإضرار للحقد والحسد والبغى والعدوان وحب للباطل والظلم والشر ورفض للخير والحق والعدل . الثالثة : الهدى ، وهو بيان الحق المنتد من الضلال فى الاعتقاد بالبرهان وفى العمل ببيان الحكم والمصالح فى إحكام الأعمال . الرابعة الرحمة المؤمنين وهى ما تشره لهم هداية القرآن وتقيضه على قلوبهم من رحمة بهم الخاصة ، فمن آثارها إغاثة الملهوف وبذل المعروف وكف الظلم ومنع التعدى والبغى وغير ذلك من أعمال الخير والبر ومقاومة الشر ، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بقوله : (رُحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ) وهذه الرحمة لا توجد على كلها إلا فى المؤمنين المهتدين ، ولا يجرمها إلا الكافرون الماديون ، وكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم من أرحم الناس بإخوانهم المؤمنين مع شدتهم على الكافرين العاندين كعمر بن الخطاب رضى الله تعالى

عنه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا تُنَزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ »
رواه أبو داود والترمذى . وقال صلى الله عليه وسلم « الرَّاحُونَ يَرَحُّهُمْ الرَّحْمَنُ ،
ارْحُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرَحِّكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ » رواه الترمذى وأبو داود ، وقد
خاطب الله تعالى بهذه الآية أمة الدعوة الحمديّة وهم جميع الناس فهو عظة القرآن ؛
وما فيه من شفاء أمراض الكفر والنفاق والردائل وهدية إلى الحق والفضائل موجّهات
إلى جميع الناس وخص المؤمنين بما تثمره الثلاث من الرحمة لأنهم هم الذين ينتفعون بها .
فيأياها المؤمنون انتفعوا بمواعظ ربكم واستشفوا بها من أمراضكم بسلوكم سبيلها كي
تكونوا أهلاً لرحمة الله الرحيم الكريم فتفوزوا بسعادة الدارين .

الآية الرابعة عشرة فيها أيضاً (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ
دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُمْ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم
أسراً إياه قل يا محمد يا أيها الناس إن كنتم في شك من صحة ما جئتكم به من الدين
الحنيف الذي أوحاه الله تعالى إلى - ولكنى على يقين أن ما جئت به حق من الله تعالى
فأنا لا أعبد الذين تعبدونهم أنتم من دون الله من الملائكة أو الروحانيين أو الأولياء
أو أى شىء كان ، ولكن إنما أعبد الله الذى خلقكم فأحياكم ثم يميتكم وأنا مؤمن
بالله وحده لا شريك له ، وهذا الخطاب عام لجميع البشر عربهم وعجمهم مغربهم
ومشرقهم فأكثر الناس من الهنود والصينيين والجاپانيين والإفريقيين والأوروبيين
والأمريكانيين والروسيين وأمثالهم لما لم يفهموا كلام الله ربهم ولم يعتنوا به لم يعرفوا
ربهم حق المعرفة فأشركوا به شركاء من العلوين والسفليين تقليداً لأبائهم أو اكتفاء
بعقولهم وآرائهم ، فهو هؤلاء هم الذين لما يرون يوم القيامة أن الحيوانات العجم تصير تراباً
بعد القصاص بقولون ياليتنى كنت تراباً ، وأنى له ذلك بل مصيره إلى النار وبئس المصير
لساذا لأنهم ضيعوا أهليتهم للإيمان بالله تعالى وفهم كلام ربهم العليم الحكيم فتنبه
أيها الإنسان ولا تضيع أهليتك فى الخسران .

الآية الخامسة عشرة فيها أيضاً (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ
فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِوَكِيلٍ) وهذا الخطاب عام أيضاً ، قد أمر الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم
أن يخبر الناس كلهم ويقول لهم إن الدين الذي جاءهم به من عند الله تعالى هو الحق
الذي لا مرية فيه ولا شك فيه فمن اهتدى به وآمن واتبعه فإنه يعود نفع ذلك الاتباع
على نفسه ، وأما من ضل عنه ولم يهتد به ولم يتبعه وتنادى على كفره وشركه وعناده
باتباع آبائه وأحباره ورهبانه فإنه يرجع وبال ذلك عليه ، فأنت يا محمد قل لهم ما أنا
عليكم بوكيل وموكل حتى تكونوا مؤمنين به ، وإنما أنا نذير لكم ، والهداية على
الله تعالى ، فمن هداه الله تعالى ورزقه التوفيق يكون من المحظوظين وأهلاً لرحمة رب
العالمين ورضاه وجنته ، وأما من أضله الله تعالى فهو من المحرومين من الرحمة والجنة
بل يكون من الخاسرين الهالكين ، الذين هم في عذاب جهنم خالدون .

الآية السادسة عشرة في سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام (وَأَنْذِرِ النَّاسَ
يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ
وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أُولَئِكَ كُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) قد أمر
الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم أن يئذر الناس كلهم ويخوفهم عذاب يوم القيامة
ليجتهدوا في تحليص أنفسهم منه ، وهذا الخلاص إنما يحصل بالإيمان بالله ورسوله
وكتابه والاهتداء به واتباعه ؛ لأن الظالمين والكافرين سيندمون ذلك اليوم لما
يروون العذاب ويقولون : ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونؤمن بك ونتبع
الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم فمن قبله ولسكن لا يستجاب لهم لأنهم كفروا وظلموا
أنفسهم في دار التكليف وافتنوا بدينام وما هم فيه من شئون الملك والرياسة والمال
والجاه والأتباع فيقال لهم : أولم تكونوا أيها الظالمون المعاندون الكافرون المنكرون
مغرورين ومفتونين ، وتدعون أنكم على الحق وتقسمون أنكم مستمرون على ما أنتم

عليه من العقيدة والمذهب والعمل مالكم من زوال ، فاليوم لا ينفعكم الندم ولا التوبة لأنه يوم الجزاء .

الآية السابعة عشرة فيها أيضاً (هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) يعني أن هذا القرآن المرئي بلأغ للناس كلهم عربهم وعجمهم شرقهم وغربهم يبلغه محمد صلى الله عليه وسلم لجميع الخلق أجمعين : من إنس و جن ، ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، من ظلمات الجهل والشك والشرك والخرافات إلى نور الإيمان والتوحيد ، فمن آمن به وصدق وفهم ما فيه من الأوامر والنواهي والحكم الإلهية فقد فاز فوزاً عظيماً ، ومن تدبره وتذكره يعلم يقيناً أنما الله إله واحد لا معبود سواه ، كما أنه لا خالق سواه ، ولا رازق سواه ، ولا رب سواه ؛ فيا أيها الناس إن فهِمتم كلام ربكم الرؤوف اللطيف الرحيم الحكيم فلکم الحظ الأوفر من فضل الله ورحمته وإلا فأنتم من المحرومين الخاسرين .

وهذا الأمر الإلهي يرشدنا إلى أنه يجب على كل مؤمن ومؤمنة عموماً والعلماء ورتة الأنبياء خصوصاً أن يبلغ كل فرد منهم كلام الله القرآن إلى من يليهم من الناس ويفهموه معناه ويبينوا نتائج العمل والإيمان به ويوضحوا وخامة حال من كفر به وخالفه أو جهل معناه ، وهذا هو الواجب على كل مؤمن ومؤمنة . وأما إذا لم يؤدوا هذه الوظيفة ، وتساهلوا فيه ، أو ضيعوا أعمارهم في الفلسفة والأدبيات كما هم عليه اليوم فقد خانوا الله تعالى ورسوله وعامة الخلق أجمعين ، فنبه وتدبر .

الآية الثامنة عشرة في سورة النحل (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) وهذا خطاب لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أمراً إياه ليبين للناس كلهم عربهم وعجمهم ما أنزل الله تعالى إليه من القرآن لعل هؤلاء الناس يتفكرون فيه ويتدبرون معانيه وينتفعون بإرشاداته فيهدوا فيفوزوا بالنجاة والسعادة في الدارين ، فأنت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفصل لهم ما أجل وتبين لهم ما أشكل ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بين للناس كلهم ما في الذكر

الحكيم من الأوامر والزواجر والمصالح ؛ فالأحاديث النبوية قوليةٌ وفعليةٌ كلها بيان لما في القرآن الحكيم ، فمليك أيها الإنسان أن تتعلم القرآن والأحاديث النبوية بالتدبر والتفكير والفهم والتأمل لتتف على حقائق الدين والإسلام كما هي ، وتكون من المحظوظين الفائزين ، رزقني الله تعالى وإياك فوز الدارين .

فمن لا يعلم معنى القرآن ، ولم يتدارس أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يطلع على كتب السنة والصحاح والمسانيد والسنن ، فهو لم يعرف من الدين والإسلام إلا اسمه ، كمن اغترّ بالقشر الخالي عن اللب ، وهذا لاشك من المحرومين لأنه محروم عن فهم الدين ، ومحروم عن فهم كلام رب العالمين ، ومحروم عن فهم معاني أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتدبر أيها الإنسان بماذا يمتاز الإنسان عن الحيوان ، وبماذا يمتاز الموحد المؤمن عن المشرك الكافر .

الآية التاسعة عشرة في سورة الإسراء (وَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) أي بينا للناس كلهم عربهم وعجمهم الحجج والبراهين القاطعة ، ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه من كل وجه من العبر والحكم والأحكام والوعد والوعيد، ليستعملوا عقولهم ويفهموا ذلك ، ولكن أبى أكثر الناس عن الإيمان به ، وتدبر معانيه ، إلا كفوراً : أي جحوداً للحق وإعراضاً عنه ، فبدلوا نعمة الله كفرةً ، واعتمدوا على ما كتبت أسلافهم من الفلسفة والسفسطة من الأشعار والدواوين والأغلوطات ، وظنوها حكماً وديناً وفضلاً وكلاماً ، وبذلك صاروا محرومين عن فهم كلام رب العالمين ، وتمسكوا على كفرهم وضلالهم وشركهم وهم لا يشعرون ، ولهذا يقولون يوم القيامة حين يُلقون في جهنم (وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) .

فمن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى عن حجج الله وآياته وبيناته فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ، عياداً بالله من ذلك ، فهذه الآية تفيد أنه يجب على كل إنسان

معرفة ربه والإيمان به وبرسوله ومعرفة كلامه معرفة تامة ، وهذا لا يختص به شخص دون شخص ، وفرد دون فرد ، كما لا يخفى فتدبر .

والمجيب أن كثيراً من يدعون العلم والدين ويقرءون القرآن كثيراً ، لا يفهمون من معاني القرآن إلا شيئاً يسيراً ، ولا يعنون بفهم معانيه اعتناءهم بفهم كتب الفلاسفة والمعميات والأفاز ، بل يعتقدون أن فهم معانيه متعذر في هذه الأزمنة ، لانسداد باب الاجتهاد ، وإنما يعرف معنى القرآن والحديث الأئمة المجتهدون ، وهم قد انقرضوا منذ تاريخ أربعمائة عام ، فنحن لانعمل إلا بما قاله وكتبه من قبلنا من أئمتنا ، فبذلك صاروا محرومين عن فهم كلام ربهم الرحمن الرحيم ، فلهذا ترى أن أكثرهم ابتلوا بالشرك الأكبر والكفر الأفتح ، كدعاء الأموات والاستمداد من أهل القبور وهم لا يشعرون ، كما لا يخفى على من له أدنى عقل ودين .

الآية العشرون في سورة الكهف (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا . وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) فإيا أيها الإنسان إن ربك جل جلاله قد بين للناس في هذا القرآن طريق الحق ، ووضح الأمور كلها وفصلها كيلا تضل فتشقى ، وأنت تكثر الجدال والمعارضة للحق بالباطل ، وتقول إن آباءنا وأسلافنا ما كانوا يعرفون الدين والإسلام قبل أن تعرفه أنت ، وأن الشيخ الفلاني كان أعلم منك ، لأنه كان سيداً عظيماً ، وأكبر منك سنناً ، فبهذه المجادلات الباطلة ، صار تقليدهم الجامد لآبائهم سبباً لتركهم الإيمان بالله وحده ، فهم لا يرجعون ولا يتوبون إلا أن تأتيتهم سنة الأولين ، وهي إهلاكهم إن لم يؤمنوا ، أو يأتيتهم العذاب قبلاً كما أهلك قوم نوح بالطوفان وأغرقهم أجمعين وهذا ابن نوح رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لم يؤمن ولم يقب ، لم ينفعه كونه ابن رسول الله ، فقيه عبرة عظيمة للذين يعتمدون على النسب ،

ويفتخرون بأنهم الأسياد أو الشرفاء ولا يؤمنون بالله وحده ولا يمتثلون أمره ، ولهذا قال على رضى الله عنه :

إن الفتي من يقول ها أنا ذا ليس الفتي من يقول كان أبى
وقيل :

ولا ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله
وكما أهلك قوم عاد وثمود وقوم تبع ، وفرعون وهامان وقارون ، وكما أهلك
أبا جهل وشيبة وربيعه ، وكما أهلك كسرى وقيصر ، وهكذا كل ظالم معاند ، يهلكه
الله تعالى ويأخذه أخذ عزيز مقتدر ؛ فيا أيها الناس تعلموا كلام ربكم ، واتقوا بما وعظه ،
واسئغفروه على ماضى من الذنوب ، فإن تبتم تاب الله عليكم ، وإن أصررتم على ما أنتم
عليه ، وافتتنتم بزخارفكم ، واختراعاتكم ، أو ما علمتم أنها استدراج وستكون سبباً
لنداماتكم حيث لا ينفعكم الندم .

الآية الحادية والعشرون في سورة الحج (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ
السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) وهذا خطاب عام لجميع الناس ، فيا أيها الناس اتقوا ربكم الذى
خلقكم ، وأوجدكم من العدم وصوركم فأحسن صوركم ، وركب فيكم العقل والفهم
والإدراك ؛ أى فاحذروا عقابه بطاعته ، فأمنوا به ووجدوه وخصصوا العبادة له تعالى
وحده ، ولا تشرکوا به شيئاً ، لا ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلًا ، ولا ولياً من الأولياء
ولا تتخذوا له تعالى ندًا ، ولا تسكونوا من يعبد الله على حرف ، ولا تجادلوا فى الله
ودينه بغير علم ، لأن زلزلة الساعة شىء عظيم ، وهذه الساعة آتية قريية لا ريب فيها
فاحذروا ، ولا تتبعوا كل شيطان مرید : من الرهبان والأحبار الأكالين أموال الناس
بالباطل ، وشيوخ الطرق الدجالين ، والسادات الملحدین ، والرؤساء الجاهلين ، فاتقوا
أيها الناس ربكم وحده لا شريك له ؛ فالناس كلهم مخاطبون ومكلفون بفهم هذا
الخطاب وأمثاله من الخطابات العمومية ، فمن فهمه وعمل به فقد فاز فى الدارين وصار
من المحظوظين ؛ وأما من أعرض عن فهمه ولم يعمل به فقد صار من المحرومين

الخاسرين ، وكذا من عمل ببعضه وخالف بعضه ، كأكثر من يدعى الإسلام من مسلمي هذه الأعصر .

الآية الثانية والعشرون في سورة الحج أيضاً (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ مُّمَّمٍّ مِّن نُّطْفَةٍ مُّمَّمٍّ مِّن عِلَاقَةٍ مُّمَّمٍّ مِّن مَّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ) الآية .

وهذا الخطاب عام أيضاً لجميع بني آدم أحمرهم وأبيضهم وشرقيهم وغربيهم، وإعلام منه تعالى أن كل فرد فرد منهم قد خلقهم الله تعالى ، وأصله من تراب ، وهو آدم أبو البشر عليه الصلاة والسلام ثم من بعده من نطفة مني يماني ، فيرشد الله تعالى الناس كلهم إلى أن يستعملوا عقولهم ، ويستدلوا بوجود أنفسهم وسائر الموجودات على وجود الله تعالى خالقهم ، ووحدانيته وقدرته وعلمه ، وهذا لا يحصل إلا بفهم كلامه العربي المنزل منه تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الآية الثالثة والعشرون فيها أيضاً : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ

نَذِيرٌ مُّبِينٌ) .

أمر الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الناس كلهم قائلاً إنما أنا لكم نذير مبين ، أي إنما أرسلني الله تعالى إليكم جميعاً نذيراً لكم وخوفاً إياكم بين يدي عذاب شديد ، فآمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئاً لا في الربوبية ولا في الخالقية ولا في الألوهية والعبادة ، وأما إن لم تؤمنوا ولم توحّدوا فالله تعالى يعذبكم عذاباً شديداً في نار جهنم خالدين فيها أبداً ، وليس إلى من حسابكم من شيء فأمركم إلى الله وحده إن شاء عجل لكم العذاب ، وإن شاء أخره عنكم ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ، وأما الذين سعوا في آيات الله معاجزين يشبطون الناس عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم والعمل بسنته فأولئك أصحاب النار .

الآية الرابعة والعشرون فيها أيضاً (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا

لَهُ إِن الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ،

وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ) .

يخاطب الله تعالى عامة الناس عربهم وعجمهم ذكرهم وأنثاهم عالمهم وجاهلهم ويأمرهم بالاستماع له وتفهم مايقول من المثل ، إن الذين تدعون في عباداتكم أو طلباتكم وقضاء حاجاتكم من دون الله من الملائكة أو الكروبيين أو الروحانيين أو الأنبياء والأولياء أو أى مدعو كان إن يستطيعوا أبداً ، ولا يقدرון قطعاً أن يخلقوا ذباباً ولو اجتمع أولهم وآخرهم لأجل ذلك ، والحال أنه أصغر الخلوقات وأضعفها ، وإنما خلقه الله تعالى لإذلال الجبارين والمتكبرين ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب .

فيا أيها الناس إن كان الأمر هكذا كيف ظننتم في بعض الخلقين واعتقدتم أنه يضركم أو ينفعكم أو ينقذكم من عذاب الله فعبدتموهم ونذرتهم له أو توجهتم إليه فاتخذتم هذه الأنداد وهذه الأصنام وهذه الأوثان وهذه القبور التى بنيت عليها القبب والبنيان الشاخط وجلستم متوجهين إليها راجين منهم وسائلين إياهم وخائفين منهم ، وقد أخذ الشيطان عقولكم وزين لكم الشرك بالله فأشركتم بربكم وأنتم لا تشعرون ، لأنكم جهلتم معانى كتاب ربكم الحكيم العليم وأخرجتم أنفسكم عن حيز الإنسانية إلى حضيض الحيوانية بل سعير الشيطانية ، فمثلكم يقولون يوم القيامة حينما ترون الحيوانات تصير تراباً ، تساقون إلى جهنم : يا ليتنا كنا تراباً لأنكم ظلمتم أنفسكم بتضييعكم أهليكم للإيمان بالله وفهم خطابه فلا تلوموا إلا أنفسكم أيها المجرمون وتفكروا اليوم فى هذه الأمور تشبهاً لتدارك ذلك قبل الفوات .

الآية الخامسة والعشرون فى سورة الروم (وَاقْدُرَ ضَرْبًا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْنَ جِمْتِهِمْ بآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ) وهذا التمثيل عام لجميع الناس ليعتبروا ويتعظوا فيهدتوا وينتفعوا ولكن أكثرهم من خبت عقيدتهم وتقليدهم لأسلافهم الجاهلين الخاسرين الذين اتخذوا

الخرافات والترهات ديناً ، ويقولون في حق الرسل الذين جاءوا بالبينات والحجج الواضحات ، ليس هؤلاء إلا مبطلون مزورون كذابون ؛ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، ولا يطلبون علم الدين ، ولا يجتهدون لفهم كلام رب العالمين ، بل يصرون على الخرافات التي اعتقدوها ، والترهات التي ابتدعوها ، كما لا يخفى فتدبر .

الآية السادسة والعشرون في سورة لقمان : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمَ مَا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) .

وهذا خطاب ونداء عام لكافة البشر أسودهم وأبيضهم وأصفرهم ، قد أمرهم الله تعالى بأن يتقوا ربهم الذي خلقهم ، ويؤمنوا به وبكتابه الذي أنزله ، ونبيه الذي أرسله ؛ وأمرهم أن يخشوا عذاب يوم الجزاء ، ولا يغتروا بأولادهم وأموالهم ، وكثرة أتباعهم ، فإن في ذلك اليوم لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود عن والده شيئاً ، ولا يسأل حميم حميماً ، ففريق في الجنة وفريق في السعير ؛ وهذا وعد من الله حق لا ريب فيه ، فلا تغرنكم زينة الحياة الدنيا وأموالها وأولادها ، وعماراتها الشائخة ، وحكوماتها المستبدة ، والمذاهب المبتدعة ، والطرق الخترعة ، وجميع المريدين والأتباع والتلامذة ، فإنها كلها فانية زائلة ، بل غالبها وبال على أربابها ؛ ففي ذلك يقول المغرور الكافر بالله وكتابه ورسوله (مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةٌ . هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةٌ) .

فيا أيها الإنسان اتق الله حق التقوى ، واجتهد في فهم كلام رب العالمين ، وامتنال أمره حتى لا تكون من المحرومين الخاسرين ، لأن الإنسان والله العظيم لنفي خسر وخسران ، إلا الذين جمعوا الأوصاف الأربعة واتصفوا بها ، فمن جمعها فهو الناجي الراجح الفالح ، وصاحب الحظ العظيم ، ولا شك أن ذلك كله موقوف على معرفة معاني القرآن معرفة صحيحة ، وهذا لا يحصل إلا بالتعلم ، والإنسان أهل لذلك ، ولهذا قد خاطبهم الله تعالى وأمرهم ونهاهم ؛ وأما إذا لم يعرف الإنسان معنى كلام ربه معرفة صحيحة ، فلا يمكن له عبادة الله حقاً وصدقاً ، فلا ينفعه قيامه في الأماكن

المقدسة ، ولا الطواف حول الكعبة ، فإن أبا جهل وأبا لهب كانا من
ساكنيها فتدبر .

ونحن قد شاهدنا وجر بنا في هذا العصر أن كثيراً من الدجالين وإن رطنوا
برطانة العرب ، ولكنهم يعتقدون أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب ، وأن
روح عبد القادر الجيلاني يتصرف في العالم ، ويعيث من استغاث به ، وهو الغوث
الأعظم ، وهكذا له أمثلة كثيرة ، ولاشك أن هذا الاعتقاد هو الشرك الأكبر ،
الذي لا يغفره الله تعالى أصلاً ؛ ومع ذلك هم مقيمون بالبلاد المقدسة والحرمين
الشريفيين ، فإذا من لم يفهم القرآن فهماً صحيحاً ولم يتدبر ولم يتفكر فيه لا ينتفع به
كما لا يخفى ، فيكون القرآن حجة عليه ، ولا يغتر بأقوال الناس إلا المغرور المفتون .
الآية السابعة والعشرون في سورة سبأ : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِن كُنَّا أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) .

فكافة الأدميين عربهم وعجمهم مكلفون بالإيمان بمحمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنه رسول الله ، وأن القرآن أنزله الله تعالى إليه وحياً بواسطة جبريل عليه
السلام ، بشيراً للمؤمنين الموحدين بالرضا والرضوان ، ونذيراً للكافرين والزنادقة
الملاحدين باللعنة والنيران ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك لغلبة الجهل عليهم
فيخالفون لهذا الرسول ، فلا يتبعون سنته ، ولا يتعلمون دينه وكلامه ، ولو كانوا
يعلمون حقيقة الأمر لآمنوا به ، واتبعوا النور الذي أنزله الله تعالى إليه ، وتعلموا
وتفهموا كلامه بالاعتناء التام فتنبه .

الآية الثامنة والعشرون في سورة فاطر : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذْ كُرُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا هُوَ
فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) .

هذا الخطاب عام أيضاً لجميع الناس شرفهم وغربهم ، عالمهم وجاهلهم ، وقد
أمرهم الله تعالى جميعاً أن يذكروا ويتذكروا نعم الله التي أنعمها عليهم ، فإنه هو الذي

خلقتهم ورباهم ورزقهم ، وهياً لهم الأسباب ، هل من خالق غير الله ، كلا لاخالق إلا هو وحده لا شريك له ، ولا متصرف في الكون إيجاباً وإعداماً إلا هو وحده فلا تمبدوا إلا هو وحده ، فإنه المستحق للعبادة حقاً ؛ فإن كان الأمر في الواقع هكذا فأنى تؤفكون أنتم أيها المنكرون الجاهلون ، وتشركون به تعالى في عبادته غيره ، فتدعون غيره ، وترجون من غيره ، وتحافون من غيره ، وتندرون لغيره ، وتحجون لبيت غيره ، وتطوفون بمرقده ، أما تفيقون من سكرتكم ، أما تفقون عند حدكم في العبودية له تعالى وحده .

ولما جهل الناس خطاب ربهم ، فضلوا وأضلوا كما هو الشائع الذائع ، صاروا يعبدون الأصنام والأوثان والأنداد والقبور والمشاهد والأرواح ، لأنهم ضيعوا عقولهم بتقليد أبحارهم ورهبانهم ورؤسائهم ، صاروا من المحرومين ، وإن ظفوا في هذه الحياة الدنيا أنهم من المحظوظين ، والظن لا يغني عن الحق شيئاً .

الآية التاسعة والعشرون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ . إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ، إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) .

هذا خطاب عام أيضاً لكافة البشر أجمعين ، وتنبيه لهم أن لا يغفروا بهذه الحياة الدنيا وزينتها ودولتها وشوكتها ، فإنها كلها دنية فانية زائلة ، وإنما الباقي ما أعده الله تعالى لأوليائه المؤمنين في دار الآخرة من الخير العظيم ؛ ولا يغرنكم الشيطان ، ويصرفكم عن الإيمان بالله وحده ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه هو العدو المبين لكم يجتهد في إهلاككم الأبدى الدائم ، فلا تطيعوه أصلاً بل اتخذوه عدواً ، لأنه إنما يدعو ويرغب حزبه ومن يطيعه ، ليكونوا كلهم من أصحاب السعير . نسأل الله القوى العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان ، وأن يرزقنا اتباع كتابه والاتباع لطريق رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فيا أيها الناس إن وعد الله حق فاستمعواوا عقولكم ، وتعلموا كلام ربكم ،
وتفهموا خطاب مولاكم ، طالبين منه التوفيق للعمل به .
الآية الثلاثون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) .

يخاطب الله تعالى عامة الناس كلهم نبيهم ووليهم ، وسعيدهم وشقيهم ، وكبيرهم
وصغيرهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وملكهم ورعيتهم ، ومالكهم ومملوكهم ، أن كلهم
فقراء محتاجون إليه تعالى في وجودهم وحياتهم ، وفي جميع حركاتهم وسكناتهم ؛
وأما هو تعالى فهو غني عن العالمين كلهم ، فلا تنفعه عبادة العابدين ، كما أنه لا يضره
كفر الكافرين ، وشرك المشركين ، وإنما ضرر كفرهم وشركهم على أنفسهم ، كما
أن منفعة طاعتهم وعبادتهم لأنفسهم ، والله تعالى حميد الفعال في جميع ما يفعله ، ويُقدِّره
ويشرِّعه ؛ فيا أيها الناس ، أطيعوا ربكم ، وامتنوا أمره ، واجتنبوا نهيه ، وتعلموا
كلامه ، وتفهموا خطابه ، لتفوزوا بسعادة الدنيا والدين والآخرة ؛ فيا خسارة من
فاته فهم كلام ربه ، ويا شقاوة من شغل نفسه عن فهم خطاب ربه بالفلسفة
والسفسطة والأشعار والألغاز والأساطير والخرافات والترهات .

الآية الحادية والثلاثون في سورة يس : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ
لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ .
وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) .

وهذا خطاب عام لجميع بني آدم بصيغة الاستفهام الإنكاري ، وأمر منه تعالى
بأنه قد أمر بني آدم أن لا يعبدوا الشيطان ، وأن لا يطيعوه في مخالفة الله ومعاصيه ،
لأنه عليه اللعنة عدو مبين لجميعكم ، إنما قصده إغواؤكم وإهلاككم بعضيان ربكم
الرحمن الذي خلقكم ورزقكم ، فاعبدوه وحده ، ألا تعلمون أن الشيطان قد أضل
من قبلكم أناساً كثيرين ، كقوم نوح وإبراهيم وهود وصالح وموسى وعيسى عليهم
الصلاة والسلام بتزيين الشرك لهم ، وترغيبهم إلى عبادة يعوث ويعوق وود وسواع

ونسراً ؛ كما زين للمتأخرين من هذه الأمة عبادة عبد القادر الجيلاني حتى سموه واعتقدوه غوثاً أعظم ، وعبادة بهاء الدين النقشبندی ، واعتقدوه دافع البلاء ، وعبادة معين الدين الجشتي ، وأحمد البدوي ، وهكذا في كل إقليم وقطر ، فبذلك حصل الشيطان مراده ، ألا وهو الشرك الأ كبر بالله في عبادته ، بل في ربو بيته وصفاته ، فيما أيها الناس ألا تنتبهون من هذه الجهالة المهلكة ، وتتفكرون في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسكم ، أفلا تعقلون ، أفلا تبصرون ، أفلا تستعملون عقولكم ؟

الآية الثانية والثلاثون في سورة الزمر : (وَاقْدِرْ بِنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . قُرْ آناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)
يعنى بينا للناس كلهم عربهم وعجمهم في هذا القرآن العربي كل شئ بضرب الأمثال لعلهم يتذكرون ويتفكرون ويتدبرون ، فيعملوا بإرشاداته ونصائحه ومواعظه ، لأنه قرآن واضح البيان لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس ولا تعقيد ، بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإنما جعله الله تعالى كذلك لعلهم يتقون ، ويحذرون ما فيه من الوعيد ، ويعملون بما فيه من الوعد ؛ ولا شك أن الذي لا يفهم معناه لا يتذكر ولا يتعظ ؛ فالانتفاع به موقوف على فهم معانيه فهماً صحيحاً مستقيماً ، بلا عوج ولا تأويل ولا تحريف ؛ فيجب على كل الناس فهمه وتعلمه والاعتقاد والعمل بموجبه وألا يكون محروماً من الإنسانية ، كما صار محروماً من رحمة الله وجزائه فتنبه .

الآية الثالثة والثلاثون فيها أيضاً : (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ، فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) .

يقول الله تعالى مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إنا أنزلنا عليك القرآن لهداية جميع الناس من الإنس والجن ، والشرقي والغربي لتتذركم به حقاً ؛ فمن اهتدى وعمل بما فيه فمنفعته راجعة إلى نفس ذلك المهتدي ؛ وأما من ضل وعاند

وكفر ولم يهتد به وإنما ضرر ضلاله وكفره وجهله على نفسه ، ولست أنت يا محمد موكلًا بهم أن يهتدوا ، وأن يقبلوا ويتعلموا ما فيه .

فيا أخى إن كان الله تعالى أنزل هذا القرآن لهداية جميع الناس وإرشادهم ، فهل يهتدى ويسترشد وينتفع من لا يعرف معناه حق المعرفة ؟ كلا ، والتراجع لا تؤدى تمام المعنى أبداً ، فإن جهلت معانى القرآن فقد ضللت ضلالاً ميبناً ، كأكثر الناس الذين يعتقدون أن أرواح الأولياء يعاونون الغيب ، ويتصرفون فى الكون ، فينفعون من يستغيث بهم ، ويضرون أعداءهم ، ومع ذلك يدعون أنهم على شئ ؛ أى أنهم عارفون واصلون إلى الله ، وأنهم من محبي أولياء الله ، ألا إنهم هم الكاذبون والخاسرون ، لتركهم الاهتداء بكلام رب العالمين ، واكتفائهم بكلام أناس غير معصومين .

الآية الرابعة والثلاثون فى سورة الجاثية : (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) .

يعنى أن هذا القرآن بصائر للناس كلهم عامة ، ولكن إنما ينتفع به من فتح بصره إليه ، ووجه بصيرته إلى تدبره وتفهم معانيه ، يعنى أن كونه بصائر وإرشادات عام لعامة البشر شرفهم وعر بهم ؛ وأما كونه هدى ورحمة فخاص بقوم يوقنون به ، فيعتنون بفهمه وتفهمه ، فالناس كلهم مكلفون بهذا كما لا يخفى ، فمن علمه كله وعمل بكله ، فهو السعيد فى الدارين جميعاً ، وأما من علم بعضه وعمل بموجبه فإنه ينتفع على قدره ، كالإفراج الذين اعتنوا بما يتعلق بالصنائع والطبائع وآلات الحديد ، وعدة القوة ، والحساب والهندسة ، والتجارة والسياسة ، فنالوا منها على قدر استعدادهم وسعيهم كما لا يخفى .

وبالجملة فإن معرفة معانى القرآن لازمة على كل إنسان عربهم وعجمهم ، وهذا لا شك فيه ولا ريب .

الآية الخامسة والثلاثون فى سورة الأحقاف : (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ، وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) الآية .

فالإنسان من حيث إنه إنسان موصى من قبل ربه ، ومأمور بالإحسان إلى الوالدين ؛ فيجب على كل إنسان معرفة هذه الوصية الربانية ، والعمل بموجبها كما لا يخفى ، وكما قال الله تعالى في سورة الإسراء : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنََّّيْبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا . رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا) . وقال تعالى : (أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) الآية .

فالإنسان مأمور قطعاً بالإحسان إلى الوالدين وخدمتهما وإرضائهما بما يستطیع ، وحرام عليه إيذاؤهما وجفأؤهما وترك خدمتهما ؛ فهذا قد عد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوق الوالدين وإيذاءهما من الكبائر والموبقات والمهلكات السبع ، وقد قرن الله تعالى شكره بشكر الوالدين ، وقد ثبت في الصحيح أن الولد البار لوالديه ينال رضى الله تعالى ويكون محاب الدعوة ، وهذا هو عين الإنسانية فتنبه وتدبر .

الآية السادسة والثلاثون في سورة الحجرات : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

يخاطب الله تعالى كل الناس جميعاً معلنا إياهم أنه تعالى خلق جميعهم من ذكر وأنثى ، وجعل منها زوجها ، وهما آدم وحواء عليهما السلام ، وجعلهم شعوباً وقبائل ؛ وأفاد تعالى أن جميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية سواء ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود ، وإنما يتفاضلون بالأمر الدينية ، وهي الإيمان بالله وطاعة الله تعالى ، ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) لا بالأحساب والأموال والأنبعا والأولاد ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » . رواه مسلم وابن ماجه .

فهذا قد أفادنا الله تعالى أن دين الإسلام مبنى على المساواة من حيث الإنسانية والمعيشة الدنيوية ومعاملتها ، وإنما يمتاز الفاضل عن المفضول عند الله يوم الدين ؛ فالأكرم ههنا هو المتقى الذي اتقى الشرك والظلم والكفر والمعاصي ، والله تعالى عليم وحكيم وخبير بما في الصدور .

فانظر يا أخى كيف خاطب الله تعالى الناس جميعاً ؛ أى الجنس البشرى كله على اختلاف دينه ولغاته وألوانه وبلدانه ، ثم أراد أن يربط الناس جميعاً برابطة أقوى من رابطة القرابة والدم ، فدعاهم إلى اعتناق دين واحد ، وعبادة إله واحد ، تدعوهم الفطرة السليمة إلى الإيمان به ، فيؤلف بين قلوبهم ؛ فالله تعالى يدعو العالم كله إلى دين واحد ، وإلى لغة واحدة ، وهو تعالى قد حتم القراءة فى الصلاة والعبادات كلها باللغة العربية ، فالأمم التى دخلت فى الإسلام تسارعت إلى تعلم اللغة العربية ، وحذقها وإجادتها . ألا ترى الأندلس كيف ازدهرت فيها لغة العرب الفصحى . ازدهاراً رائعاً ، وبخارى وماوراء النهر كيف نمت فيها لغة الضاد ، والشاهد الإمام أمير المحدثين محمد بن إسماعيل البخارى ، والإمام مسلم بن الحجاج ، وأبو عيسى الترمذى ، وأبو داود السجستانى ، وعبد الرحمن النسائى ، وأبو الليث الفقيه السمرقندى وأبو بكر القفال الشاشى ، وبرهان الدين على المرغينانى صاحب الهداية ، وملاك العلماء الكاسانى صاحب البدائع ، وأمثالهم رحمهم الله تعالى ، ولكن الخلف قد خالفوا السلف ، فغيروا فغير الله عليهم .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة قائماً على باب الكعبة وقال : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَمَّطَهَا بِالْأَبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ :

(يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) « الآيَة .

كذا في البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٠١ .

الآيَة السابعة والثلاثون في سورة الحشر: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ

لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

يقول الله تعالى معظمًا لأمر القرآن ، ومبينًا علو قدره ، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب ، وتصدع عند سماعه ، لما فيه من الوعد الحق ، والوعيد الأكيد ، فإذا كان الجبل في غلظه وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل ، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم ، وتخشع وتصدع أفئدتكم من خشية الله ، وأنتم قد أمركم الله تعالى بفهمه وتدبره ؛ فتفكروا أيها الناس ، ولا تضيعوا أهليتكم ، وأنتم المكلفون بفهم هذا القرآن ، والاعتبار بآياته ومواعظه ؛ فإذا تفكرتم وتدبرتم تعلمون يقينًا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا معبود سواه ؛ كما أنه لا خالق سواه ، ولا رب سواه ، بل كل ما سواه من الملائكة والمقر بين والأنبياء والصديقين والأولياء كلهم مخلوقون ومر بوبون ومحتاجون في حياتهم ومماتهم وحشرهم ونشرهم إلى الله تعالى الغنى القادر جل جلاله .

فيها أيها الناس حيث إنكم جهلتم معاني كلام ربكم ، ابتليتم بالداء العضال ، بحيث صرتم لا تفرقون بين الخالق والمخلوق ، والرب والمربوب ، فتعبدون الله وتعبدون المخلوق ، وتدعون الله وتدعون المخلوق ؛ فمثلا تقولون حينما تقومون من مقعدكم يا الله يارسول الله ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله تعالى أبدًا ، وذلك أن الله تعالى حيّ قريب مجيب يستجيب الدعوات ويقضى الحاجات ؛ وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد مات وروحه الشريف في أعلى عليين ، لا يعلم الغيب ، ولا يسمع النداء ولا الدعاء ، فإذا نداءه ودعاؤه في هذه الدنيا هباء ، بل إذا اعتقد القائل بأنه يعلم الغيب أو يسمع النداء ، فقد أشرك بالله العظيم ، لتسويته بين الخالق

والخلوق ؛ وبعضهم يقول من نهاية جهله وسخافة حقيقته ، إنه يحب رسول الله وهذا من محبته ، والحال أنه قد خالفه وعصاه بتسويته برب العالمين الذي لا شريك له ؛ ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما تحصل باتباع سنته ، والصلاة والسلام عليه في كل حين .

فيا أيها الإنسان الجاهل لو تأملت أدنى تأمل وقلت يا الله صل على رسول الله أو اللهم صل وسلم على رسولك محمد ، أو ما أشبه ذلك ، لكنت آتيا بالصواب ، وداعياً بالحق .

الآية الثامنة والثلاثون في سورة الانفطار : (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) الآيات .

وهذا خطاب تهديد من الله تعالى لكل بني الإنسان : ماخذعك ، وسؤل لك الباطل حتى أضعت ماوجب عليك من عبادة ربك وطاعته ، ومعرفة أمره ونهيه ، وغررك إمهالي إياك ، وغررك الشيطان بإبضاع الأمانى في قلبك ، وغررك الدنياوزينتها وغررك الجاه والنسب ، حتى نسيت ربك الذي خلقك ، وأشركت به في عبادته ودعائه ، وساويت بينه وبين بعض مخلوقاته ، ولم تتفكر في نفسك ماذا كنت وماذا تصير ، ولم تتدبر كلام الذي خلقك ووجه إليك وخاطبك وأمرك ونهاك به ، وأنت نساه لاه ، فيا أسفا عليك يا عدو نفسك .

فيا أيها الإنسان إن الله تعالى ربك الحكيم ، قد خلقك على هذه الصورة ، ومع ذلك أنت ما تعرفه وتنكره وتنكر يوم الجزاء ؛ والحال أن عليك ملائكة مراقبين ومحافظين يعلمون كل ما تفعل وتقول ، ويكتبون كل ما يصدر منك ، فيجازيك الله تعالى على ذلك ، فيدخل الله تعالى المؤمنين الموحدين الخالصين الأبرار في جنات النعيم ، ويجازى الله تعالى الفجار الكفار المشركين في نار الجحيم ، ويصلبهم على رؤوسهم منكوسين أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، خالدين فيها أبداً ، وهذا إنما يكون في يوم الدين يوم الجزاء ، وهذا اليوم لا يملك أحد لأحديه شيئاً ، لا والد لولد ، ولا عالم لتلاميذ ، ولا شيخ لمريد ، بل ولا نبي لأمته إلا بإذن الله تعالى وأمره ،

لأن الأمر كله لله لا شريك له ، وأنت أيها الإنسان الجاهل تغتر بشيخك ، أو بمن تعتقده ولياً ، وتظن أنه ينفعك أو ينقذك من النار ويدخلك الجنة ، وإنما هذا صادر من نهاية جهلك ، وغاية حماقتك ، ولماذا هكذا لأنك محروم من فهم كلام الله رب العالمين ، مكتفياً بالترهات والحرافات ودجل الدجالين فتنبه .

الآية التاسعة والثلاثون في سورة الانشقاق : (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ) .

وهذا الخطاب عام لجميع بني الإنسان عربهم وعجمهم ، يخاطبهم الله تعالى منهاها إليهم ، فيقول : إنك أيها الإنسان ساع إلى ربك سعياً ، وعامل عملاً ، فستلقى ماسعيت وعملت من خير وشر . يعني إنا أُرشدناك إلى ما فيه سعادتك في الحياة وبعد المات ، فإن أنت عملت بإرشاداتنا تكن سعيداً فتعطى كتابك بيمينك ، وتكون من أهل اليمين ، وأما إذا عاندت وعصيت أمرنا أوجهلتك ، فأنت الشقي ، فتعطى كتابك من وراء ظهرك أو شمالك ، فتكون من أهل الشمال ، وتلقى في جهنم سعيراً ، فإيا أيها الناس والإنسان إنك المكلف المخاطب بالإيمان والأعمال ، فإن ضيعت أهليتك فأنت أخس من الحيوان ، ولا ينفعك أبتاؤك وأموالك ومنصبك ، وجاهك التي كنت أنت مغروراً بها ومسروراً ، لأنه قد نسى ربه ، ونسى الرجوع إليه ؛ والحال أنه تعالى بصير به .

الآية الأربعون في سورة الطارق : (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ؟ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) .

وهذا أمر من الله تعالى للإنسان وكل بني آدم أن ينظر نظر العبرة والاعتبار أنه مِمَّ خُلِقَ ؟ فليعلم أنه خلق من ماء دافق ، أي فوار خارج بالقوة ، وهو المنى والنطفة يخرج من صلب الرجل وصدر المرأة عند فيضان الشهوة منهما ، وهذا الماء هو بذر الإنسان يزرعه الرجل في أرض رحم المرأة ، فيخلق الله تعالى منه هذا الإنسان الذي يتكبر ويتبختر ، ويقول أنا وأنا ، فينسى ربه الذي خلقه ، ويكفر به .

و يشرك في عبادته ، ولا يؤمن به ولا بكتابه ولا برسوله ولا باليوم الآخر ، ولا يتفكر أن الذى خلقه من ماء دافق لم يخلقه عبثاً ، بل إنما خلقه ليعرفه ويعبده وحده لا شريك له ، ثم يحببهم ويعيده ، فيجازيه على عقيدته وعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وإنما يمهّلهم في الدنيا ويستدرجهم ، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

فاعلم أن هذه الأربعون آية كل واحدة منها موجهة من الله رب العالمين ، إلى كل فرد فرد من أفراد بنى آدم ، لا يخرج من هذه الخطابات الصريحة أحد منهم ، سواء كانوا عرباً أو عجماً أو من أى جنس كان ، فارسياً أو هندياً ، تركياً أو صينياً ، جاوياً أو جابانياً ، رومياً أو بربرياً ، حبشياً أو أمريقياً ، فكلهم مخاطبون بهذه الخطابات ، ومأمورون ومكفون بهذه الأوامر ، وهم أهل لذلك ، ولو لم يكونوا أهلاً لما خاطبهم الله تعالى ؛ وحيث إنه تعالى خاطبهم وناداهم وأمرهم ونهاهم قد ثبت أنهم أهل لفهم ذلك والعمل به ، ولا يخرج عن هذا الخطاب أحد من البشر ، حيث إنهم بالنعون وعاقلون ، فلا يخرج أحد أصلاً إلا الصبي والمجنون ، وأما العجزة فلا تكون مسقطاً للتكليف ، وتوجه الخطاب وفهمه فتنبه .

وهذه الخطابات الموجهة إلى كافة بنى آدم بلفظ يا وأتممكم توجب على كل البشر معرفة كلام ربهم ، ولا يعذر أحد بالجهل به ، فهو مسئول عن إضاعته أهليته ولا شك أن كل إنسان أهل لمعرفة ذلك بالتعلم ، وهذا هو الحد الفارق بين الإنسان والحيوانات البهيم ؛ فالإنسان من حيث إنه إنسان قابل للفهم ، وأهل للعلم والمعرفة ؛ ومن هذا أخذ الله تعالى العهد من ذرية آدم بأجمعهم وقال : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) فأجابوا ببلى ، و (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) فتفكر وتدبر وتأمل أيها الإنسان هل ينادى الله تعالى ويخاطب ، ويأمر وينهى من لا يفهم الخطاب ؟ كلا ، تعالى الله وتقدس عن العبث ، وعما يقوله الظالمون علواً كبيراً ، وعما يعتقدونه المبطلون تنزهاً وتقديساً ، والله العظيم إن الذين يجهلون كلام ربهم ، ولا يجتهدون في فهمه ومعرفته ، فهم المحرومون عن فضل ربهم ، والمحرومون من هدايته وتوفيقه

وجنته ورضوانه ، وهم الذين إذا أقوا في نار جهنم قال لهم خزنتها ألم يأتكم نذير ، فيقولون : بلى قد جاءتنا النذر ولكن ما صدقناهم ولم نعتن بكلامهم ، مع أن هؤلاء الحرورمين يتفلسفون في العلوم الفلسفية تفلسفاً ، ويدققون تدقيقاً ، ويشقون الشرة مائة شقٍ ، ويصتنون بالأمر الدنيوية ، والزخارف الفانية اعتناء عظيماً ، ولكن مع ذلك يجهلون كلام ربهم ، وأوامر إلههم ، فهل يُعذرون بهذا الجهل ؟ كلا ، أبداً لا يعذرون قطعاً .

كما روى الإمام البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه ، عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تَرْتَسِعُ الْأَمَانَةُ ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ : مَا أَخَذَهُ ^(١) وَمَا أَذْكَاهُ ^(٢) وَمَا أَعْلَاهُ ^(٣) وَلَيْسَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ » الحديث .

وفي الدر المنثور عن مصنف ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَجْتَمِعُونَ وَيُصَلُّونَ فِي الْمَسَاجِدِ وَلَيْسَ فِيهِمْ مُؤْمِنٌ » . وفي حديث آخر مرفوع : « يَأْتِي زَمَانٌ لَا يَبْتَقِي مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمَهُ وَلَا مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمَهُ . فَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ مُسْلِمُونَ ، وَلَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ حَقِيقَتَهُ ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْ مَعَانِيهِ إِلَّا الْبَعْضَ الْيَسِيرَ » فكل هذا حجة عليهم .

فيا أخي بعد أن علمت أن هذه الخطابات العامة لكافة بني البشر ، فهم بأجمعهم مكلفون بفهم ذلك ، والإيمان به ، والعمل بموجبه ، وبذلك قد قامت الحجة عليهم وخصوصاً في هذه الأزمنة الحاضرة ، منذ ألهم الله تعالى لهم اختراع هذه الآلات الحديثة « المذياع — الراديو » فهي تبث الأصوات من الشرق إلى الغرب في حينها فهم بأنفسهم يتلون القرآن بأصوات موسيقية ، ونغمات مصرية لأغراضهم السياسية ، أو للتجارة واكتساب الأموال ، فهذه يقيمون حجة الله على أنفسهم وهم لا يشعرون ،

(١) أعقله . (٢) أظرفه . (٣) أجلاه .

حتى لا يبقى لهم مجال لأن يقولوا ما جاءنا من رسول ولا نذير ، فسيحان الله الخالق الحكيم ، وإنما كرّر الله تعالى هذه الخطابات العمومية في مواضع كثيرة من كتابه للتقرير ، كي يقرّر الحجة عليهم ، ويؤكدها تأكيداً كبيراً ، فتنبه وتدبر ولا تكن من الغافلين المحرومين ، والفتونين المالكين .

فصل

وأما الآيات والخطابات والأوامر الموجهة إلى المؤمنين خاصة ، فكثيرة جداً لا تخفى على قارئ القرآن ، وإني أذكرها هنا لزيادة البيان ، وحباً لكلام ربنا الرحمن ، لأن من أحب شيئاً أكثر ذكره ، وإني أحب ربي وأحب كلامه ، ثم أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأحب كلامه وأحاديثه أيضاً .

أهل الحديث هم أهل الرسول وإن لم يصحبوا شخصه أنفاسه صحبوا وهذا هو الواجب على كل مؤمن ومؤمنة ، ثم بعد ذكر الآيات أبين ما يتعلق بها من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قولية وفعلية ، وما ثبت عن الصحابة والسلف الصالحين رضي الله تعالى عنهم ، وجعلنا منهم ، وحشرنا في زميرتهم بفضلهم ومنه آمين .

الآية الأولى في سورة البقرة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

هذا خطاب قد خاطب الله تعالى به المؤمنين بأن لا يقولوا مثل ما قالت اليهود في معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء الأدب ، بل عليهم أن يراعوا معه الأدب ، ويستمعوا لما يقوله ويلتفت إليهم ؛ وأما إساءة الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المخاطبة معه فأثر من آثار الكفر الذي يستحقون به العذاب الأليم ، فيجب الاحتراس منه بترك الألفاظ الموهمة للمساواة المنافية للأدب ، ولا شك أن من يعامل أستاذه ومرشده معاملة المساواة في القول والعمل يقل احترامه له ، وتزول

هيئته من نفسه حتى تقل الاستفادة منه أو تنعدم ، لأن المدار في التربية على التأسي والقدوة ، مثلاً إن من أراه مثلي لا أراه إماماً وقدوة لي ، فان رضيته بالمواضعة والتقليد وكذبتي المعاملة ، فأى قيمة لهذا الرضى ، والعبارة بما في الواقع ونفس الأمر ، وهو أن من اعتقد أن فلاناً فوقه علماً وكلاماً ، وأنه في حاجة الاستفادة من علمه وإرشاده وأخلاقه وآدابه ، فإنه لا يستطيع أن يسوى نفسه به في المعاملة القوية والفعلية . ولماذا كان ذلك كذلك ؟ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يتكلم عن الله عز وجل لسعادة من يستمع ويعقل ويأخذ ما يؤمر به بالأدب ، ويسأل عما لا يفيهمه بالأدب ، ومن فاتته هذه السعادة فهو الشقي .

واعلم أن لمن جاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظاً من هذا الأدب ، وليس هو خاصاً بمن كان في عصره صلى الله عليه وسلم من المؤمنين ، فهذا كتاب الله الذي كان يتلوه عليهم ، وكان يجب الاستماع له ، والإنصات لأجل تدبره ، هو الذي يتلى علينا بعينه لم يذهب منه شيء ، وهو كلام الله الذي به كان الرسول رسولاً تجب طاعته والاهتداء بهديه ؛ فانظر يا أيها المؤمن إلى الذي يقابله الأ كثرون به إنهم يلغظون في مجلس القرآن ، فلا يستمعون ولا ينصتون ، ومن أنصت واستمع فأتما ينصت طرباً بالصوت ، واستلذاذاً بتوقيع نغيات القارىء ، وإنما يفعلون ذلك في مجالس الغناء بلا فرق ، ولا يلتفتون إلى شيء من معانيه إلا ما يرونه مدعاة لسرورهم مع الغفلة عما فيها من العبرة ؛ أليس هذا أقرب إلى الاستهانة بالقرآن منه بالأدب اللائق ، الذي ترشد إليه هذه الآية الكريمة وأمثالها ، وتتوعد على تركه بحمله مجاوراً الكفر الذي يسوق صاحبه إلى العذاب الأليم .

الآية الثانية فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

قد خاطب الله تعالى المؤمنين عربهم وعجمهم ، وأمرهم بأن يستعينوا على تكميل

الإيمان والثبات عليه بالصبر على جهاد النفس وعلى طعن الأعداء ، وسفاهة السفهاء ، فإن أهل الحق يعاديهم أهل الباطل وأحزابه ، ويؤذونهم في سبيل الحق والدعوة إلى الدين والتوحيد ، خصوصاً توحيد الألوهية وتوحيد العبادة والمدافعة عنه وعن أنفسهم ؛ فهو سبحانه وتعالى يأمرهم بالصبر على ذلك كله ، والدوام والاستمرار على الجهاد بالسنان والبيان والبيان ، والصبر على ذلك بالتطوع والرغبة ؛ فإنه تعالى وعد وأكده أنه مع الصابرين ، والمشركون يؤذون المؤمنين ويصدون الناس عنهم في كل عصر وزمان ، فأمرهم الله تعالى أن يستعينوا في مقاومة ذلك كله وفي سائر ما يمرض لهم من المصائب بالصبر والصلاة ؛ أما الصبر فقد ذكر في القرآن سبعين صرة ، وأمر الله تعالى به الأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام ، وهذا يدل على عظم أمره ، وكثرة نتائجه .

وقد جعل الله تعالى التواصي به في سورة النصر ، مقروناً بالتواصي بالحق ، إذ لا بد للداعي إلى الحق منه ، والمراد بالصبر في هذه الآيات كلها ملكة الثبات ، والاحتمال التي تهون على صاحبها كل ما يلاقيه في سبيل تأييد الحق ، ونشر الدين والتوحيد ؛ وإنما يظهر الصبر في ثبات الإنسان على عمل اختياري يقصد به إثبات حق ، أو إزالة باطل ، أو الدعوة إلى عقيدة ، أو تأييد فضيلة ، أو إيجاد وسيلة إلى عمل عظيم ، لأن أمثال هذه السكيات التي تتعلق بالمصالح العامة ، هي التي تقابل من الناس بالمقاومة والحداثة التي يعوز فيها الصبر ، ومعارضة الشدائد ؛ فالثبات على العمل في مثل هذه الحال هو الصابر والصابر ؛ وليس كل متحمل المكروه من الصابرين الذين أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه منهم ، وبشرهم بالفوز ، وأثنى عليهم ، بل لا بد من العمل للحق والثبات فيه ، وعلى ذلك جرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليهم الرضا والرضوان ، حتى فازوا بعباقبة الصبر المحمودة ، ونصرهم الله تعالى مع قتلهم وضعفهم على جميع الأمم مع قوتها وكثرتها ، وإنما كان ذلك بالصبر في الله والله ، والمتحمل المكروه مع السامة والضجر لا يعد صابراً ، وهو شأن مفتحلي العلم ومدعي (٤ — تمييز المحظوظين)

الصالح في هذه الأزمنة ، تراهم أضعف الناس قلوباً ، وأشدهم اضطراباً ، إذا عرض لهم شيء على غير ما يهرون ؛ فمن لم يستعن على عمله بالصبر لا يتم له أمر ، ولا يثبت على عمل ، لاسيما الأعمال العظيمة ، كتربية الأمم ، والانتقال بها من حال إلى حال .

وجه الحاجة إلى الاستمانة بالصبر على تأييد الحق ، والقيام بأعبائه ظاهر جلي .
وأما الحاجة إلى الاستمانة بالصلاة فوجهها خفي محجوب لا يكاد ينكشف إلا للمصلين الذين هم في صلاتهم خاشعون ، وهي التوجه إلى الله تعالى ، وحضور القلب معه سبحانه ، واستغراقه في الشهور بهيئته وجلاله ، وكال سلطانة ، وهي التي قال الله تعالى فيها : (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) ولأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والإنسان خلق هلوياً ، إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ؛ وليست هذه الصلاة هي الصورة المعهودة من القيام والركوع والتلاوة باللسان فقط ، والذي نشاهد من المعتادين عليها الإصرار على الفواحش والمنكرات ، وارتكاب الآثام والسيئات ، وأن الله تعالى مع الصابرين ، ولم يقل معكم ليفيد أن معونته إنما تمدهم إذا صار الصبر وصفاً لازماً لهم ، ولكن أكثر من يدعى الإيمان حيث إنه جاهل بمعنى كلام ربه ، فهو محروم من حقيقة الإيمان الصحيح ، والصلاة الصحيحة ، فلهذا صار محروماً من نتائج الإيمان والصبر والصلاة ، فتدبر وكن من المؤمنين الصادقين .

الآية الثالثة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) .

قد خاطب الله تعالى المؤمنين ، أمراً بإيهم بالأكل من الحلال الطيب من رزق الله ، ولا يضيقوا على أنفسهم مثل متخذى الأنداد ، بترك الأكل من الطيبات كترك أكل اللحم ، فكلوا واشكروا لله الذي خلق لكم هذه الأشياء ، وسهل عليكم أسبابها ، بأن تتبعوا سننه الحكيمة في طلب هذه الطيبات واستخراجها

واستعملها فيما خلقت لأجله ، والثناء عليه جل جلاله وعم نواله ، وأن هذه الطيبات من فضله وإحسانه إيمانه ، ليس ان اتخذوه أنداداً له تأثير فيها ولذلك قال : (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) أي إن كنتم تخصونه بالعبادة ، والاعتقاد بالانفراد بالسلطة والتأثير ؛ فاشكروا له جل جلاله أنه خلق هذه النعم وأباحها لكم ؛ فلا تجملوا له أنداداً تطلبون منهم الرزق ، أو ترجعون إليهم في التحليل والتحريم ، أو ترجون منهم جلب المنافع أو دفع المضار ، وإلا كنتم كافرين بالله ، كالذين من قبلكم جهلوا معنى عبادة الله تعالى ، فاتخذوا بينهم وبينه وسطاء في طلب الرزق ، ورؤساء يحلون ويحرمون . ومن الشكر له تعالى استعمال القوى التي غُذيت بتلك الطيبات في نفع أنفسكم وأمتكم ، وليس من الطيبات ما يأخذه شيوخ الطريقة من مرديهم من الغدور ، بل هو من الخبائث والسحت ، ولا يفهم هذه الآية حق فهمها إلا من كان عارفاً بتاريخ الملل والأأم عند ظهور الإسلام وقبله ، فإن المشركين وأهل الكتاب كانوا فرقاً وأصنافاً ، يحرمون على أنفسهم أشياء ، ويهذبون أنفسهم بصوم الدهر ، وقد ورثوا هذه الأشياء عن آبائهم الوثنيين ، الذين يرون أن التقرب إلى الله تعالى محصور في تعذيب النفس ، وترك حظوظ الجسد ؛ وقد تفضل الله تعالى على هذه الأمة المحمدية بجعلها أمة وسطاً تعطى الجسد حقه ، والروح حقها ، فأحل لنا الطيبات لتتسع نعمه الجسدية علينا . وأمرنا بالشكر عليها ، ليكون لنا منها فوائد روحانية عقلية ، فلم تكن جسمانياً محضاً كالأنعام ، ولا روحانياً خالصاً كالملائكة ؛ فالؤمنون مكفون بمعرفة هذه الأشياء ، فإذا لم يعرفوها فقد ضيعوا صفة الإيمان ، وصاروا من المحرومين من فضائل الإيمان ، وفهم كلام الله تعالى « القرآن » .

الآية الرابعة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ، الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ ، وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ، وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ، فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْعَرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ، ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدْوٍ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

هذا خطاب خاص من الله تعالى موجه إلى المؤمنين ، فمن كان مؤمناً فليعرف خطاب ربه الحكيم العليم ، فإنه تعالى أرشد عباده المؤمنين إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم في حياتهم ومماتهم ، ودنياهم ودينهم ، وقد فرض الله تعالى الحكيم على المسلمين الحدود : من القصاص والرجم والضرب ؛ ولاشك أن القصاص بالعدل والمساواة هو الأصل الذي يربي الأمم والشعوب ، وأن تركه بالمرّة يُغري الأشقياء بالجرأة على سفك الدماء ؛ فقتل القاتل هو الذي يربي الناس في كل زمان ومكان ويمنعهم من القتل إلا إذا رضى أولياء المقتول ، وعفوا بعاطفة الرحمة ، أو ملاحظة المصلحة بأخذ الدية ، فلا تمنعه الشريعة الإلهية بل ترغبهم إليه .

وقوله تعالى : (الْحَرْءُ بِالْحَرْءِ) الآية ، مفهوم اللفظ غير مراد على إطلاقه ، لأنه قد جرى العمل من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الآن على قتل الرجل بالمرأة ، ومنطوق الآية أن الحر يقتل بالحر الخ ؛ وأما كون الحر يقتل بالعبد ، والرجل بالمرأة ، فهذا يؤخذ من لفظ القصاص ، وصريح النفس بالنفس ؛ ففي إقامة القصاص الحياة الطيبة ، وصيانة الناس من اعتداء بعضهم على بعض ، وأمرهم بالقتل ليعقل القتل أو ينتفى ، لأن من علم أنه إذا قتل نفساً يُقتل بها يرتدع عن القتل فتحفظ الحياة ؛ وأما الاكتفاء بالدية ، أو بالحبس والنفي ، فلا يردع كل أحد عن سفك دم خصمه ، فالآية خطاب وأمر للمؤمنين كلهم ، فيجب عليهم أن يستعملوا عقولهم في فهم خطاب ربهم ، ليعرفوا دقائق الأحكام ، وما فيها من المنفعة للأنام ، فمن ينكر أولاً يعمل بإجراء القصاص بعد هذا البيان ، فلا عقل له ولا جنان ؛ فالحكومات الإسلامية الحاضرة كعصر وسورية والعراق وإيران وأفغان وتركية وغيرها وإن ادعت أنها إسلامية ، ولكنها محرومة من العدل بسبب عدم فهمها معاني القرآن ، فاعتبروا يا أولي الأبصار .

الآية الخامسة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .

قد خاطب الله تعالى المؤمنين كلهم ، وأعلمهم أنه قد فرض عليهم الصيام ، كما كان مفروضاً على الأمم السابقة ، فأفاد أنه ركن من أركان الدين ، وأنه من أقوى العبادات ، وأعظم ذرائع التهذيب ؛ وفيه إشارات بوحدة الدين في أصوله ومقاصده ، لا تدخل فيه الكيفية والكمية ؛ وإنما فرض الله تعالى الصيام ، لأنه يستمد به العبد المؤمن لتقوى الله تعالى ، والله غنيّ عنا وعن عملنا ، وما كتب علينا الصيام إلا لمنفعتنا ، ومعنى (هل) الإعداد والتهيئة ، وإعداد الصيام نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى أنه أمر موكل إلى نفس الصائم ، لارقيب عليه فيه إلا الله تعالى ، وستر بين العبد وربّه لا يشرف عليه أحد غيره سبحانه ، فإذا ترك الإنسان شهواته ولذاته لأجل امتثال أمر ربّه مدة شهر كامل في السنة ، لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ، ملكة المراقبة لله تعالى ، والحياء منه سبحانه وتعالى أن يراه حيث نهاه ؛ وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى أكبر معدّ للنفوس ، ومؤهل لها لتسعادة الروح في الآخرة وفي الدنيا أيضاً .

انظر هل يقدم من تلبس هذه المراقبة قلبه على غش الناس ومخادعتهم ، هل يسهل عليه أن يراه الله تعالى آكلاً لأموال الناس بالباطل ؟ هل يمتثل على الله تعالى في منع الزكاة ، وهدم هذا الركن الركين من أركان دينه ؟ هل يمتثل على أكل الربا ؟ هل يقترف المنكرات ؟ كلا إن صاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي ، إذ لا يطول أمد غفلته عن الله تعالى ، وإذا نسي وألمّ بشئ منها يكون سريع التذكر ، قريب الفئء والرجوع بالتوبة الصحيحة (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) .

وهذا هو روح الصوم وسره يورث هذه المراقبة ، وهذا هو معنى كون العمل لله تعالى ، ويؤيد هذا ماورد من الأحاديث المتفق عليها ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

فيا أيها العبد المؤمن أنت المخاطب بهم هذه الأشياء والعمل بها ، والتحلي

بتهوى الله تعالى في شرك وجهرك ، وأما إذا لم تفهمه ، ولم تجتهد في تفهمه ، فأنت المحروم من فضل ربك ، كما صرت محروما من فهم كلامه الذي وجهه إليك ، فتنبه وتدبر ولا تكن من المحرومين ، كأكثر من يدعى الإسلام من المسلمين الجغرافيين اليوم .

الآية السادسة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) .

قد خاطب الله تعالى المؤمنين كافة وعامة ، عربهم وعجمهم ، شريفهم وغبهم ، آمراً إياهم بأن يدخلوا في حقيقة المسألة والاتحاد عامة ، ويكونوا عباد الله المؤمنين إخواناً ، وبهذا يرشدنا الله تعالى إلى أن شأن المؤمنين الاتفاق والاتحاد والمسألة ، ولهذا قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » .

وقد شرف الله تعالى أهل الإيمان بهذا الخطاب . والسلم : المسألة والانقياد والتسليم ، والسلام والصلح ودين الإسلام ؛ فمعنى الآية : تمسكوا واعملوا بجميع شرائع الإسلام ، فهذا يوجب علينا أن ننظر في جميع ما جاء به الشارع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل مسألة قولاً وعملاً ، وأن نفهم المراد من ذلك كله ، لأن يأخذ كل واحد بكلمة ويجهلها حجة على الآخر ، أو تحكيم الاحتمال بلا حجة ولا دليل ، أو تعصب للمذاهب ، والله تعالى يرشدنا بهذه الآية أن نكون نحن المسلمين على منهج واحد في الدين ؛ ونحن نجد في كلام كثير من علمائنا مثل هذا الكلام والدعوة إلى الاتفاق ، ولكن بسده فشو الجهل ، وتعصب أهل الجاه من العلماء لمذاهبهم التي إليها ينتسبون ، وبجاهها يعيشون ويكرمون ، وتأيد الأمراء لهم استعانة بهم على إخضاع العامة ، وقطع طريق الاستقلال العقلي والنفسي على الأمة ، لأن هذا أعون لهم على الاستبداد .

وهذه الآية تنبئ على (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) : أي أجزاء ، حيث آمنوا ببعض

وكفروا ببعض (فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، وإنكار على الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض . أى يعملون ببعضه على أنه دين ويتركون بعضاً بالتأويل أو دعوى النسخ ، ولاشك أن الأخذ بالقرآن والدين بجملته واجب على كل مؤمن ، وكذا فهم معناه ، وفهم هدايته فتدبر .

وهذه الآية كآية (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا نَفَرُوا) وكآية (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَرُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) ولكن يا أسفا نحن قد خالفنا كل هذه الفصوص ، فتفرقنا وتنازعنا ، وشاق بعضنا بعضاً بشبهة الدين ، إذ اتخذنا مذاهب متفرقة ، كل فريق يتعصب لمذهب ، ويعادى سائر إخوانه المسلمين لأجله ، زاعماً أنه ينصر الدين وهو يخذله بمفريق كلمة المسلمين . هذا سني يقاتل شيعياً ، وهذا شيعي بنازل أباضياً ، وهذا شافعي يعزى التاتار على الحنفية ، وهذا حنفي يتيس الشافعية على الذميسة ، وهؤلاء مقلدة الخلف يحادون من اتباع طريق السلف ، وسببه الانحراف عن الصراط المستقيم بسبب الجهل بمعنى كلام رب العالمين ، اتباعا لخطوات الشيطان الرجيم .

ولهذا قال الله تعالى : (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) أى لاتسروا سيره ، ولا تتبعوا سبله في التفرق في الدين ؛ وسبل الشيطان وخطواته هي كل أمر يخالف سبيل الحق والخير والمصلحة العامة ، ولاشك أن الذين يتبعون سبيل الله لا يتفرون في الدين . قال الله عز وجل : (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) ، وأهل الحق إذا دب فيهم تنازع يرجعون حالاً إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فالآيات يفسر بعضها بعضاً ، وطريق الحق هو التوحيد والوحدة والإسلام ، وطرق الشيطان هي مشاراة التفرق والحصام ، والشيطان يزين طريقه ؛ فيا أيها المؤمن تفهم خطاب ربك العليم الحكيم ، واعمل به تكن سالماً من العذاب والنكال في الدنيا والآخرة ، وإلا تكن خاسراً من حزب الشيطان الرجيم ، فتنبه .

الآية السابعة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

قد نادى الله تعالى ومخاطب المؤمنين من عباده آسراً إياهم بإنفاق الأموال في سبيل الله ومرضاته ، وإعلاء شرعه وكلماته ، ونشر دينه ، ومصالح عباده المؤمنين ، وترتبة الأيتام والعاجزين ، مما رزقهم الله تعالى في هذه الحياة الدنيا قبل فوات الفرصة ، وألا يغتروا بدجل الدجالين الذين يفتنون الناس بأنهم وأسلافهم يشفعون في حقهم يوم القيامة ، ويقيسون الله العلي العظيم والذلي الحكيم بالخلوقين من الأمراء والحكام بأنهم بإرشائهم إياهم يستميلونهم رعاية لمالهم ودولتهم ، فيظن الغر المفتون أن دار الآخرة كذلك ؛ فالله تعالى رب المالمين نبههم بأنه لا ينفع يوم القيامة لا الأخلاء ولا المشائخ ولا المال ولا السلطان ، وإنما ينفع العبد المؤمن إيمانه وعمله الصالح الخالص لله عز وجل ، فلا تكفروا نعم الله بالبخل ، وترك الإنفاق في مرضاة الله ووضعها في غير موضعها .

والوثنيون كانوا يظنون أن الإنسان يمكن أن ينجو في الآخرة بفداء يفتدي به أو شفاعة من سلفه الربانيين ، كدأب الأمراء والسلطين ؛ وقصارى هذا الاعتقاد أن سعادة الآخرة هي كالمروف للعامة من سعادة الدنيا ؛ فمن كان يطلب في الآخرة السعادة فعليه أن يعتمد على أحد المقر بين عند الله ليشفع له هناك ، وقد رد الله جل جلاله عليهم رداً ظاهراً ، وأمر المؤمنين مخاطباً إياهم أن يطلبوا مرضاة الله بإنفاق أموالهم في سبيل الله في هذه الحياة الدنيا ، ولا يكونوا كافرين بأصل الدين ، فإنه لا ينفع يوم القيامة بيع ولا خلة ولا شفاعة .

والحاصل أيها العبد المؤمن لا تعتمد على مالك وتجارتك وجاهك وشيخك ، وآبائك وعلمك وفضلك ، فإنه لا ينفعك شيء من ذلك ، بل يكون وبالاً وحسرة عليك ، وإنما ينفعك إيمانك بالله ، وامتنال أمره خالصاً له ، والكافرون انعم الله وفهم كلامه ، وامتنال أمره هم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم وهم لا يشعرون .

الآية الثامنة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين ناهياً إياهم عن الأخلاق الذميمة مما يبطل الصدقات والحسنات ، ألا وهو المنّ والمنة والأذى ، نهى المؤمنين خاصة بمسد أن يرغب إلى الإنفاق في سبيل الله وإعلاء كلمته ومصالح المساهمين ، لأن الذي ينفق بما أنفق وتصدق يوم القيامة إنما هو المؤمن بالله واليوم الآخر ، المخلص لله تعالى وحده ؛ ثم مثل الله تعالى الذي يرأى أو يمن بالتراب والغبار الذي على الحجر الأملس ؛ يظن الرأى له أنه تراب يصلح للزرع ويحوى ، ولكن إذا جاء المطر الشديد أزاله بالكلية ، وترك الحجر صلداً ، فهكذا لا يقدر المرأى والمنان على شئ مما كسب يوم القيامة ، حينما يكون أحوج إليه ، لأن الله تعالى لا يهدي القوم الكافرين إلى الحق ، ولا ينور بصرهم وبصيرتهم ، لعدم صلاحيتهم للفضل والرحمة .

فيا أيها العبد المؤمن أنت الخاطب بهذه المواعظ والنصائح ، فعمليكَ أن تفهمها وتمتظ بها ، وإلا تكن جاهلاً غافلاً بل كافراً ، ومن نتيجة هذا الجهل نرى أكثر الناس يراعون في الأعمال ، ويتظاهرون بالصلاح والدين لأجل الناس والمصالح الدنيوية ، ولذا قلّ النفع والانتفاع فيما بين الأمة في هذه الحياة الدنيا ؛ وأما في الآخرة فعدم النفع بالكلية ، لأن شرط قبول العمل ونفعه في الآخرة كونه صادراً عن الإيمان بالله تعالى ومخلصاً له تعالى ، والمرأى والمنان ليس بمخلص ، والكافر ليس بمؤمن ، (والله لا يهدي القوم الكافرين) لعدم صلاحيتهم ، وخبت طينتهم على ما يعلمه الله تعالى ، فنعوذ بالله من الشرك والكفر والرياء ، وكل ما يمحبط العمل ، كما نستعين به تعالى من الشيطان وخطواته ووساوسه والشرك والنفاق .

واعلم أن الإنفاق في سبيل الله من أشق الأور على النفوس ، لاسميا إذا اتسمت دائرة المنفعة الدينية ؛ وأما الإنفاق لهوى النفس فسهل ، ولذا ترى الإنفاق لنشر علم الدين قليلا ؛ وأما لما يظن فيسهه المنفعة الدنيوية من الحساب والفلسفة والإنكليزية ، فتجده كثيرا محتفى به كل الاعتناء .

المن : هو أن يذكر المحسن إحسانه لمن أحسن إليه ، يظهر به تفضله عليه ، والأذى أعم منه ، ومنه أن يذكر المحسن إحسانه لغير من أحسن إليه ، وهذا ربما يكون أشد عليه مما لو ذكره له ، أو يتناول عليه بسبب إنعامه عليه ، وكل واحد من المن والأذى كافٍ وحده لإحباط العمل ، وعدم استمتاع الثواب على الإنفاق ؛ وقد خص الله تعالى المؤمنين بهذا الخطاب وأمثاله ، ونهاهم نهياً صريحاً أن يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى ، مبالغة في التنفير عن هاتين الرذيلتين ؛ وقد مضت سنة الله عز وجل بأن الإيمان هو الذي يهدي قلب صاحبه إلى الإخلاص ، ووضع النفقات في مواضعها ؛ فالكافر بمقتضى هذه السنة محروم من هذه الهداية التي تجمع لصاحبها بين صلاح القلب والعمل ، وسعادة الدنيا والآخرة .

الآية التاسعة فيها أيضا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ، وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين أمراً بإيهم أن ينفقوا ويتصدقوا من أطيب أموالهم ؛ كما أمرهم في الآية السابقة بأن ينفقوا بخلوص نياتهم ، وحسن طوياتهم ، لنفع عباد الله ، طالباً ثوابه من الله عز وجل . والطيب : هو الجيد المستطاب ، وضده الخبيث المنكر ، ولذلك قال في مقابل هذا الأمر (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ) والطيب الحلال ، والخبيث الحرام ، فينبغي أن يعطى المذكي من أوسط أمواله بل من أعلاها لا من حشفه ورديته ، ويؤيد هذا قوله تعالى : (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) .

وكيف تقصدون إعطاء المسال الخبيث والحرام والردى، الذي في سبيل الله
ولستم ترضون لأنفسكم أن تأخذوه إلا إذا تساهلتم مع نمض السين ، وإهداء الردى
يُشمر بقلة احترام المهدي إليه ، ولا شك أن ما يُبذل في سبيل الله وابتغاء مرضاته
هو كالأعلى له ، فيوجب على المؤمن أن يجعله من أجود ما عنده وأحسنه ، ليكون
جديراً بالقبول ، فإن الذي يقبل الردى مضمضاً فيه إنما يقبله لحاجته ، والله تعالى
لا يحتاج أصلاً ، بل غنى عن ذلك وعن كل الأشياء ولذلك قال : (وَاعْمَلُوا أَنْ
اللَّهُ غَنِيٌّ تَحْمِيدٌ) ولم يبق بعد هذا الترغيب والترهيب والتسليم الكامل والتأديب
الشامل إلا أن يكون المؤمن بهذا المهدي أشد الناس رغبةً في الصدقة والإنفاق
في سبيل الله بحسب سعته وحاله ، وأن يكون في بذله مخلصاً متحرراً من مواقع الفائدة ،
مبتعداً بعد البذل عما يذهب بشمرته من المن والأذى والرياء ، واسكنك تجد كثيراً
من اللابسين لباس الإيمان يتقلبون في النعم وهم أشد الناس لها كفرةً ، إذ كانوا أشد
الناس إمساكاً وبخلاً ، فاعتبر أيها المؤمن ، وتفهم خطاب رب العالمين ، ولا تضيع
أهليتك فيما لا فائدة فيه من الأشعار والمدائح والخرافات والترهات وسفاسف
الخيالات فتكون من المحرومين الهالكين .

الآية المباشرة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ
مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَإِنْ تَابْتُمْ فَلكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) فقد نادى الله
تعالى وخاطب عباده المؤمنين آمراً بإهم بأن يتقوه ، ثم أمرهم بترك ما بقي من الربا
الذي كانوا يرابونه في الجاهلية ويتحززون عنه كل الاحتراز (إن كنتم مؤمنين) أي
إن كان إيمانكم كاملاً صادقاً بجميع ما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الأوامر والنواهي ، فذروا ما بقي من الربا . يؤخذ منه أن من لم يترك ما بقي من
الربا بعد نهي الله تعالى عنه ، وتوعده عليه لا يعدُّ من أهل الإيمان ، ومن الناس
من يؤمن ببعض الكتاب إيماناً يبعث على العمل ، ويكفر ببعض فلا يدعن له

ولا يعمل به فهو يجحد به فعمله وإن أقر به بلسانه ، ولا يعتد الله تعالى بإيمان مثل هذا إلا إذا صدق قلبه عمل لسانه .

فيا أيها المؤمنون إن لم تتركوا ما بقي من الربا كما أمرتم ، فاعلموا واستيقنوا أنكم على حرب من الله ورسوله ، إذ نبذتم ما جاءكم به رسوله بالخروج عن الشريعة وعدم الخضوع للحكم ، وهذا يقتضى أن يكونوا عالمين بذلك ، فهذا إعلام من الله تعالى للمسلمين بأنكم خارجون عن حكم الله ورسوله ، محاربون لها مادتم تتعاملون بالربا ، فبعد هذه النصوص ألا يجب على المسلمين أن يجتهدوا في تفهم كلام ربهم ، ولاريب أن العمل بلا علم وفهم لا يكون صحيحاً مستقيماً ، ولكن المسلمين في ظلمات الجهالة مغمسون ، وفي ردغات التقاليد متلوثون ، فلهذا تراهم من فهم كلام ربهم محرومين ، وهذه مصيبة عظيمة ابتلى بها المسلمون ، (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

الآية الحادية عشرة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ، وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ ، وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ، فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ، أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِئَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَرِثَهُ بِالْعَدْلِ ، وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ، وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ، وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ، ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ ، وَأَدْنَىٰ أَنْ لَا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ، فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ، وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ، وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ، وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا

فَرِهَانَ مَشْبُورَةً ، فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ ،
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَلَا تَكْفُرُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَيَنْهَ آيْمُ قَلْبِهِ ، وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ .

قد نادى الله تعالى وخاطب بهذه الآية العظيمة عباده المؤمنين خاصة أيضاً ،
وأمرهم وأرشدهم إلى ما فيه صلاح دنياهم ومآلاتهم ، وضبط أهوالهم ، وحفظ حقوقهم ،
وتوثيق ذلك بكتاب عدل ، وشهادة شاهدين ؛ فانظر إلى هذا الإرشاد الإلهي ،
وتفهم معانيه ، ولاحظ منافعه وفوائده ، فإنه يرقبك إلى المدينة العليا ، والإنسانية
العظيمة ، وقد أمر الله تعالى بكتابة الدين والإشهاد عليه ، وأخذ الرهن إذا لم يتيسر
الاستيثاق بالكتابة والإشهاد ، وذلك أن من يضيع ماله بإهمال المحافظة عليه لا يكون
محموداً عند الناس ولا مأجوراً عند الله ، لأن المال وقاية للحياة والمرضى ، وإنما
اللازم اكتسابه من طرق الحل ، وإنفاقه في سبيل الخير والبر ، قال الله العزيز الحكيم :
(وَلَا تَوْتُوا الشُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) أى تقوم وتثبت
بها منافعكم ومصالحكم ؛ والدين الذى أمر الله بكتابته عام يشمل القرض والسلم ،
وبيع الأعيان إلى أجل ، وحيث إن الله تعالى أمر المتدينين بالكتابة ، فهذا
يستلزم عليهما تعلم الكتابة وإتقانها ، لأن ما يتوقف عليه الشيء الضرورى
ضرورى .

وقد أرشد الله تعالى إلى أن يكون بين المتعاملين كاتب يكتب بالعدل بلا ميل
ولاحيف ، والعدل فى الكاتب يستلزم كونه عالماً بالحقوق والشروط ،
فالعدل يهذى الكاتب إلى العلم ، وأما العلم فلا يهديه إلى العدل ، فهذا لا يقع الفساد
من العدل ، وإنما يقع الفساد من العلماء الفاقدين لصفة العدالة كما لا يخفى .

وبهذا قد أرشد الله تعالى الأمة الأمية إلى نظام المدنية العليا ، لحفظ الحقوق
والأحكام فيها حتى لا يقع التنازع ، ثم أكد تعالى ذلك بقوله عز وجل :
(وَلَا تَسَاءَلُوا أَنْ تَكْتَبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلٍ) أى لا تملوا ولا تضجروا

أولاً تكساوا من كتابة الدين والحق سواء كان قليلاً أو كثيراً ، فهذا دليل ظاهر على أن الكتابة يعمل بها ، وأنها من الأدلة التي تعتبر عند استيفاء شروطها ، ودليل أيضاً على أن الكتابة واجبة في القليل والكثير ؛ ففي الآية إرشاد إلى عدم التهاون بشئ من الحقوق أن يذهب سدى ، وهي قاعدة عظيمة من قواعد الاقتصاد ، والمحل بها آية الكياسة والمقل (ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) الآية ؛ الخطاب المؤمنين ، والإشارة في « ذلكم » إلى جميع ما ذكر من الأحكام لا لواحد منها (وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا) وأقرب إلى انتفاء ارتياب بضمك ببعض ، فإن هذا الاحتياط في كتابة الحقوق والإشهاد عليها ، وتقوى الله ، والعدل من التعاملين ، والكتاب والشهداء ، يمنع كل ريبة ، وكل ما يترتب على الارتياب من المفساد والعداوات والخصومات .

(إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ لَا تَكْتُبُوهَا) أى نقداً بنقد ، ويذا بيد ، بأن يأخذ المشتري المبيع والبائع الثمن فلا حرج في ترك كتابتها ولا إثم ، ففي نفى الجناح إشارة إلى أن كتابة ذلك أولى وأضبط ، فهو إرشاد إلى استحباب ضبط الإنسان لماله وإحصائه ، لما يرد عليه وما يصدر عنه ، وذلك من الكمال المدنى ، ومن أسباب ارتقاء أمور الكسب والتجارة ، ولم يجعل الله تعالى هذا حتماً لأنه مما يشق على غير المرتقين في المدنية ، والترخيص فيه دليل على وجوب كتابة الديون المؤجلة فتمنبه .

ثم حتم الله تعالى بالموعظة التي تعين النفس على الامتثال في جميع الأعمال فقال : (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) أى اتقوا الله في جميع ما أمركم به وما نهاكم عنه ، وهو تعالى يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم ، وحفظ أموالكم ، وتقوية رابطتكم ، وهو سبحانه العليم بكل شئ ، فإذا شرع شيئاً فأعما يشرعه عن علم محيط بأسباب دره المفسد ، وجلب المصالح لمن اتبع شرعه ؛ وكرر الله لفظ الجلالة لكمال التدكير ، وقوة التأثير .

فحيث أن الله تعالى خاطب المؤمنين أصراً إياهم بكتابة الدين وحفظ الحقوق ،
يجب على كل مؤمن عاقل بالغ معرفة هذا الخطاب والعمل بمقتضاه ، وليس فيه
حرج أصلاً ، لأن الإنسان قابل للتعلم والنتهم ، وإن كان يرى في بادئ الرأي حرجاً
وصعباً ، ولكن في الحقيقة هو عين السهولة واليسر ؛ فالتعلم بالتحريج باطل ؛
كما أن التعلل بالتحريج في تحريم أنواع الشرك والمعاصي واجتنابها باطل ؛ فكما أنه
لا يجوز أن يكون أحد من البشر مشركاً بنوع ما من أنواع الشرك ، كذلك لا يجوز
أن يفرض في شيء من الحقوق ، فالحق الختم عليك أيها الإنسان أن لاتضيع أهليتك
لفهم خطاب ربك الذي هو أرحم لك من نفسك ومن والديك ، وألا تكون محروماً
كالجورمين من المشركين والمجوس وعبدة الأوثان وسدنة القبور وعبادها فتكون
من أهل الخسران

ولكن الأسف كل الأسف أن المسلمين محروم أكثرهم من هذه المزية
الإنسانية ، والكالات المدنية ، فإن أكثرهم لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ، وخصوصاً
أهل البدو وأهل القرى ، حتى إن من علماءهم من لا يعرف الكتابة ، فلهذا قد
ضاعت الحقوق فيما بينهم ، وكثر التخاصم والدعاوى ، فشاع الظلم والعدوان ؛
وأكثر هؤلاء إنما يقرءون القرآن للتعيش في المحافل والمآتم ، ولا يعرفون من معانيه
شيئاً ، فصار أكثرهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، فداستهم الطائفة التي أتقت هذه
الأمور ، وعملت بما يتعلق بإصلاح شؤون الحياة البشرية ، كالانكياز والأمر بكان
والروس والفرنسويين ؛ والقرآن الكريم وإن كنا نحن مؤمنين بأنه كلام الله تعالى
ونحفظه ونتلوه ونحتمه ، ولكن عن فهم معانيه جاهلون ؛ فهو حجة علينا ونحن
غافلون ؛ فيما أيها المسلم انتبه من غفلتك ، واستعمل عقلك ، وتدبر ونفهم كلام ربك
لتكون عبداً لله مخلصاً ، فيكفك كل حاجاتك دنيا وأخرى ، وينصرك على أعدائك
نصراً مبيناً ، (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ — إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ) .

الآية الثانية عشرة في سورة آل عمران : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا

فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ .

قد خاطب الله تعالى المؤمنين ، محذرا إياهم عن فتن أهل الكتاب ودسائسهم وكذا سائر الكفار ، لأن مقصود الكفار إنما هو إدخالكم في الكفر كأنفسهم كما قال الله تعالى : (وَأَن تَرْضَىٰ عَذَابَ الْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) . وقد علم بلا شك أن أهل الكتاب قد سلكوا سبل التأويل في الكتاب فحرفوه وانصرفوا عن هدايته إلى تقاليد وضموها لأنفسهم ، فإذا أطمعتموهم وسلكتم مسالكهم فإنكم تكفرون بعد إيمانكم .

والحاصل أن طاعة أهل الكفر أي كافر كان يردكم آخرأ إلى الكفر ، فالسلامة في عدم إطاعتهم ؛ فيجب على العبد المؤمن أن لا يطيع كافراً ، ولا يسكن معه ، لأنه إنما يقصد إخراج المؤمن عن إيمانه ، ولهذا ترى الذين أطاعوا الكفار وانخدعوا بعطاياهم ، قد انسلكوا من الإيمان كلياً وجزئياً بإدخالهم في الدين الحمدي ما ليس منه كالرهبانية ، والطريقة المحدثه ، والمذاهب المخترعة ، والانحناء عند اللقاء ، واعتقاد تصرف الأرواح ، وأنها تعلم الغيب فتعين من تحبه من مخلصيه ، وتضر من تبغضه ، فكل هذا نتيجة جهلهم بمهاني أوامر الله عز وجل ، واختلاطهم بفريق من أهل الكتاب والمشركين من عبدة القبور والأرواح ، وسدنة اللات والعزى ، فإن الله وإنا إليه راجعون .

الآية الثالثة عشرة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) .

قد خاطب الله تعالى المؤمنين وناداهم أمراً إياهم بأن يتقوه حق تقواه ،

أى بانفوا فى التقوى حتى لاتتركوا من المستطاع منها شيئاً (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) أى استمروا على الاسلام ، وحافظوا على أعماله حتى الموت ، لأن المرء يموت غالباً على ما عاش عليه ، فإذا عاش على اليقين والتقوى حق التقوى والاحتراس مما ينافى الإسلام مات على ذلك بفضل الله الذى أجرى هذا من سنته (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُّهُ لِيُخْرِجَهُ) .

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اعْمَلُوا فَكُلُّ مُسِرِّرٍ لِمَا خَلَقَ لَهُ » .

ثم بين الله تعالى لنا ما به يتمحق ذلك الأمر والنهى فقال : (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) حبل الله هو القرآن كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن كان معتصماً به كان آخذاً بالاسلام ، وإنما الاجتماع فى نفس الاعتصام ، فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه ؛ إليه نجتمع ، وبه نتحد ، لاجنسيات نتمها ، ولا بمذاهب نبتدعها ، ولا بمواضعات نضمها ، ولا بسياسات نخترعها . ثم نهانا عن التفرق والانفصام ، بعد هذا الاجتماع والاعتصام ، لما فى التفرق من زوال الوحدة ، التى هى معقد العزة والقوة ، وبالعزة يعتز الحق ، فيعملو فى العالمين ، وبالقوة يحفظ هو وأهله من هجمات الوثابيين ، وكيد الكائدين . وهذا كقوله تعالى :

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)

فمن هذه السبل المتفرقة إحداث المذاهب والشيع فى الدين ، ومنها عصبية الجنسية الجاهلية ، وقد اعتصم أهل أوروبا فى هذا العصر بالعصبية الجنسية ، كما كانت العرب فى الجاهلية ، فسرى سم ذلك إلى كثير من متفرنجة المسلمين ، فحاول بعضهم أن يجعلوا فى المسلمين جنسيات وطنية ، مخادعين للناس بأنهم بذلك ينهضون بالوطن ويعلمون شأنه ، كالأتراك الكماليين ، فبذلك انخلعوا عن الدين وهم لا يشعرون ؛ فيا أيها المسلمون أما تفيقون من سكرتكم ، وأما تنتهبون من غفلتكم ، فترجعون إلى كتاب ربكم ، وتعلمون أمر مولاكم ، فتعتصمون بحبله المتين ، وتناولون العز والسعادة فى الدنيا والدين والآخرة ؟ وإلا فياحسرة عليكم

في الدارين ، وتكونون أعوبة في أيدي المستعمرين من شياطين البلاشفة والإنكليز والأمريكان ؛ ولا تغتروا أيها الإخوان المؤمنون بترهات المشايخ الدجالين وأرباب المذاهب الخوانين ، فإنها لا تسمن ولا تغني من شيء ، وإنما هي عين الضلال والخسران فتغبه .

الآية الرابعة عشرة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِن دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ خَبَالًا وَذُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) .

قد نادى الله تعالى المؤمنين وخاطبهم بهذه الآية ، فهاهم عن اتخاذهم الأحاب والأصدقاء والوزراء وأهل الشورى من غير المؤمنين ، من المشركين والوثنيين وأهل الكتاب والملحدون والزنادقة ، وعبدة الأرواح والقبور (لا يؤولونكم خبالاً) أي لا يوقعونكم في الفساد ، أو يقصرون في مصالحكم (وَذُوا مَا عَنْتُمْ) في الحقيقة هم بمقتضى طبيعتهم ، يودون عنقكم ومشقتكم الشديدة ، ووقعكم في الضيق والفتنة ، فبذلك يصلون إلى مقاصدهم (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ) وظهرت من كلماتهم الصادرة (من أفواههم وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ) من الحسد والعداوة وسوء القصد (أَكْبَرُ) وأشد ، فإنهم يتربصون بكم الدوائر ، وهذا قطعي لا شك فيه .

فإصل المعنى أن الله تعالى نهى المؤمنين أن يتخذوا لأنفسهم بطانة وصاحب سرٍّ ومشورة من الكافرين ، لأنهم لا يؤولونهم ما استطاعوا خبالاً وإفساداً لأمرهم إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، ولأنهم يمتنون عنقكم ووقعكم في الشدة والضرر الشديد والمشقة والضيق ، فبذلك يحصلون مرادهم ؛ وقد أقام الله تعالى العلامات الفارقة بين من يصاح أن يتخذ بطانة ، ومن لا يصلح أن يتخذ لخيانته ، وسوء عاقبة مباطنته ، فاعتبروا إن كنتم تعقلون ، فالذي يصلح للبطانة صاحب عقل ودين وحزم وصدق ، ودراية وتجربة ؛ وأما الذي لا يصلح فأجنبي دخيل لا يتصل بصاحب الملك في جنس ولا دين ، فمثل كمثل أجير في بناء بيت لا يهيمه إلا استيفاء أجرته إذا صدق في العمل ،

فهو إذا فقد الميش فارقها وارتد إلى منبته الذي ينتسب إليه ، وهذا بمقتضى الطبيعة إذا خلا عن أعراض آخر .

ومن تتبع التواريخ التي تحكى لنا عن سنة الله في خلقه ، وتصريفه لشئون عباده ، رأى أن الدول في نموها وبسطها ما كانت مصنوعة إلا برجال منها يعرفون لها حقها كما تعرف لهم حقهم ، وما كان شيء من أعمالها بيد أجنبي عنها ، وأن تلك الدول ما انخفض مكانها ، ولا سقطت في هوة الانحطاط إلا عند دخول العنصر الأجنبي فيها ، وارتقاء الغرباء إلى الوظائف السامية في أعمالها ، فإن ذلك كان في كل دولة آية الخراب والدمار . انظر إلى سقوط الدولة الأموية ، ثم سقوط الدولة العباسية ، ثم سقوط الدولة التركية العثمانية .

ولهذا يحق لنا أن نأسف غاية الأسف على أمراء الشرق من المسلمين ، حيث سلموا أمورهم ، ووكلوا أعمالهم للأجانب عنهم ، بل زادوا في موالاته الغرباء والثقة بهم ، وغفلوا أنهم إذا أوتمنوا خانوا ، وإذا عززوا أهانوا ، يقابلون الإحسان بالإساءة آخرأ ، والركون إليهم بالجفوة والثقة بهم بالخدعة ؛ أما أن لأمرء الشرق أن يدينوا بأحكام الله التي لا تنقض ، ألم بأن لهم أن يرجعوا إلى حسبهم ووجدانهم ، ألم يأت وقت يعملون فيه بما أرشدهم كتاب الله ، ويتنورون بنوره ؛ ألم تنبههم الحوادث ؟ فيما أيها الأمراء العظام مالكم والأجانب عنكم ؟ قد علمتم شأنهم مكارون غدارون ، وعليكم أيها المسلمون أن تعلموا أولادكم معاني كتاب ربكم ، فيفهموه ويعملوا به ، في كل ما أرشد في الدين والدنيا والتجارة والسياسة والصنعة والهندسة ، حتى يفوزوا بسعادة الدنيا ، ويعيشوا أحراراً كراماً إلى أن يفوزوا بسعادة الآخرة أيضاً ، ولا شك أن كلا من سعادة الدنيا والآخرة لا تحصل بالأمانى بلا عمل ، فعليكم بالعمل بالجد والاجتهاد .

الآية الخامسة عشرة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا

مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ .
وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) .

فيا أيها الإنسان المتصف بصفة الإيمان أعمل عقلاك ، وافهم كلام ربك ،
فلا تعامل بالربا ، ولا تأكله أضافاً مضاعفة بمرور الأشهر والسنين ، ولا تعظم أخاك
بأخذ ماله بغير حق ، لأن دين الإسلام مبني على تهذيب النفوس ، وإصلاح حال
المجتمع ، لا توفير ثروة بعض الأفراد من أهل الأثرة ، والإسلام دين الإنسانية ،
لا دين القسوة والبخل واستغلال ضرورة المحتاج .

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله في أهل الحاجة والبؤس ، فلا تحملوهم من الدين
ما يخرب بيوتهم (لعليكم تفلحون) في دنياكم بالتراحم والتعاون فتتحابون ، واحببة
أس السعادة ؛ وأما الكافرون الذين قست قلوبهم ، واستحوز عليهم الطمع والبخل
فأعد الله تعالى لتمذيبهم نار جهنم (١) .

فأنتم أيها المؤمنون لا تكونوا مثلهم ، بل اتقوا الأعمال التي تصير سبباً لدخول
فاعلها نار جهنم (واطيعوا الله والرسول) فيما نهى عنه من أكل الربا (لعليكم ترحمون)
في الدنيا بما تفيدكم الطاعة من صلاح مجتمعتكم ، وفي الآخرة بحسن الجزاء على
أعمالكم ، فإن الراحمين يرحمهم الرحمن جل جلاله .

الآية السادسة عشرة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا اللَّهَ
كُفَرُوا وَيَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَقَّلُوا خَاسِرِينَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين منبهاً إياهم أنهم إذا أطاعوا الكفرة
رغبة فيما عندهم من المال والمنال يردونهم عن دينهم ، ويهدمون إيمانهم ، وهم
لا يشعرون ، فينقلبون خاسرين ، كما هو شأن الكفار مع المسلمين في كل زمان
ومكان ، من وقعة أحد إلى الآن ، وإلى يوم الدين . يعني إذا أطعتم الكفار ،

(١) جهنم البلاشفة في الدنيا كما ابتلى بها أهل روسيا وبخارى . وأما في الآخرة فنار جهنم
الدائمة ، أعادنا الله تعالى منها .

وطلبتهم منهم الأمان ، وكانت حالكم معهم كحال المغلوب مع الغالب يتولون عليكم حتى يردوكم عن دينكم استدراجاً ، فتقلبوا خاسرين للدنيا والآخرة ، كما صارت حال أمير فرغانة « خدایا رخان » ، وأمير بخارى وخوارزم عبد الأحد خان ، وعالم خان واسفنديارخان ، وكما نشاهد اليوم أن كثيراً ممن يدعى الإسلام ، يطيع الكفار ويميل إليهم ويخضعهم لما عندهم من المال ، فينخلعون عن الدين باسم المدنية ، ويسلمون أولادهم إلى مدارسهم ، فهم يعلمونهم اللادينية والدهرية وهم لا يشعرون ، وإنما يكتبون بالاسم الخالي عن المسمى ، فيهدمون الدين هدماً ، كما هو مشاهد في أكثر البلدان ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

الآية السابعة عشرة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ، لِيَجْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمَيِّتُ ، وَاللَّهُ نِعْمَ تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

قد نادى الله تعالى وخطب عباده المؤمنين ، ناهياً إياهم أن لا يكونوا كالكافرين في الاعتقاد الفاسد ، والإفساد بين العباد ؛ والكافرون يقولون : لو لم يسافر فلان لم يميت ، ولكن سافروا للتجارة أو للكسب أو للغزو فماتوا أو قتلوا ، وقد قرن الله تعالى هذا القول بالكفر للإشعار بأن مثله لا ينبغي أن يصدر عن مؤمن ، لأنه إنما يصدر عن الكافرين ؛ وقولهم هذا باطل عقلاً ودينياً ؛ أما عقلاً فإن هذا القول مخالف للعقول ، مصادم للوجود ، فإن من مات أو قتل فقد انتهى أمره ، وصار قول : لو كان كذا عبثاً ، لأن الواقع لا يرتفع ، والحسرة على الفاتت لا تنفيد ؛ ومن شأن المؤمن أن يكون صحيح العقل ، سليم الفطرة ، ولذلك قد وجه الله تعالى الخطاب إلى العقلاء ، وبين أن أولى الأبواب هم يعقلونه ويتذكرون به ، ويقبلون هدايته .

وقال الله تعالى فيمن لا إيمان لهم : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ، لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)
وأما ديناً فهذا القول يدل على جهل فائله بالدين أو جموده ، فإن الدين يرشد إلى تحديد الآجال ، وكونها بإذن الله تعالى كما لا يخفى (وَاللَّهُ يُخَيِّمُ وَيُمَيِّتُ) ، أى والحقيقة أن الله تعالى يخفي من يشاء بمقتضى سننه في بقاء أسباب الحياة وإن طوى بالأسفار بساط كل بر ، ونشر شرع كل بحر ، وخاض معامع الحرب ، وصارع الأهوال والخطوب ؛ ويميت من يشاء بمقتضى سننه في أسباب الموت ، وإن اعتصم في الحصون المشيدة ، وحرس بالجنود المجددة (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) ، فلا يخفى عليه ما تكتنون في أنفسكم من الاعتقاد ، وما يؤثر في قلوبكم من الأقوال والأحوال ، فاحرصوا على أن يكون ترككم لأقوال الكفار ناشئاً عن طهارة نفوسكم من وساوسهم .

فيا أيها المؤمنون اجتهدوا في سبيل فهم كلام ربكم الحكيم ، ولا تضيعوا عمركم وحياتكم في القيل والقال من مقالات أصحاب الجحيم .
الآية الثامنة عشرة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

قد نادى الله تعالى المؤمنين وخاطبهم آمراً بإيهم بالصبر والدوام على امتثال الأوامر ، والانتهاز عن المناهي مع تحمل ما يلحق من الأذى ، والمصابرة في مقابلة الأعداء الذين يقاومونهم ليغلبوا على أمرهم ، وربطوا الخيل كما يربطونها ، استعداداً للجهاد بحسب كل وقت وزمان ، واتقوا الله أيها المؤمنون لعلمكم تفلحون ؛ يكبر الله تعالى من هذه الوصية ، ومع ذلك نرى المسلمين قد انصرفوا عنها البتة حتى صار التقوى عند الناس هو الأهلل الذي لا يعقل مصلحته ولا مصلحة الناس ، والأبله الذي هو أجهل من حمار توما ، ولا شيء أشأم من فهم التقوى بهذا المعنى ؛ والتقوى أن تقى

نفسك من الله ، أرى من غضبه وسخطه وعمق بته ، ولا يمكن هذا إلا بعد معرفته ، ومعرفة ما يرضيه وما يسخطه ، ولا يعرف هذا إلا من فهم كتاب الله تعالى ، وعرف سنة نبيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيرة السلف الصالحين ، مطالباً نفسه بالاهتداء بذلك كله ، فمن صبر وصابر ورابط لأجل حماية الحق وأهله ، ونشر دعوته واتق ربه في مسائر شؤونه ، فقد أعد نفسه بذلك للفلاح ، والفوز بالسعادة عند الله تعالى ، وإرادة الفلاح الدنيوي من هذه الآية ظاهرة ، فإن الصبر ومصابرة الأعداء والمرابطة والتقوى كلها من أسباب الفوز على الأعداء في الدنيا ، كما أنها مع حسن النية ، وقصد إقامة الحق والعدل الذي هو شأن المؤمن من أسباب سعادة الآخرة ، وهذه الأعمال كلها اختيارية داخلية في مقدور الإنسان ، ولذلك أمر الله تعالى بها المؤمنين ، فعمله إذاً هو سبب فلاحه ؛ فعليكم أيها المؤمنون سواء كنتم عرباً أو عجماء ، شريكين أو غير بيين أن تفهموا أوامر ربكم فامتثلوها لعلكم تفلاحون .

وأما الذي يجهل هذه الأوامر ، ويقتصر على صور بعض العبادات ، ويقدم في التسكيات والزوايا فهو لا يفلح أبداً ، ولا ينال الخلافة أصلاً ، بل ينخمل في زوايا الحرمان خمولا كما هو المشاهد ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

الآية التاسعة عشرة في سورة النساء : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ، وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَبُنَّ عَنْهُنَّ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِمَا حِشَّةٍ مُّبِينَةٍ ، وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) .

قد نادى الله تعالى المؤمنين ، وخاطبهم بهذه الآية عامة من غير فرق بين عالم وجاهل ، وعربي وعجمي ، ناهياً إياهم عن العادات الجاهلية ، والمعاملات الحيوانية ، فقال (لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا) أي لا يحل لكم أيها المؤمنون بالله وبما أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن تستمروا على سنة الجاهلية في هضم حقوق النساء ، فتجعلوهن ميراثاً لكم كالأموال والعروض والعبيد ، وتتصرفوا فيهن كيف

تشاءون ، فإن شاء أحدكم تزوج امرأة من مات من أقاربه تزوج ، وإن شاء روجها غيره ، وإن شاء أمسكها ومنعها الزواج ، وهذا هو العضل ، والمضل التضيق والتشديد : أي لايجل لكم إرث النساء ولاعضوهن ، (أجل أن تذهبوا بيهن ما آتيتموهن) من ميراث أوصداق أوغير ذلك .

والخطاب لجميع المؤمنين لتكافهم ، فيصدق بما أعطوه للنساء من ميراث ومهر زواج وغير ذلك (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) أي ظاهرة معلومة كالزنا والنشوز وسوء الخلق الفاحش ، فإذا أتين بالفاحشة المبينة دون الظنة والشبهة ، وكذا إذا نشزن عن طاعتكم بالمعروف المشروع ، ولم ينفع معهن التأديب ، وساءت عشرتهن ، فلكم حينئذ أن تعضوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداق وغيره (وعاشروهن بالمعروف) أي يجب عليكم أيها المؤمنون أن تحسنوا عشرة نساءكم ، وهن يعاشرنكم كذلك ، فيا أيها المؤمن أنت الخطاب بهذه الأوامر ، وأنت الملزوم بالعمل بهذه الفضائل ، ومكارم الأخلاق ؛ فعليك السعي للتعلم حتى تفهم أوامر ربك ، فترتق من حيز الحيوانية إلى أعلى درجات الإنسانية ، فتعيش سعيداً ، وتصير عائلتك سعيدة ، ويصير أولادك سعداء .

الآية العشرون فيها أيضاً : (يأيتها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) .

قد نادى الله تعالى المؤمنين وخطبهم مخصصاً إليهم بالنهي عن أكل أموال إخوانهم المؤمنين بالباطل : أي لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق ؛ وإنما أضاف الأموال للجميع للتنبيه على تكافل الأمة في حقوقها ومصالحها ، كأنه تعالى يقول : إن مال كل واحد منكم هو مال أمتكم ؛ فإذا استباح أحدكم أن يأكل مال الآخر بالباطل كان كأنه أباح لغيره أكل ماله وهضم حقوقه ، لأن المرء كما يدين يدان ؛ فيجب على صاحب المال الخائز له بذله أوالبذل منه للمحتاج ؛ فكما لايجوز

للمحتاج أن يأخذ شيئاً من مال غيره بالباطل ، كالسرقة والغصب والنهب والغدر والنفس ، لا يجوز لصاحب المال أن يبخل عليه بما يحتاج إليه .

والإسلام لم يبيح للمحتاج أن يأخذ ما يحتاج إليه من أيدي أصحاب الأموال بدون إذنه وبدون رضاهم ، لأن في ذلك مفسدة عظيمة ، واتكال الكسالى على كسب غيرهم ؛ ففيه فساد نظام الاجتماع ، وانحطاط البشر ، فيؤدي إلى الفوضى في الأموال ، والضعف والتواني في الأعمال ، والفساد في الأخلاق والآداب ، كما لا يخفى على أولى الألباب ؛ فوجب أن لا يأخذ أحد مال أحد إلا بحق ، أو يبذل صاحب المال ماشاء عن كرم وفضل ؛ فحق يعود المسامون إلى دينهم ، ويكونون حجة له على جميع الملل ، كما كان سلفهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم ، فيقدموا المدنية الصحيحة في هذا العصر ، كما أقامها أولئك الأبرار في عصورهم .

ويدخل في الباطل : الغصب والسرقة والنفس والخداع والربا والغبن والتغريب ونحوها (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) أي لا تقصدوا إلى أكل أموال الناس بالباطل ؛ ولكن اقصدوا أن تربحوا بالتجارة التي تكون صادرة عن التراضي منكم ؛ وتخصيص التجارة بالذكر دون سائر أسباب الملك لكونها أكثر وقوعاً ، وأوفق لذوى المروءات (ولا تقتلوا أنفسكم) ظاهر الآية أن النهي إنما هو عن قتل الإنسان نفسه وهو الانتحار ، والمتبادر من الأسلوب أن المراد لا يقتل بعضهم بعضاً وهو الأفوى ، واختير هذا التعبير للإشارة بتعاون الأمة وتكافلها ووحدتها ، فلا تقتلوا أنفسكم حقيقة بالانتحار ، ولا مجازاً بقتل بعضهم لبعض ؛ فإرشادنا الله تعالى إلى أنه يجب علينا أن نحترم نفوس الناس بحماها كنفوسنا ؛ فاحترامنا لنفوسنا يجب أن يكون أولى ، فلا يباح بحال من الأحوال أن يقتل أحد نفسه كأن يبخعها ليسترخ من الغم وشقاء الحياة ، فهما اشتدت المصائب على المؤمن فإنه يصبر ويحتسب ، ولا ينقطع رجأؤه من الفرج الإلهي ، ولذا نرى بجمع النفس والانتحار يكثر فيما بين الكفار حيث يقل الإيمان ، وينفشو الكفر والإلحاد .

ومن فوائد الإيمان مدافعة المصائب والأكدار ؛ فالمؤمن لا يتألم من بؤس الحياة كما يتألم الكافر (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) لأن فيما نهاكم عنه حفظ دنائسكم وأموالكم التي هي قوام مصالحكم ومنافعكم ؛ فيجب أن تتراجعوا فيما بينكم ، ويكون كل منكم عوناً للآخرين على حفظ النفس ، وعلامة رزايا الدهر ومن يرتكب تلك المنهيات عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً .

ولا يشك ذوق عقل وإيمان وله خبرة بمآلي كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من جملة أكل أموال الناس بالباطل ما يأخذ مشايخ الطرق من مريديهم ، وما يأخذ سدنة القبور من زائريها وناذريها ، وما يأخذ ويأكله أصحاب التكايا والزوايا أصحاب البطالة والفساد ، وما يأخذ قراء القرآن لأجل قراءتهم بشرط إهداء ثواب القراءة لمن يريد المستأجر ، كما هو صبين مشروح في كتب العلماء الأعلام .

الآية الحادية والعشرون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ، وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ ، أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ، فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا) .

قد خاطب الله تعالى عباده المؤمنين عرباً كانوا أو عجماً ، ناهياً إياهم عن قربان الصلاة وهم سكارى لا يعلمون ما يقولون ، وهذا التعليل للنهي يفيد أن العلم بما يقوله الإنسان في الصلاة من تلاوة وذكر واجب أو شرط ، والعلم فمه ؛ وهذا يدل على وجوب معرفة اللغة العربية على كل مسلم لفهم ما يقول في الصلاة .

فتنبه أيها المسلم وتدبر أيها المؤمن هل لك نصيب من فهم كلام ربك الحكيم ، فإن كنت ذا نصيب فاحمد ربك ، واستزد من ذلك . وأما إذا لم يكن لك نصيب منه فأنت من المحرومين ، فتب إلى الله توبة صحيحة ، واجتهد في تعلم كلام ربك

وفهمه بقاية جهلك ، عسى الله تعالى أن يرزقك علماً نافعاً ، وفهماً مستقيماً ، وأما إذا لم تقب : وأصررت على ما أنت عليه من الجهل ، فأنت من الخاسرين في الدارين ، ولا ينفعك ما تعلمت من الفلسفة ، أو ما ضيعت فيه عمرك من دواوين الأشعار ، كما كثر البخاريون الذين ضيعوا أعمارهم في ديوان مهرزاييل ، الذي يقرر في ديوانه أن أصل الإنسان كان قرداً ، وأن اللحية للرجال ليس لها شيء غدير التشويش ؛ فلهذا ترى وتشاهد أكثرهم في أول حزب الشيوعية دخولاً ، حينما أعلنت روسيا الشيوعية ، لأن لهم قابلية تامة لقبولها ، كما لا يخفى على الخبير ، وأما باقي مسائل الجنبابة والاعتسال منها ، والتميم في حال المرض والسفر ، وعند عدم وجود الماء وكيفيته ، فمعلومة ومبينة في كتب الفروع .

الآية الثانية والعشرون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) .

قد نادى الله تعالى عباده المؤمنين وخاطبهم عموماً ، أمراً إياهم بأن يطيعوا الله تعالى ، والطاعة هي العمل بكتابه العزيز ، ويطيعوا الرسول ، وهي العمل بسنته ، لأنه هو الذي يبين للناس ما أنزل الله تعالى إلى الناس من الكتاب ، وقد أعاد الله تعالى لفظ الطاعة لتأكيد طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن دين الإسلام دين توحيد محض ، لا يجعل لغير الله أمراً ولا نهياً ولا تشريعاً ولا تأثيراً ، والرسول صلى الله عليه وسلم إنما يبين ما شرعه الله تعالى لنا من الدين والشرع .

مثال ذلك أن الله تعالى هو الذي شرع لنا عبادة الصلاة وأمرنا بها ، واسكنه لم يبين لنا في الكتاب كيفيتها ، وعدد ركعاتها ولا ركوعها وسجودها ، ولا تحديد أوقاتها ، فبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره تعالى إياه بذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِ أُصَلِّي » .

واعلم أن أهل الجاهلية وأهل الكتاب كانوا يؤمنون بالجبوت والطاغوت ،

فيتها كيون إلى السكبان والأخبار ، وبعملونهم شارعا ، وطواغيتهم رؤساؤهم الذين يحكمون فيهم بأهوائهم ، وكانوا يقولون إن هؤلاء الرؤساء أعلم منا بالتوراة وبمصلحتنا ؛ فالله تعالى قد بين لنا حالهم ، وقرنه ببيان ما يجب أن نسير عليه في الدين والشريعة والأحكام ، حتى لا نضل كما ضل المشركون وأهل الكتاب الذين اتخذوا أفراداً منهم أرباباً إذ جعلهم شارعين فقال الله تعالى : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) .

وقد اختلف المفسرون في أولى الأمر ، فمنهم من قال هم الأمراء من المسلمين بشرط أن لا يأمروا بمعصية ومحرم ، ومنهم من قال هم العلماء ، لأن العلماء هم الذين يمكنهم أن يستنبطوا الأحكام غير المنصوصة من الأحكام المنصوصة ، ومنهم من قال هم الذين يباظ بهم النظر في أمر إصلاح الناس ومصلحتهم . والأقرب إلى الصواب أن أولى الأمر جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين وهم العلماء والأمراء والحكام ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة ، فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر أو حكم وجب أن يطاعوا فيه ، بشرط أن يكونوا منا ، وأن لا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي عرفت بالتواتر ، وأن يكون ما يتفقون عليه من المصالح العامة ؛ وأما العبادات وما كان من قبيل الاعتقاد الديني فلا يتعلق به أمر أهل الحل والعقد ، بل هو مما يؤخذ عن الله ورسوله فقط ، ليس لأحد فيه رأى إلا أن يكون في فهمه .

وإذا لم يكن الأمر منصوصاً في كتاب الله ولا سنة رسوله ، فينظر فيه أولو الأمر إذا كان من المصالح ، فيتشاورون في تقرير ما ينبغي العمل به ، فإذا اتفقوا وأجمعوا وجب العمل به ، وإن اختلفوا وتنازعوا ، فقله تعالى : (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) ذلك بأن يعرض على كتاب الله وسنة رسوله وما فيهما من القواعد العامة ، والسيرة المطردة ، فما كان موافقاً لها علم أنه صالح لنا ووجب الأخذ به ، وما كان منافياً علم أنه غير صالح ووجب تركه ، وبذلك يزول التنازع

وتجتمع الكلمة ؛ والفرض من هذا الرد أن لا يقع خلاف ولا نزاع في الدين والشرع فلا يفضى إلى التفرق الذي يحمل المسلمين شيعاً ومذاهب ، ويذيق بعضهم بأس بعض ؛ ولكن الأسف أن المسلمين لم يمسوا بالآية ، بل استبدوا ففترقوا واختلفوا إلى أن تمزقوا وصاروا محكومين تحت سيطرة الإفرنج ، ومرذولين أسراء تحت أرجل المستعمرين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

واعلم أن المسائل الدينية لا ينبغي أن يكون فيها تفرق ولا خلاف ، لأن الله رب العالمين يقول : (أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) لأن العمل فيها بالنص لا بالرأى ؛ وقد قال الله تعالى : (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) فبين أن ما ينظر فيه أولو الأمر هو المسائل العامة ، كمسائل الأمن والخوف ، وأن العامة لا ينبغي لها الخوض في ذلك ، بل عليها أن ترده إلى الرسول وإلى أولى الأمر ، فهؤلاء يتولون استنباطه ، وإقناع الآخرين به ، فأولو الأمر لا يختص بالأمراء والفقهاء فقط ، بل هم العارفون بمصالح الأمة حسب اختلاف الزمان والمكان ، ولا يكفي فيه معرفة أصول الفقه وفروعه .

(إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وردوا الشىء المتنازع فيه إلى الله ورسوله ، بعرضه على الكتاب والسنة إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر صدقاً ، فإن المؤمن لا يؤثر على حكم الله شيئاً ، والمؤمن باليوم الآخر يهتم بجزء الآخرة أشد من اهتمامه بحفظ الدنيا ؛ وفيه دليل على أن من لا يؤثر اتباع الكتاب والسنة على أهوائه وحفظه ، ولا سيما في مسائل المصالح العامة فيه لا يكون مؤمناً بالله واليوم الآخر إيماناً يعتقد به (ذلك خير وأحسن تأويلاً) ، والله العظيم لو جرى المسلمون عليه لما أصابهم ما أصابهم من الشقاء والتفرق والانحلال ، فقد رأينا كيف سعد المهتمون به كالخلفاء الراشدين رضی الله تعالى عنهم ، وكيف شقى الذين أعرضوا عنه واستبدوا بالأمر كأمراء بخارى ؟

وجمل بعضهم أولى الأمر على أفراد الأمراء والسلاطين مطلقاً حتى الجاهلين
الجاهلين والفساق الظالمين ، وبعضهم على الأئمة المجتهدين في الفقه ، ثم قالوا إنهم
قد انقضوا ، وأنه لا يجوز أن يخلفهم أحد ؛ فلا يجوز للمسلمين عرض المسائل على
الكتاب والسنة ، والعمل بما يهديان إليه ، بل يجب أن يقلد أحداً من المجتهدين ،
وإن اختلفت آراؤهم حتى في العبادات والمقائد ، حتى صار الحنفي يكتح حاضراً
في المسجد ، وتقوم الجماعة في صلاة الصبح مثلاً والإمام شافعي أو مالكي أو حنبلي ،
فلا يقتدى هذا الحنفي الحاضر منهم ، لزعمه أنه لا يصح اقتداؤه خلفه ، فينتظر حتى
يجيء إمام مذهبه فيأتم به .

يا أسفا على حال المسلمين إنهم قد وقفوا في دينهم وشريعتهم عند الكتب التي
أنها المقلدون في القرون الوسطى وما بعدها ، حتى صار الناس ينسبون كل ما هم عليه
من الضعف والوهن والجهل والفقر إلى دينهم وشريعتهم ؛ وقد سرى هذا الاعتقاد
إلى الذين يتعلمون علوم أوروبا وقوانينها ؛ فمنهم من مرق من الإسلام ، وفضل تلك
القوانين على الشريعة ، اعتقاداً منهم أن الشريعة هي ما يعرفه من كتب الفقه ،
ولا يعرف من القرآن ولا من السنة المحمدية شيئاً ، كأكثر الأتراك الكماليين ،
والتاتار الروسيين والأوزبكيين التركستانيين ؛ فما دام المسلمون تاركين العمل
بكتاب الله ربهم ، وسنة رسوله ، وراضين بهذا الجهل المركب ، فإن حالتهم لا تتغير
عما هم عليه من الاختلاف والانشقاق والإسارة ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم فتنبه .

وقد خاطب الله تعالى أمة الإسلام كلها بإقامة القواعد الأربع المنصوصة في هذه
الآية : إطاعة كتاب الله ، وإطاعة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإطاعة
أولى الأمر من أنفسهم ، ورد الأمر عند التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله ؛
فالواجب على مجموع الأمة الإسلامية مطالبتهم بذلك ولا يترك الأمر فوضى ؛ ويجب
أن يكون لأولى الأمر مجمع عند الأمة ، لأن الله تعالى ذكرهم بصيغة الجمع في الآيتين

فلا يستبد واحد بالرأى ، وإنما الخطاب في الآية لأمة الإجابة في الإسلام ، وهي المدعنة لأمر الإسلام ونهيه ، المألقة بما لا بد من علمه فيه ؛ فيأمة الإسلام متى تفيقون من سكرتكم ؟ ومتى تفتح أعينكم ؟ ومتى تفهمون خطاب ربكم فتعملون به ؟ فإنكم أنتم المخاطبون ، وأنتم المكلفون ، أما تخرجون من جهالتكم ؟ وأما تستحون من إضاعتكم أهليتكم ؟ إلى متى تكونون تحت حكم المستعمرين محكومون ؟ وإلى متى تكونون عبيداً وإماء لعبيد مثلكم ، بل تفوضون من نهاية جهلكم أموركم إلى أرواح أموات لا تدرن حاملها أهي في أعلى علمين ، أم في أسفل السافلين ، فأف عليكم فأف عليكم ، إن لم تتوبوا مما أنتم عليه .

الآية الثالثة والعشرون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا) .

قد نادى الله تعالى المؤمنين جميعاً وخاطبهم كلهم عربهم وعجمهم ، أمراً بإياهم أن يحتاطوا في أوطانهم من كيد الأعداء ، فيأخذوا ويهيئوا ما ينقذهم من شر الأعداء عند كيدهم وهجومهم ، فيحافظوا على أمنهم الداخلي والخارجي ، والأعداء الخارجيون هم المخالفون لنا في الدين ؛ وأما الداخلون فهم أصحاب الأغراض الفاسدة من عشاق الجاه والرياسة ، وأسراء الشهوة والهوى منا ، وكذا أصحاب البدع والطرق ، والمذاهب المختلفة فإنهم الأدواء المفسدة في الأمة الإسلامية .

وأما أخذ الحذر فإما بالمعادنات مؤقتة ، وإما بانتماء شرهم بالقوة والأسلحة والاحتراس ؛ ولا شك أن العدو إذا أنس غرة منا هاجنا وهددنا ، وإذا دعوناهم إلى ديننا عارضونا فيه ، كما قال الله عز وجل : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِمُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعَاوَنُوا لِلَّذِينَ كَفَرُوا سُبُلًا وَلَا تَعَاوَنُوا بِهِمْ سُبُلًا) الآية .

فعلى أهل النفوس المستعدة للفهم أن تبحث عن كل ما يتوقف عليه أمثال الأمر من علم وعمل ، ويدخل في الاستعداد والحذر معرفة الأسلحة واتخاذها

واستعمالها ، وذلك يتوقف على معرفة الهندسة والكيمياء والطبيعة وجرّ الأثقال ؛
فيجب تحصيل كل ذلك وإتقانه ، كما هو الشأن في هذه الأيام .

وذلك أنه تعالى أطلق الحذر ، ولا يتحقق الامتثال إلا بما تتحقق به الوقاية
والاحتراز في كل زمن بحسبه ، من المدافع بأنواعها ، والبنادق والبوارج المدرعة ،
وحاملة الطائرات ، وأنواع السلاح ، وآلات الهدم ، والطائرات والدبابات ، والقنبلة
الذرية المهلكة ؛ وأنه يجب تحصيل العلم بصنع هذه الأسلحة وما يلزمها ، وسائر الفنون
الحربية ، والمسلمون صاروا أقل الناس حذراً من الأعداء باعتقاد القدر من غير علم
بمعناه ، حتى إن أكثر بلادهم ذهبت من أيديهم وهم لا يتوبون ولا يذكرون ،
ولا يتدبرون أمر الله في هذه الآية وما في معناها ، ولا يمتثلون إياه ، وإنك إذا ذكرتهم
يقولون القدر هكذا ، فبذلك يبطون الشرائع والأوامر الإلهية .

(فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً) أي انفروا جماعة في إثر جماعة ، بأن تكونوا
فصائل وفرقا ، وهو الذي يتعين إذا كان الجيش كثيراً ، أو كان موقع العدو يقتضى
ذلك وهو الغالب ، أو انفروا كلكم بحجة معينة إذا قضت الحال بذلك ، ويتوقف امتثال
هذا الأمر على أن تكون الأمة كلها مستعدة دائماً للجهاد ، بأن يتعلم كل فرد من
أفرادها فنون الحرب ، وتمرّنوا عليها بالعمل ، ويدخل فيه اقتناء السلاح مع العلم
بكيفية استعماله ، والتمرّن على الرمي بالمدافع وبنندق الرصاص في هذا الزمان ، كما
كانوا يتمرّنون على رمي السهام في الأزمنة السابقة ، وقد قصر المسلمون في هذا جدا
جداً ، وقد سبقهم إليه غيرهم ؛ فيجب على الحكومات الإسلامية أن تقيم هذا
الواجب بنفسها ، لأن تبقى فيه عالة على غيرها ؛ ويجب على الأمة الإسلامية أن
تواتيها وتساعدّها عليه ، وأن تلزمها إياه إذا هي قصرت فيه ، والذين يتبطّون عن
الجهاد والدفاع هم منافقون ، وليسوا بمؤمنين صادقين ، لأنه لا همّ لهم ولا عناية
بأمر الدين ، وإنما أكبر همهم شهواتهم ، فليحاسب المسلمون أنفسهم في هذا
الزمان ، وليزنوا بهذه الآية وما شابها إيمانهم .

والمعجب أن بعض الأمم التي لا تدين بالقرآن كأوروبا وأمريكا والبلاشفة أقرب إلى أحكامه في ذلك ممن يدعون اتباعه من أصحاب التكايا والزوايا والطرق والمذاهب، وإنما الغلبة والمزة لمن يكون أقرب إلى هداية القرآن بالفعل على من يكون أبعد عنها وإن انتسب إليه بالقول ؛ كالذين جعلوا القرآن مأكلاً ومكسباً وهم غافلون عن معناه والعمل به ، فالقرآن حجة عليهم .

الآية الرابعة والمشرور فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ، تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَمِنَدَّ اللَّهُ مَعَانِمُ كَثِيرَةً ، كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين مرشداً إياهم أنهم إذا دخلوا في بلاد الكفر لا يحسبوا كل من يجذونه هناك كافراً فيقتلوه ، بل عليهم أن يتبينوا ويتثبتوا فيمن تظهر منهم علامات الإيمان والإسلام ؛ كالشهادة أو السلام الذي هو تحية المؤمنين وعلامة الأمن والاستئمان ، وأن لا يحملوا مثل هذا على المخادعة ، إذ ربما يكون الإيمان قد طاف على هذه القلوب ، وإن لم يكن تمكن فيها . فنهى الله تعالى عن إنكار إسلام من يدعى الإسلام ولو بإلقاء تحيته ، فكيف بمن ينطق بالشهادتين ؟ .

ثم ذكر الله تعالى ما من شأنه أن يقوى الشبهة في نفس من يظن أن إظهار الإسلام لأجل التقية ، وهو ابتغاء عرض الحياة الدنيا ، فهدى الله تعالى المؤمن بهذا إلى أن يتهم نفسه ، ويفتش عن قلبه ، ولا يبني الظن على ميله وهواه ، بل أوجب عليه أن يبني على الظاهر ويقبله حتى يتبين له خلافه .

قال ابن جرير قوله جل جلاله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) يا أيها الذين صدقوا الله وصدقوا رسوله فيما جاءهم به من عند ربهم (إذا ضربتم في سبيل الله) إذا سرتهم مسيراً لله في جهاد أعدائكم (فتبينوا) فتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره فلم تعلموا (٦ - تمييز المحظوظين)

حقيقة إسلامه ولا كفره ، ولا تستبجلوا علي قتل أحد ، إلا على قتل من علمتموه
يقيناً حرباً لكم والله ورسوله ، ولا تقولوا إن استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهراً لكم أنه
من أهل ماتمكم ودعوتكم (لست مؤمناً ، ينتفون عرض الحياة الدنيا) فتقتلوه طلباً
لمال الدنيا الزائل ، وإنما أذن الله تعالى لكم في قتل الذين يقاتلونكم ؛ للدفاع عن
الحق وإعلاء كلمته ، ونشر هدياته (فعند الله مفاض كثيرة ، كذلك كنتم من
قبل) جاهلين وكفاراً (فن الله عليكم) بالهداية إلى الإسلام ، فمنكم من أسلم لظهور
حقيقة الإسلام له من أول وهلة كأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، ومنكم من
أسلم تقيماً أو لسبب آخر ، ثم حسن إسلامه عند ما خبر الإسلام وعرف محاسنه ،
فظاهر حكم الآية أن كل من أظهر الإسلام يقبل منه ويعتد مسلماً ، ولا يبحث عن
الباعث له على ذلك ، ولا يتهم في صدقه وإخلاصه إلا إذا ظهر منه ما ينافيه من
الكفرات والشركيات والزندقة والإلحاد ، ولم يتب منها بعد التعليم والتنبيه ، بل
عاند وأصر عليها ، فحينئذ يقتل .

الآية الخامسة والعشرون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
بِالْقِسْطِ ، شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ، إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ، وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرَضُوا ،
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) .

قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين عموماً شرقيهم وغربيهم ، أمراً بإيهم أن
يكونوا في جميع معاملاتهم قائمين بالعدل ، ويعاملوا غيرهم كما يعاملون أنفسهم ،
فيحبون لهم ما يحبون لأنفسهم . والقوامون بالقسط هم الذين يقيمون العدل بالإنيان
به على أنهم الوجوه وأكلاها وأدومها ، فإن قوامين جمع قوام ، وهو المبالغ في القيام
بالشيء ، والقيام بالشيء هو الإنيان به مستويًا تامًا لا نقص فيه ولا عوج ، ولذلك
أمر الله تعالى بإقامة الصلاة ، وإقامة الشهادة ، وإقامة الوزن بالقسط ، لتأكيد
العناية بهذه الأشياء ، وهذه العبارة أبلغ ما يمكن أن يقال في تأكيد أمر العدل

والعناية به ؛ أي لتكن المبالغة والعناية بإقامة القسط على وجهه عفة من صفاتكم ، بأن تقصروه بالدقة التامة حتى يكون ملكة راسخة في نفوسكم . والقسط يسكون في العمل ؛ كالقيام بما يجب من العدل بين الزوجات والأولاد ، ويكون في الحكم بين الناس ممن يوليه السلطان ، أو يحكمه الناس فيما بينهم ؛ وكان ينبغي أن يكون المسلمون بمثل هذه الهداية أعدل الأمم ، وأقومهم بالقسط ، وكذلك كانوا عند ما كانوا مهتدين بالقرآن ، وصدق على سلفهم الصالح قوله تعالى : (وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) ثم خلف من بعد أولئك السلف خلف نبذوا هداية القرآن وراء ظهورهم ، حتى صارت جميع الأمم تضرب المثل بظلم حكاهم ، وسوء حالهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

والله تعالى عم الأمر بالقسط ، لأن العدل حفظ النظام ، وقوام أمر الاجتماع وعدم محاباة أحد في ذلك لغناه أو فقره أو قرابته ، لأن العدل والحق مقدمان على الحقوق الشخصية ، وحقوق القرابة وغيرها . وكانت محاباة الأقربين معهودة في الجاهلية ، لأن أمرهم قائم بالعصبية ، فهمي الله تعالى عن ذلك كله ، وأمر بالعدل في كل حال ، وأن يكونوا شهداء لله ، وأن يتمحروا فيها الحق الذي يرضاه ويأمر به من غير مراعاة ولا محاباة لأحد ، ولا يكونوا كبعض البخاريين الذين يقيمون الآن في الحرمين وغيرها من البلدان ، فإنهم وإن كانوا في الظاهر مسلمين ، ولكنهم بالعصبية الجاهلية متلبسون ؛ حتى إنهم يشهدون زوراً لجماعتهم ، ولا يمتحشون عن ذلك ، بل يفتخرون بذلك كما هو مشاهد ومعلوم ؛ فهم مشاقون لله والرسول ، والناس عنهم غافلون (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أي أيها المؤمنون كونوا شهداء بالحق لوجه الله ، وامتثال أمره ، واتباع شرعه ، الذي تنال به مرضاته ومثوبته ولو كانت الشهادة على أنفسكم ، بأن يثبت بها الحق عليكم ، ومن أقر على نفسه بحق فقد شهد عليها ، لأن الشهادة إظهار الحق ، كما أقر ما عزره الله عنه بالزنا في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال يارسول الله طهرني ، أو على والديكم

وأقرب الناس إليكم ، كأولادكم وإخوتكم ؛ فإنه ليس من بر الوالدين ولا من صلة رحم الأقرب بين أن يمانوا على ما ليس لهم بحق بالإعراض عن الشهادة عليهم ، أو أيها وتحريفها لأجلهم ؛ وإنما البر والصلة في الحق والمعروف ، والحق أحق أن يُتبع ، ولا تحابوا الغنى طمعاً في بره ، ولا خوفاً من شره ، كما هو شأن أكثر الناس اليوم ، فهم محادون ومشاقون لله والرسول ، ولا الفقير عطفاً عليه ورحمة به . فهل يتدبر المسلمون هذه الآية كما أمرهم الله تعالى بتدبر القرآن ، فيقيموا العدل والشهادة بالحق ؟ أم يعملون برأى أهل الحيل ، فيرتكبون الظلم والعدوان ، إلى أن يستحقوا غضب الله الديان ، فيسلط عليهم البلاشفة ، والطائفة الطاغية الدهرية ، فتسومهم سوء العذاب في هذه الحياة الدنيا ، كما سلط الله تعالى تلك الطائفة على بلاد الروس وبخارى وكابكازيا والتركستان ، وبعض بلاد الصين والهند لما غيروا وبدلوا أمر الله عز وجل ؟ (وللعذاب الآخرة أشدُّ وأبقى) .

الآية السادسة والعشرون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ، وَمَنْ يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين كافة ، آمراً إياهم أن يجمعوا بين الإيمان به وبرسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وبين الإيمان بجميع الكتب التي نزلها على رسوله من قبل بعثة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، بأن يعلموا أن الله تعالى قد بعث قبله رسلاً ، وأنزل عليهم كتباً ، وأنه لم يترك عباده في الأزمنة الماضية سدى ، محرومين من البينات والهدى ، وأمرهم أن يدوموا ويثبتوا على هذا الإيمان ثبوتاً دائماً ، ولا يكفروا ولا ينكروا شيئاً من ذلك أصلاً ؛ وأما من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً .

فالإيمان بالله هو الركن الأول ، والإيمان بجنس الملائكة الذين يحماون الوحي إلى الرسل هو الركن الثاني ، والإيمان بجنس الكتب التي نزل بها الملائكة على الرسل هو الركن الثالث ، والإيمان بجنس الرسل الذين بلغتهم الملائكة تلك الكتب إليهم وهم بلغوها للناس هو الركن الرابع ، والإيمان باليوم الآخر الذي يجزى فيه المكلفون على عملهم بتلك الكتب مع الإيمان بما ذكر ، كلٌّ بحسب كتابه هو الركن الخامس ؛ ومن فرق بين كتب الله ورسوله ، فأمن ببعض وكفر ببعض ، كاليهود والنصارى لا يعتقد بإيمانه ، لأنه متبع للهوى فيه ، أو للتقليد الذي هو عين الجهل ؛ وقد وصف الله تعالى خاتم رسله وأمته ، التي هي خير الأمم بقوله تعالى : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لَا تَفَرَّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) ؛ فمن كفر بواحد من المذكورات فقد ضل عن الصراط المستقيم ، وبعد عن طريق الهداية ومحجة السلامة بعداً فاحشاً ، ويقرب من هذا من يؤمن ببعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعظمه ، ويكفر ببعض ويبغضه ، فيحب البعض ويبغض البعض ، كالرافضة والشيعة ، ويقرب منهم أيضاً من يؤمن ببعض الأئمة المجتهدين ، ويحبه ويعظمه ويتبعه ، ويبغض البعض بل يكفر به ، كأكثر الأحناف من البخاريين والهنود والأتراك ، فإنهم يعظمون الإمام أبا حنيفة وأصحابه فيتبعونهم ويحبونهم ويقلدونهم ، وأما الأئمة الباقيون كالإمام مالك والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة السنة فيبغضونهم ، ويبغضون من يقلدونهم ، فيقولون في كتبهم : انا ولهم ، وعندنا وعندهم ، ولنا كذا وكذا ، وللخصم كذا وكذا ، كما بينت ذلك في كتابي : [البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع] . فعمليكم بمطالعتة إن كنتم طالباً للحق والحقيقة ، فإنه مطبوع في مصر ، ومنشور في العالم الإسلامي بحول الله وقوته .

الآية السابعة والعشرون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

السَّكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ؟ .

قد نادى الله تعالى وخطب عباده المؤمنين عامة ناهياً إياهم عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، فإن هذا من فعل المنافقين فإنهم يوالون الكفار ، وينصرونهم من دون المؤمنين ، ليستفيدوا منهم المال ، وينالوا بسببهم الجاه والرياسة ؛ فحذر الله تعالى المؤمنين أن يفعلوا مثل فعلهم ابتغاء العزة عندهم ، أو رجاء المنفعة منهم ، فإنه ربما يخطر ببال صاحب الحاجة أن ذلك لا يضر . والمراد من الولاية هنا النصرة بالقول أو الفعل فيما ينافي مصلحة المسلمين (أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطاناً مبيناً) . يعنى أنكم إذا واليتم الكفار وناصرتموهم ، كما والى شريف مكة حسين الإنكاز ، وناصروه على حكومة الترك الإسلامية ؛ فقد أقمتم الحجة على أنفسكم باستحقاق عذاب الله في الدنيا والآخرة ، واستحققتهم أيضاً أن يسلبهم الله تعالى عليكم بذنوبكم ، فتخذلوا بدل أن تنصروا ، وتحقروا مكان أن تهزوا . ولا شك أن المسلمين ما اضمحلت دولهم وسلطنتهم إلا باتخاذهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، فإنهم لما اتخذوا الوزراء والبطانة من دون المؤمنين الصادقين ، واعتمدوا على دول غير إسلامية ، ففي النتيجة صاروا من المحرومين .

فيا أيها المؤمنون أما تفيقون من غفلتكم ، وأما تصحون من سكرتكم ، وأما تفتحون عيونكم وتستعملون عقولكم ، وتعتبرون بما جرى في ماضيكم وحاضركم ، فتفهموا كلام ربكم العليم الحكيم فتعملوا بمقتضاه ، لأنكم أنتم المخاطبون والمكلفون بذلك لا الكفار ، وأنتم المأمورون بذلك لا الإفرنج ، أتريدون أن تقيموا حجج الله على أنفسكم ، بل قد أقمتم حجة الله عليكم ، فلماذا سلطهم عليكم وأنتم سكارى أو حيارى ومفتنون ، تأكلون وتمتعون ، فبئس ماتفعلون .

* وما لجرح بميت إيلام *

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لاحياة لمن تنادى

أرى ألف بان لا يقوم بهادم فكيف بيان خلفه ألف هادم

الآية الثامنة والعشرون في سورة المائدة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ، إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين نامة عربهم وعجمهم ، عالمهم وجاهلهم ، ولم يخص أحداً دون أحد ؛ فالْمُؤْمِنُونَ هم المخاطبون المكلفون بفهمه والعمل به . قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن المراد بالعقود عهد الله التي عهد إلى عباده ، وما أحل الله وما حرم ، وما فرض وما حد في القرآن كله : لا تغدروا ولا تنكثوا ؛ والظاهر أن الله تعالى أمرنا بالوفاء بجميع العقود الصحيحة التي عقدها علينا والتي نتعاقد عليها فيما بيننا إذا لم تكن مخالفة للنص . وأساس العقود الثابت في الإسلام هو هذه الجملة البليغة (أوفوا بالعقود) وهي تفيد أنه يجب على كل مؤمن أن يفي بما عقده وارتبط به ، وليس لأحد أن يقيده ما أطلقه الشارع إلا ببيعة منه ، فالتراضي من المتعاقدين شرط في صحة العقد ، فكل قول أوفى به الناس عقداً فهو عقد يجب أن يوفوا به كما أمر الله تعالى مالم يتضمن تحريم حلال أو تحليل حرام مما في الشرع كالعقد بالإكراه ، أو على إحراق دار أحد ، أو الإكراه على بيعها أو إيجارها ، أو على الفاحشة ، أو أكل شيء من أموال الناس بالباطل ، كالربا والميسر والرشوة . والأصل الإباحة في الأشياء ، ومن جملتها العقود والشروط في أمور الدنيا ، والحظر لا يثبت إلا بدليل ، ويؤيد إطلاق الآية حديث : « الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا ، أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا » .

وحديث : « الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ » رواه الترمذي ، وأبو داود « إِلَّا شَرْطًا حَرَّمَ حَلَالًا أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا » ؛ ولكن الأسف أن المسلمين لما جهلوا معاني خطاب ربهم ، وأمر مولاهم الرحمن العليم الحكيم ، صاروا غدارين وغشاشين وخداعين ومكارين لا يوفون بعهودهم ، ولا هم صادقين وناصحين في أقوالهم وأعمالهم وخصوصاً

في مكة ، فإن أكثر سكانها موصوفون بتلك الصفات الشنيعة ، تجارهم ومطوفوهم ، وكان اللازم المحتم عليهم أن يكونوا صادقين وأمناء وناصحين ، حتى يكونوا قدوة المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

الآية التاسعة والعشرون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتِغُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضواناً) .

قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين ناهياً إياهم أن لا يجعلوا شعائر دين الله حلالاً يتصرفون فيها كيف يشاءون ، وهي معاملة التي جعلها أمارات يعلمون بها الهدى من الضلال ، كمناسك الحج وسائر فرائضه ، وحدوده وحلاله وحرامه ، بل أعمالها فيها بما بينه لكم ، ثم بين الله تعالى ما يتعاقب بأعمال الحج ، ثم قال تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) ؛ فالأمر بالتعاون على البر والتقوى من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن ، لأنه يوجب على الناس إيجاباً دينياً أن يُعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وأقواماً في دينهم ودنياهم ، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفسد والمضار عن أنفسهم ، وأكد هذا الأمر بالتهيب عن ضده ، وهو التعاون على الإثم والمعاصي والعصبية وكل ما يعوق عن البر والخير ، وعلى العدوان الذي يُغري الناس بعضهم ببعض ؛ وكان المسلمون في الصدر الأول جماعة واحدة يتعاونون على البر والتقوى ، من غير ارتباط ونظام بشري ، كما هو شأن الجمعيات اليوم ، فإن عهد الله وميثاقه كان مغنيا لهم عن غيره لإيمانهم به إيماناً كاملاً ، وفهمهم كلام ربهم فهماً صحيحاً ، وقد شهد الله تعالى لهم بذلك (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ) و (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) ولكن لما انتشر بأيدي الخلف ذلك العقد ، ونكث ذلك

المهد ، صرنا محتاجين إلى تأليف جمعيات خاصة بنظام خاص لأجل جمع طوائف من المسلمين ، وحملهم على إقامة هذا الواجب في التعاون على البر والتقوى ؛ فلا بد لنا من تأليف الجمعيات الدينية والخيرية والعامية إذا كنا نريد أن نحيا حياة عزيزة (وَاتَّقُوا اللَّهَ) أي اتقوا الله أيها المؤمنون بالسير على سننه التي بينها لكم في كتابه ، وفي نظام خلقه ، لئلا تستحقوا عقابه الذي يصيب من أعرض عن هدايته (إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن لم يتقته بعدم اتباع شرعه ، ومراعاة سننه في خلقه ، فإنه لا هواة ولا محاباة في عقابه ، لأنه لم يأمر بشيء إلا وفعله نافع وتركه ضار ، ولم ينه عن شيء إلا وفعله ضار وتركه نافع ؛ وفي معنى المأمور به كل ما رغبت فيه ، وفي معنى المنهى عنه كل ما رغبت عنه وحذرت منه ؛ فهذا كان ترك هدايته مفضياً بطبعه إلى الحرمان من المنافع والوقوع في المضار ، التي منها فساد الفطرة وعمى البصيرة ؛ وإنما يظلم الإنسان نفسه ، ولا عتب له إلا عليها ؛ فيأبها المؤمن لاتضيع أهليتك ، ولا تظلم نفسك ، بل اجتهد لفهم كلام ربك والعمل بموجبه تكن عبداً مؤمناً ، وتتل رحمة الله في الدنيا والآخرة ، وإلا تكن خاسراً ، فتنبه .

الآية الثلاثون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ، فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ، مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين بعد أن أمرهم بالفداء بعهد الربوبية وعهد العبودية: أن يقوموا بما عاهدوا والتزموا من السمع والطاعة لله ولرسوله ، فيقوموا بطاعته مخلصين طاهرين ، فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ) أي إذا

أردتم القيام إلى أداء الصلاة فاغسلوا هذه الأعضاء إذا كنتم محدثين ، ففرض
الوضوء أربع : الأول غسل الوجه ، الثاني غسل اليدين إلى المرفقين ، الثالث المسح
بالرأس ، الرابع غسل الرجلين إلى الكعبين ، أو مسح السائر عليهما (وإن كنتم
جنباً فاطهروا) أى اغتسلوا غسلًا كاسلاً . والجنبابة الموجبة للفعل معروفة عند جميع
المسلمين ، هذا إذا وجدتم الماء ، ولم ينهه من استعماله مانع ؛ وأما إذا حدث حادث فحكه :
قوله تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر ، أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء
فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) .هـ على
فضله ورأفته وتطهيره وتيسيره ، لأنه تعالى رءوف رحيم بكم ، وهو لا يشرع لكم
إلا ما فيه الخير والنفع لكم ، ويطهركم من القذر والأذى ، ومن الرذائل والمنكرات
والعقائد الفاسدة ، فتكونوا أنظف الناس أبداناً ، وأزكاهم نفوساً ، وأصحهم أجساماً ،
وأرقاهم أرواحاً ، وليتم نعمته عليكم بالجمع بين طهارة الأرواح وتزكيتها ، وطهارة
الأجساد وصحتها ، فإن الإنسان روح وجسد ، لا تكمل إنسانيته إلا بكاملها معاً ؛
فالصلاة تظهر الروح ، وتزكى النفس ، لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ؛ فما أعظم
نعمة الله تعالى على الناس بهذا الدين القويم ، ولهذا قال (لعلكم تشكرون) فتقوموا
بشكر النعم الظاهرة والباطنة ؛ فدين الإسلام دين اليسر ، ودين النظافة ، ودين
الحياء ، ودين الصدق ، ودين الأمانة ، ودين الصيانة ، ودين العفة ، ودين العقل ،
ودين الفهم ، كما أنه دين التوحيد ، ودين الإخلاص .

فيما أيها المؤمنون هل عرفتم هذه الأوصاف ، وهل اتصفتم بها ؟ أو أنتم جاهلون
بها ، لا تعرفون من الإسلام إلا اسمه ، ومن القرآن إلا رسمه ، تقرأونه في المحافل
والمآتم والختمات ، وعلى رؤوس القبور ، وعلى ما كينة راديون ، أولأن تهبوا ثوابه
لمن يعطى لكم الدرهمات ، كما نشاهدكم في شرق الأرض وغربها . أما تتوبون إلى
الله وتتمونه ، وأما تستحيون من الله ومن الإنسانية ، وقد جاءت أشرط الساعة ،

وقامت علامات القيامة ، فنسألون يومئذ عن التوحيد ، وعن القرآن ، وعن العمل به .

الآية الحادية والثلاثون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

قد نادى الله تعالى المؤمنين عامة ، وخاطبهم أمراً بإهم بأن يكونوا قوامين لله شهداء بالقسط . القوام : هو المبالغ في القيام بالشئ ، وهو الإتيان به مقوماً تاماً ، لا نقص فيه ولا عوج ، وهذا عام شامل لجميع ما أخذ علينا الميثاق به من التكليف حتى المباحات ؛ أى كونوا من أصحاب الهمم العالية ، وأهل الإتيان والإخلاص لله تعالى في كل عمل تعاملونه من أمر دينكم ودنياكم . ومعنى الإخلاص لله في أعمال الدنيا أن تكون بنية صالحة ، بأن يريد العامل بعمله الخير ، والتزام الحق من غير شائبة اعتداء على حق أحد ، أو إيقاع ضرر به . والشهادة بالقسط معروفة ، وهى أن تكون بالعدل بدون محاباة المشهود له ولا المشهود عليه ، لقربته وولائه ، ولا لماله وجاهه ، ولا لفقره ومسكنته ؛ فالشهادة عبارة عن إظهار الحق للحاكم ليحكم به ، والإقرار به لصاحبه ، والقسط هو ميزان الحقوق ؛ فإذا خولف انتشرت المفسد ، وضروب العدوان بينهم ، وتقطعت روابطهم الاجتماعية ، وصار بأسهم بينهم شديداً ، فلا يلبثون أن يسلط الله تعالى عليهم بعض عباده الذين هم أقرب إلى إقامة العدل منهم ، فيزيلون استقلالهم ويذيقونهم وبالهم . وتلك سنة الله التى شاهدناها فى الأمم الحاضرة ، وشهد بها تاريخ الأمم الغابرة ؛ ولكن الجاهلين الغافلين لا يسمعون ولا يبصرون ، فأنى يبصرون ويتمظون ؟ .

(ولا يجرمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا) أى لا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم لكم ، أو بغضكم وعداوتكم لهم على عدم العدل فى أمرهم بالشهادة لهم أو الحكم لهم ، فلا عذر لمؤمن فى ترك العدل وإيثاره على الجور والمحاباة ، فلا يتوهمن متوهم أنه يجوز

ترك العدل في الشهادة للكافر ، أو الحكم له بحقه على المؤمن ، ولم يكتف الله تعالى بالتحذير من عدم العدل مهما كان سببه والنية فيه ، بل أكدته تأكيداً بقوله : (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أى قد فرضت عليكم العدل فرضاً لا هوادة فيه ، فاعدلوا هو أقرب لتقوى الله ؛ أى لاتقاء عذابه وسخطه باتقاء معصيته ، وهى الجور الذى هو من أكبر المعاصى ، لما يتولد منه من الفساد (واتقوا الله إن الله خير بما تعملون) لا يخفى عليه تعالى شئ من أعمالكم ظاهرها وباطنها ، ولا من نياتكم وحيثكم فيها ، وهو تعالى الحكم العدل القائم بالقسط ، فاحذروا أن يجازيكم بالعدل على ترككم العدل ، وقد مضت سنة الله العادلة فى خلقه بأن جزاء ترك العدل ، وعدم إقامة القسط فى الدنيا هو ذل الأمة وهوانها ، واعتداء غيرها من الأمم على استقلالها ، وجزاء الآخرة أذل وأخزى ، وأشد وأبقى ، كأهل بخارى وما وراء النهر والتركتان لما فشا فيهم الظلم ومعاصى الله وارتكاب المناهى ، سلط الله تعالى عليهم الروس ، ثم البلاشفة فساموهم سوء العذاب ، وكذا أهل الأندلس والمغرب ، وقد ثبت فى الحديث القدسى . قال الله عز وجل : « إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَّطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي » ولكن الناس لا يعتبرون ، حتى إن أكثر الذين هجروا منهم بلادهم ، وسكنوا فى الحرمين ، منغمسون فى ردة الضلال من الظلم والشرك بدعاء غير الله ، والنفاق والحسد ، والكذب والفسوق والمعصيان ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

الآية الثانية والثلاثون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

روى غير واحد من أئمة التفسير أن الآية نزلت فى رجل همّ بقتل النبى صلى الله عليه وسلم أرسله قومه لذلك ، وكان بيده السيف وليس مع النبى صلى الله عليه وسلم سلاح وكان منفرداً كما روى الحاكم وصححه من حديث جابر رضى الله عنه

« أن غورث بن حارث الحاربي قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : من يمنعك ؟ قال : الله ، فوقع السيف من يده ؛ فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : من يمنعك ؟ قال : كن خير آخذ ، قال : تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله . قال : أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك نحلي سبيله ، فجاء إلى قومه وقال جئتمكم من عند خير الناس » .

وفي رواية نزلت في قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع بني النضير ، إذ ذهب إليهم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم عاهد بني النضير على أن لا يحاربوه ، وأن يعينوه على الديات ، فلما طلب منهم ذلك وهو بينهم ، أظهروا له القبول وقالوا أقعد حتى نجمع لك ونطعمك ؛ فلما جلس بجانب جدار دار لهم ، وجدوا أن الفرصة قد سحقت لهم للقدربه ، فأرادوا أن يطرحوا عليه حجارة ويقتلوه ، وإنما اعتلوا بصنع الطعام ليكون لهم فيه وقت ينقلون فيه الصخرة إلى سطح الدار ؛ ولاشك أنهم كانوا يريدون قتل من معه أيضاً ، فأعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فانطلق وتركهم ، فنزلت الآية في ذلك مذكرة بهذه القصة وبقصة الحاربي وأمثالها من وقائع الاعتداء التي كانت كثيرة حتى بعد قوة الإسلام بكثرة المسلمين ، فهو سبحانه يذكّر المؤمنين بذلك كله ، والمنة له جل جلاله في ذلك ليست فاصرة على من وقعت لهم تلك الوقائع من النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، بل هي منة عامة يجب أن يشكرها له عز وجل كل مؤمن إلى يوم القيامة .

كما وقع للعبد الضعيف راقم هذه الكلمات في بلاد فرغانة حينما حبستني البلاشفة الدهرية ، وحكمت عليّ بالإعدام رمياً بالرصاص ، فنجانى الله تعالى من كيدهم وحبسهم ، وأوصلني إلى حرمة وجوار بيته الحرام ، واستعملني لتعليم عباده معالم دينهم وكان ذلك عام ١٣٤٦ ، كما بينت الواقعة في كتابي المطبوع بمصر بمطبعة عيسى الحلبي المنشور في أنحاء الدنيا [حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد] ،

والآن عام ١٣٦٦ هـ أنا حتى في بلد الله الأمين ، مسلم للناس معالم الدين ، والحمد لله رب العالمين (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ، (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) .

واعلم أن من فوائد هذا التذكير للمتأخرين ترغيبهم في التأسي بسلفهم الصالح في القيام بما جاء به الدين من الحق والعدل والبر والإحسان ، واحتمال الجهد والمشاق والصبر على ذلك في سبيل الله ، وهذا هو المعنى العام للجهاد في سبيل الله ؛ والعبد المؤمن إذا يئس من نفسه بتقطع الأسباب وتعليق الأبواب ، وتقلب الأعداء ، وتقلب الأولياء ، يتذكر أن الله تعالى وليه ووكيله ، وأنه هو الذي بيده ملكوت كل شيء ، وأنه هو الذي يجير ولا يجار عليه ، فيقوى إيمانه ، وتتجدد قوته ، فينصره الله تعالى بما يستفيد من الإيمان والذكرى والتوكل ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ، إذا توكلنا عليه حق التوكل ، فياربنا وثقنا لفهم معاني كتابك ، والعمل بمقتضاه بفضلك ومثلك آمين .

الآية الثالثة والثلاثون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين عامة وأمرهم بأن يتقوه وابتغوا إليه وحده الوسيلة بالعمل الصالح ، ولا يكونوا كأهل الكتاب مغرورين بأبائهم وساداتهم . اتقاء الله هو اتقاء سخطه وعقابه ، ومخالفة سننه ودينه وشرعه . والوسيلة إليه هي ما يُتوسل به إليه ، أي ما يُرجى أن يتوصل به إلى مرضاته ، والقرب منه تعالى ، واستحقاق الثوبة في دار كرامته ، ولا يُعرف ذلك على الوجه الصحيح إلا بتعريفه تعالى ، وقد تفضل علينا بهذا التعريف بوحيه إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم . وحقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحريم مكارم الأخلاق والشرعية فهي كالقربة . وقال حذيفة وعطاء ومجاهد والحسن رضي الله عنهم : تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه . ومن جملة الوسيلة إليه تعالى الجهاد في سبيله (وجاهدوا في سبيله)

أى جاهدوا أنفسكم بكنها عن الأهواء ، وحملها على التزام الحق فى جميع الأحوال ، وجاهدوا أعداء الإسلام الذين يقاومون دعوته وهدايته للناس ، والجهاد من الجهد وهو المشقة والنسب . وسبيل الله هى طريق الحق والخير والفضيلة ، فكل جهد يحمله الإنسان فى الدفاع عن الحق والخير والفضيلة ، أو فى تقريرها وحمل الناس عليها ، فهو جهاد فى سبيل الله (لعلمكم تفلحون) أى اتقوا الله لعلمكم تفوزون .

وابتموا ما يجب فله على رجاء الفوز والفلاح ، واحتملوا الجهد والمشقة فى سبيله رجاء للفوز والفلاح والسعادة فى المعاش والمااد ، هذا هو التفسير المأثور عن السلف الصالحين ؛ ولم يؤثر عن صحابى ولا تابعى ، ولا أحد من علماء السلف أو عامتهم أن الوسيلة إلى الله تعالى تبتغى بغير ما شرعه الله للناس من الإيمان والعمل بموجبه ، ولسكن قد حدث فى القرون الوسطى التوسل بأشخاص الأنبياء والأولياء ، وتسميتهم وسائل إلى الله تعالى ، والإقسام على الله بهم ، وطلب قضاء الحاجات ، ودفع الضرر ، وجلب النفع منهم عند قبورهم أو فى حال البعد عنها ، وشاع هذا وكثر حتى صار كثير من الناس يدعون أصحاب القبور فى حاجاتهم مع الله تعالى ، أو يدعونهم من دون الله تعالى ، والدعاء هو العبادة ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ » وفى رواية : « الدُّعَاءُ مُنْجُ الْعِبَادَةِ » ، والله تعالى يقول : (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) و (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ) ، ولكن بعض المصنفين يزعم أنهم يدعون ، والعوام يأخذون بمثل هذا القول المخالف لقول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم لعموم الجهول .

والعبد الضعيف قد حققت هذه المسئلة حق التحقيق ، فى مؤلفاتى المطبوعة المنشورة : [حكيم الله الواحد الصمد فى حكم الطالب من الميت المدد] و [أوضح البرهان فى تفسير أم القرآن] المطبوع فى مكة و [مفتاح الجنة لا إله إلا الله] ، و [البرهان الساطع فى تبرؤ المتبوع من التابع] و [العقود الدرية السلطانية] ، فيما ينسب إلى الأيام النيروزية [المطبوع فى مصر و [تحفة الأبرار فى فضائل سيد

الاستغفار] المطبوع في الصين ، وغيرها ؛ ولشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رسالة :
[قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة] ؛ فعلى كل مؤمن طالب للحق بمطالعة تلك
الكتب ، ولا يكن كأكثر البخاريين والهنديين والأتراك والإفريقيين عبداً
لأهل القبور والأرواح ، فإنهم بهذا الاعتقاد مشركون ، ولا ينفهم عند الله
دعوى الإسلام ، أو المجاورة في الحرمين إلا إذا تابوا وأصلحوا وبينوا ؛ فالله تعالى
قابل التوب وغافر الذنب . وأما إذا لم يتوبوا بل أصروا على ما هم عليه من الاعتقاد
الشركي ؛ فالله عز وجل شديد العقاب ذو الطول والقدرة والقوة ، لا إله إلا هو ،
ولا معبود بحق سواه .

الآية الرابعة والثلاثون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ ،
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

نادى الله تعالى المؤمنين وخاطبهم ناهياً إياهم أن لا يتخذوا اليهود والنصارى
أولياء لأنفسهم يناصرونهم ، وإن كان سبب النزول خاصاً ، ولكن العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب ، فلا يجوز لمسلم موالاته الكفار موالاته النصر والمظاهرة ،
لأن موالاتهم علامة على مرض القلب والرغبة إليهم ، ولهذا نهى الله تعالى عن
موالاته الكفار والمشركين عامة فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي
وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) الآية .
قال ابن جرير رحمه الله تعالى إن الله تعالى قد نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا
اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله ، وأخبر أنه من
اتخذهم نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله فإنه منهم ، وأن الله ورسوله منه
بريثان . قال البيضاوي: أي فلا تعتمدوا عليهم ، ولا تعاشرهم معاشر الأحاب ،
(بعضهم أولياء بعض) ، ولا شك أنهم متفقون على خلافكم ، يوالى بعضهم بعضاً
لأتعادهم في الدين ، فمن والاهم منكم فإنه من جملتهم ، وهذا التشديد في وجوب

مجانبتهم ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَتَرَائِي آثَارَاهُمَا » ، ولكن المنافقين في كل زمان ومكان يوالون الأعداء ليتخذوا عندهم الأيدي إذا دالت الدولة لهم ، وهذا هو الذى خرب الدولة التركية الإسلامية وأبادها ، فإن كثيراً من وزراءها منذ قرن أو قرنين في سياسته ما بين روسى وإنكليزى وألمانى وأمريكاني ، حتى تغلغل نفوذ هذه الدول في أحشاء هذه الدولة فأضعف استقلالها في بلادها ، ويخشى أكبر منه ، ألا وهو قيام قيامتها ومحوها واضمحلالها وقد وقعت .

وأما الذين استعمرت الأجانب بلادهم بأى صورة من صور الاستعمار ، فأمر منافقتهم أظهر ، يتقربون إلى الأجانب بما يضر أمتهم حتى فيما لم يكلفهم إياه .
فيا أيها المسلمون أما تعتبرون بآيات رب العالمين ، وما جرى عليكم من الأمور فترجعوا إلى الإنصاف ، والتجلى بأحسن الأوصاف ، فتكونوا مؤمنين صادقين ، ولسعادة الدارين نائلين .

الآية الخامسة والثلاثون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين منبهاً إياهم بأن منهم من يرتد عن الدين ، والعياذ بالله تعالى ، كالمنافقين المرضى القلوب ، وارتدادهم لا يضر الإسلام وأهله ، وإنما يُقيم الله الدين ، ويؤيده بالمؤمنين الصادقين ؛ فمن يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، فيؤثرون ما يحبه الله من إقامة الحق والعدل .

وهذا إخبار من الله تعالى بالغييب ، فإنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عامة العرب عن الإسلام ، وقال المرتدون نصلى ولا نركى ، فكلهم أبو بكر

رضى الله عنه فلم يقبلوا نصحه ، فقاتلهم أبو بكر رضى الله عنه ، فاقوم الذين يحبهم الله ويحبونه هم أبو بكر وأصحابه رضى الله تعالى عنهم .

وقد وصف الله تعالى المؤمنين الصادقين بست صفات : الأولى أنه تعالى يحبهم قال الله تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) فجعل اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم سبباً لمحبة الله تعالى .

الثانية : أنهم يحبون الله تعالى كما في الآية المذكورة وآيات كثيرة ، وفي الصحيحين عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا » الحديث ، والحب يستلزم الطاعة ويقضيها بسنة الفطرة كما قيل :

تمضى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري فى القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن الحب لمن يجب مطيع

الصفة الثالثة والرابعة : الذلة على المؤمنين والعرزة على الكافرين ، كقوله تعالى : (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) يعنى أنهم عاطفون عليهم على وجه التذلل والتواضع ، وأنهم مع شرفهم وفضلهم على المؤمنين حافظون لهم أجنحتهم .
الصفة الخامسة : الجهاد فى سبيل الله ، وهذا من أخص صفات المؤمنين الصادقين ؛ وأعظم الجهاد بذل النفس والمال فى قتال أعداء الحق ، وضعاف الإيمان قد يجاهدون ولكن فى سبيل منفعتهم دون سبيل الله .

الصفة السادسة : كونهم لا يخافون لومة لأثم ، بخلاف المنافقين فإنهم يخافون لومة لأثم ، أى أنهم لتكسبهم فى الدين ، ورسوخهم فى الإيمان لا يخافون لومة مما من أفراد اللوم ، كان الأثم كأننا من كان ، لأنهم لا يعملون العمل رغبة فى جزاء أو ثناء من الناس ، ولا خوفاً من مكروه يصيبهم منهم ، فيخافون لومة هذا أو ذاك ، وإنما يعملون العمل لإحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، وتقدير المعروف ، وإزالة المنكر ، ابتغاء مرضاة الله تعالى بتركية أنفسهم وترقيتها (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)

أى الصفات الست فضل الله يعطيه من يشاء من عباده (والله واسع عليم)
فلا ينبغي للمؤمن أن يفهل عن فضل الله الكريم عز وجل .

الآية السادسة والثلاثون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ
اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَاعِبَاءً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ
أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين ناهياً إياهم عن اتخاذ أعداء الدين
أولياء وأحباء ، لأنهم يتخذون دينكم الإسلام هزواً وعباءً ، أى شيئاً يمزح به
ويسخر منه ويبعث به ، فلا توالوا أهل الشرك والكفر والإلحاد (واتقوا الله)
أى اتقوا الله فى أمر الموالاتة فلا تضعوها فى غير موضعها (إن كنتم مؤمنين)
صادقين فى إيمانكم تحفظون كرامته ، وتتجنبون مهاتمه ، لأن هؤلاء الأعداء
إذا ناديتهم إلى الصلاة ، ودعوتهم إلى التوحيد اتخذوها هزواً ولبعباً .

والحاصل أن الاستهزاء والسخرية بالعبادات الإسلامية من شأن الكفار
والمشركين أعداء الدين ؛ فلهذا قد صرح العلماء فى عامة كتب الفقه والمقائد أن من
استهزأ أو تمسخر بالعبادات الإسلامية فقد كفر ، كما يفعل أكثر جهلة البخاريين
فى حفلاتهم وولائمهم ، والمولويون والرفاعيون فى حلقات أذكارهم وعبادتهم من
الغناء والرقص والدوران والتخنث ، فهم قد سلكوا مسلك اليهود والنصارى
والمجوس والوثنيين وهم لا يشعرون .

فيا أيها المسلمون أفيقوا من سكرتكم ، وارجعوا إلى دينكم الذى جاء به محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتقوا غضب الله وعقابه .

الآية السابعة والثلاثون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ
مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ
اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين ناهياً إياهم عن تحريم ما أحل لهم من المأكولات والمشروبات والمنكوحات ، كما كان يفعل أهل الجاهلية ، وبعض الجهلة من هذه الأمة ، ومن النصارى والوثنيين ، لأن بعض المتقشفين منهم كانوا يظنون أن بتحريم التمتع بالطيبات طبعاً من اللحوم والأدهان والنساء يحصل الكمال والقرب الإلهي ، كما تمنع الرهبان من التزوج ، أو أنواع الصيام المبتدع ، فأزال الله تعالى هذا الظن بقوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أى لا تحرموا على أنفسكم ما أحل الله لكم من الطيبات المستلذة ، بأن تتعمدوا ترك التمتع بها تنسكاً وتقرّباً إليه تعالى (ولا تعمدوا) فيها بتجاوز حد الاعتدال إلى الإسراف الضارّ بالجسد ، كالزيادة على الشبع والرى ، أو جعل التمتع بلذتها أكبرهمم ، وعلى هذا المعنى قوله تعالى : (كَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) ولا تعمدوا الطيبات الحلاله بتجاوزها إلى الخبائث المحرمة ، فالاعتداء يشمل الأمرين : اعتداء الطيبات نفسها إلى الخبائث ، والاعتداء فيها بالإسراف ، لأن حذف المفعول يفيد العموم (إن الله لا يحب المعتدين) الذين يتجاوزون حدود شريعته ، وسنن فطرته ، ولو بقصد عبادته ؛ وتحريم الطيبات الحلاله قد يكون بالفعل من غير التزام بيمين ولا نذر ، وقد يكون بالتزام ، وكلاهما غير جائز ، ولا يحرم على أحد شيء يحرمه على نفسه بهذه الأقوال . وأما ترك الطيبات كالحرمات تنسكاً وتعبداً لله تعالى بتعذيب النفس وحرمانها فقد فتن به كثير من العباد والمتصوفة ، فكان من بدعهم التركية ، التي تضاهى بدعهم العملية ، وقد اتبعوا فيها سنن من قبلهم شبراً بشبر ، وهؤلاء أخذوها عن بعض الوثنيين ، كالبراهمة الذين يحرمون جميع اللحوم ، ويزعمون أن النفس لا تزكو ولا تكمل إلا بحرمان الجسد من اللذات .

وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها : « أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله وعبادته في السرّ

فقال بعضهم : إني لا آكل اللحم وأصوم دائماً ؛ وقال بعضهم : لا أتزوج النساء ؛ وقال بعضهم : أقوم الليل ولا أنام على فراش ؛ فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا ، ولبيك أصوم وأفطر ، وأنام وأقوم ، وآكل اللحم ، وأتزوج النساء ؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني .

وقد ورد في الباب أحاديث كثيرة كلها تدل على سماحة دين الإسلام ، وأن الغلو والتشديد ليس منه ألبتة ، بل من دين الجوس والوثنيين .

(وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً) هذا تصريح بالأمر بضد مقتضى النهي قبله (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) في الأكل وغيره ، ولا تقفروا عليه تعالى في تحليل ولا تحريم ، ولا تعتدوا حدوده فيما أحل وفيما حرم ، فإن اتقاء سخطه في ذلك من لوازم إيمانكم به ، ومن اعتداء حدوده في الأكل والشرب الإسراف فيهما ؛ فمن جعل شهوة بطنه أكبر همه فهو من المعتدين المسرفين ، ومن بالغ في الشبع فهو من المعتدين المسرفين ، ومن أنفق في ذلك أكثر من طاقته ، وعرض نفسه لذل الدين ، أو أكل أموال الناس بالباطل فهو من المعتدين المسرفين ، وما كان المعتدى المسرف من المتقين .

فيا أيها المؤمنون أنتم مخاطبون المكلفون بهذه الخطابات والأوامر والنواهي ، فاعرفوها وافهموها واعملوا بها تكونوا متقين ؛ وأما إذا جهلتم وخالفتم فمتجاوزتم واعتديتم فأنتم المعتدون ، وأنتم الظالمون ، فبه تهلكون أنفسكم وأمتكم في هذه الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ؛ فيا خسارة من يجهل أمر ربه فيكون من المحرومين الخاسرين الهالكين .

الآية الثامنة والثلاثون فيها أيضاً : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين منبهاً إياهم بأن الخمر والقمار والأنصاب والأزلام كلها رجس وخبيث من عمل الشيطان لإضلال بني الإنسان ، والخمر كل شراب مسكر من أى شىء كان ، والميسر القمار والقامرة ، سواء كان بالأزلام والأقلام والسهام ، فكل قمار ميسر محرم بالنص ، وحتى لعب الصبيان بالجزر والبيض والكباب ؛ وكان أهل الجاهلية يتقامرون في جاهليتهم حتى جاءهم الإسلام ، فنهاهم الله تعالى عن هذه الأخلاق الذميمة .

وأما الأنصاب فهي حجارة كان أهل الجاهلية يذبحون قرابينهم عندها ، ويعظمون تلك الحجارة فيعبدها ويتقربون إليها ، فيدخل فيها المشاهد والقبور المبنية عليها القباب ، والأشجار التي يعظمونها ، ويعاقبون عليها الخرق .

وأما الأزلام فهي قذاح وقطع من الخشب كانوا يستقسمون بها في الجاهلية ، لأجل التفاؤل أو التشاؤم .

وأما الرجس فهو المستقذر حساً أو معنى كلحم الخنزير أو الدم المسفوح أو الميتة ، وكذا الكفر والشرك رجس معنوي ، وهو محمول على جميع ما ذكر من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، كما قال جل جلاله : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) ، وكافت الأنصاب والأزلام من لوازم الأوثان ، والشيطان يزين لأعدائه بنى آدم ابتداعها وإيجادها ، ثم يوسوس لهم بأن يعكفوا عليها ، ويزينها لهم لما فيها من شدة الضرر بهم (فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وإذا كان الأس كذلك فاجتنبوا هذا الرجس كله ، وابتعدوا عنه رجاء أن تفلحوا وتفوزوا بما فرض عليكم من تزكية أنفسكم ، وتحليتها بذكر ربكم ، ومراعاة سلامة أبدانكم ، والتواؤم والتأخى بينكم .

وأما تعاطى ما ذكر من الأشياء فإنه يصد عن ذلك ويحول دونه كما بينه الله تعالى بقوله : (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

ويصدقكم عن ذكر الله وعن الصلاة) والخطاب هنا للمؤمنين الذين طهرهم التوحيد من خرافات الشرك كلها ، وإحداث السكر العداوة والبغضاء معروف ومشهود ، لأن السكر يفقد العقل ، فينشأ عنه القتل والضرب والعدوان ، والسباب والفسق والفحش ، وإفشاء السر ، وهتك الأسرار ، وخيانة الحكومات والأوطان في كل زمان ومكان ؛ وأما الميسر فهو مثار للعدوان والبغضاء أيضاً ، وإن كان بين المتقارنين ومن يتصل بهما .

ولما بين الله تعالى علتين لتحريم الخمر والميسر ، إحداها اجتماعية ، والأخرى دينية ، والدينية تصدق على الألعاب التي اشتد ولوع كثير من الناس بها كالشطرنج ، فالظاهر أن تعدد ذلك محرم كالميسر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وإن كان اللعب بها على غير مال كما شاهدنا كثيراً منهم في الطائف في أيام الاصطياف ، فإنهم ينهضون في اللعب حتى تفوتهم الصلاة ، أو يؤخرونها عن أوقاتها ، وإن يصلوا فيصلون بالعجلة بلا طمأنينة ولا تعديل أركان ولا خشوع لئلا يفوته اللعب (فهل أتم منتهون) استنفهم يتضمن الأمر بالانتهاء ، وهذا أبلغ ما ينهى به ، وقد أكد الله تعالى تحريم الخمر والميسر من تسعة وجوه :

أحدها : أنه تعالى جعل الخمر والميسر رجساً ، وكلمة الرجس تدل على منتهى القبح والخبث ، ولذلك أطلقت على الأوثان .

الثاني : أنه تعالى صدر الجملة بإنما الدالة على الحصر للمبالغة في ذمهما .

الثالث : أنه تعالى قرنهما بالأنصاب والأزلام ، التي هي من أعمال الوثنية وخرافات الشرك ، وقد ورد في الحديث : « مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ وَثْنٍ » ، رواه ابن ماجه .

الرابع : أنه تعالى جعلهما من عمل الشيطان ، لما ينشأ عنهما من الشرور

والظنيان .

الخامس : أنه تعالى جعل الأمر بتركها من مادة الاجتناب ، وهو أبلغ من الترك .

السادس : أنه تعالى جعل اجتنابهما معداً للفلاح ومرجاة له ، فارتكابهما موجب للخسران والخيبة .

السابع : أنه تعالى أخبر أنهما صادان عن ذكر الله وعن الصلاة .

الثامن : أنه تعالى جعلهما مثاراً للعدوان والعداوة والبغضاء ، وهي من أشر المفسد .

التاسع : أنه تعالى أمر بالانتهاء عنهما بصيغة الاستفهام المقرون بفاء السببية ، فإياها المؤمنون هل تفهمون هذه الخطابات الموجهة إليكم ، وتذنبون عما أتم عليه من المنكرات والجهالات والخرافات والترهات .

الآية التاسعة والثلاثون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ، لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ، فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين منبهاً إياهم أنه تعالى يختبرهم في حال إحرامهم للحج والعمرة ، بإرسال شيء كثير من الصيد يسهل عليهم أخذه بأيديهم وبرماحهم (ليعلم الله من يخافه بالغيب) أى يبتليكم به وأنتم محرمون ، ليعلم من يخاف الله غائباً عن نظر الناس غير مرء لهم ، ولا خائف من إنكارهم ، فيترك أخذ شيء من الصيد ، ويختار شظف العيش على لذة اللحم خوفاً من الله تعالى ، وطاعة له في سره (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) وجه الابتلاء بذلك أن الصيد ألد الطعام وأطيبه ، وخصوصاً في السفر الطويل كالسفر إلى الحرمين وبين الحرمين ، وسهولة تناول اللذيذ تغري به ، فترك ما لا ينال إلا بمشقة لا يدل على التقوى والخوف من الله تعالى ، كما يدل عليه ترك ما ينال بسهولة .

وهل يعد ترك الزنا مما لا يصل إليه إلا بسعى ، وبذل مال ، وتوقع فضيحة ،

كترك يوسف الصديق عليه السلام له ، إذ غلقت امرأة العزيز الأبواب دونه ، وقالت هيت لك ؛ وكتمة أحد الثلاثة الذين دخلوا الفار وانطبقت عليهم الصخرة . فالخاصل أيها المؤمنون أنتم المختبرون المبتلون في نياتكم وأعمالكم ، فهل تمثلون أمر ربكم في سرهم وجهرهم ، أو تعتدون ذلك ، وتظهرون الامتثال في الظاهر ومرأى الناس ، وتركبون النهى المحظور في السر ، كلنا فاقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار .

الآية الأربعون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بِأَبْلِغِ الْكَعْبَةَ ، أَوْ كِفَارَةً طَعَامٌ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ، عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَافَ ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين الذين قصدوا حيج بيت الله الحرام ، ناهياً إياهم عن قتل الصيد في حال إحرامهم ، فاصطياد الحرم وقتله الصيد حرام عليه ، وإذا صدر عنه الاصطياد وقتله عامداً فعليه الجزاء في الدنيا ، وهو أنه يتصدق بمثل ما قتل من النعم الخ .

فعلى هذا يجب على من أراد الحج من المؤمنين أن يعلم ويتعلم ما يتعلق بالحج من الفرائض والسنن والمحرمات والمكروهات حتى يكون آتياً بالحج على وجه الكمال فيكون حجه مبروراً ، ولكن الأسف ألف أسف على جهل المسلمين وعدم مبالاتهم بأمور دينهم ، وأوامر مولاهم رب العالمين ، وسنن سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتدبر .

الآية الحادية والأربعون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَسْمَاءَ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوَأُهُمْ ، وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ أَنْ تُبَدَّلَ لَكُمْ ، عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ، وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين ، ناهياً إياهم عن السؤال عما لم يؤمروا
باعتقاده أو فعله أو تركه ، لأن الدين قد كل فلا يحتاج إلى التكميل ، حتى يحتاج إلى
السؤال ، وإنما عليكم الأخذ والعمل بما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم إليكم ،
فكونوا منقادين له صلى الله عليه وسلم ، وما لم يبلغه الرسول محمد صلى الله عليه
وسلم إليكم فلا تسألوا عنه ، ولا تخوضوا فيه ، فإنكم إن خضتم فيما لا تكليف فيه
عليكم ، فربما جاءكم بسبب ذلك الخوض الغير اللازم من التكاليف ما يثقل
عليكم ويشق .

وقد ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية أحاديث كثيرة ، فمنها ما رواه ابن جرير
وأصحاب الصحاح والسنن عن أبي هريرة رضى الله عنه في سؤال الرجل : « مَنْ أَنَا
وَمَنْ أَبَايَ الْحِجْ » ؟ وفي الحج « أَمَى كُلُّ عَامٍ يَارَسُولَ اللَّهِ » وفي الصحيحين من حديث
أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ذَرُونِي مَا تَرَ كُتُوبَكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ ،
وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ
بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » .

وعن أبي ثعلبة الخشني رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا ، وَحَرَّمَ حُرْمَاتٍ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا ،
وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً بِكُمْ مِنْ غَيْرِ نَسِيَانٍ ،
فَلَا تَبْجَحُوا عَنْهَا »

وفي رواية : « وَعَفَا عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نَسِيَانٍ فَلَا تَبْجَحُوا عَنْهَا ، وَلَكِنْ
إِذَا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِهَا مُجْمَلَةً فَسَأَلْتُمْ عَنْ بَيَانِهَا بَيَّنْتُ لَكُمْ حِينَئِذٍ لِأَحْتِيَاجِكُمْ
إِلَيْهَا عَفَا اللَّهُ عَنْهَا » .

أى ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفى عنه فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها .

واعلم أن الله تعالى قد بين لعباده بنص الخطاب ما لا بد لهم منه لإصلاح أمر معادهم ومعاشهم ، وبتحوى الخطاب أو الإشارة ما يفتح لهم باب الاجتهاد في كل ماله علاقة بأمور مصالحهم ، فالواجب أن يُترك أمر التشريع إليه تعالى لأنه تعالى أعلم بمصالح العباد من أنفسهم .

وهذه الآية تدل على أنه لا تجوز الزيادة على نصوص الشارع ، والتنطع في الدين باستعمال الرأى في العبادات ، وأحكام الحلال والحرام ، لأن الله سبحانه قد أكمل الدين ، وأتم به نعمته على المؤمنين بما أنزله من القرآن على خاتم رسوله ، وبما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم أكمل قيام من بيان مراد الله تعالى من تنزيله ، وهذه مسألة قطعية ثابتة بالنقل والعقل ، ولأن هذا الدين يُسر قد رفع الله تعالى منه الحرج كما نطق به النص ، ولذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ » رواه البخارى .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا » رواه الشيخان .

ومن الأسئلة المنهى عنها: البحث عن أمور غيبية ، وقد ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك البحث عن كيفيةها ، كسؤال الملكين في القبر ، ووزن الأعمال ، والسؤال عن وقت قيام الساعة ، وعن الروح ، وعن مدة هذه الأمة ، والبحث في صفات الله من: الاستواء على العرش ، ويد الله ، ونفس الله ، إلى أمثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف .

الآية الثانية والأربعون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

قد نادى الله تعالى المؤمنين وخاطبهم آمراً بإيهم بصيغة الإغراء بأن يهتموا

بإصلاح أنفسهم بالعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، وبين لهم أنهم إذا أصلحوا أنفسهم ، وقاموا بما أوجب الله عليهم من علم وعمل وتعليم وإرشاد ، فلا يضرهم من ضل من الناس عن محجة العلم الصحيح بالجهل والتقليد ، وعن صراط العمل الصالح بالفسق والإفساد في الأرض .

فيا أيها المؤمنون الزموا صلاح أنفسكم وتركيتها بما شرعه الله لكم ، لا يضركم ضلال غيركم إذا اهتديتم ، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى ؛ ومن أصول الهداية الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فإذا لا تكونون مهتدين إلا إذا بلغت دعوة الحق والخير ، وعلمتم الجاهلين ما أعطاكم الله تعالى من العلم والدين ، فلاتكتموا الحق والعلم كما كتمه من كان قبلكم ، فلعنهم الله تعالى على لسان أنبيائهم ولسان نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم (إلى الله مرجعكم جميعاً فينبشكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم ويحاسبكم بما كنتم تعملون في الدنيا ؛ وقد روى الحفاظ بسندهم عن قيس أنه قال : قام أبو بكر رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) الآية ، وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعْزَمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ . وَيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيمَانُكُمْ وَالسَّكْرَةُ فَإِنَّ السَّكْرَةَ مُجَانِبُ الْإِيمَانِ » . رواه أصحاب السنن الأربعة .

وروى الترمذى بسنده عن أبي أمية الشيباني قال : « أتيت أبا ثعلبة الخشني رضى الله عنه فقلت له : ما تصنع في هذه الآية ؟ قال آية آية ؟ قلت قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) ؛ قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بَلِ اتَّبَعُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحْحًا

مُطَاعًا ، وَهُوَ مُتَّبَعًا ، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخِصَّةِ نَفْسِكَ ، وَدَعِ عَنكَ أَمْرَ الْعَوَامِّ ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ كَعَمَلِكُمْ » .

والحاصل أنه قد علم من هذه الروايات أن السلف اتفقوا على أن المؤمن لا يكون مهتدياً بمجرد إصلاحه لنفسه إذا لم يهتم بإصلاح غيره ، ويأمر بالمعروف ، وبينه عن المنكر ، ويفهم منه أن هذا فرض لازم دائم ، إلا إذا فسد أهل الزمان فساداً لا يرجى معه تأثير الوعظ والإرشاد ، والموفق هو الله عز وجل .

الآية الثالثة والأربعون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) الآية .

قد خاطب الله تعالى المؤمنين منبهاً إياهم أنه من حضره الموت ، وعنده مسلمون حاضرون يجب عليه أن يشهد على وصيته عدلين من المسلمين ، وأما إذا لم يكن عنده مسلم حاضر فأمره بشهادة رجلين من غير المسلمين ، فإن ارتيب بشهادتهما ، أى الكافرين استخلفا بالله بعد الصلاة ، ما اشترينا بشهادتنا ثمنا قليلاً ، وليس على شهود المسلمين إقسام ، وأما الإقسام على الشهود إذا كانا كافرين ، والآية تنفيذ الحث على الوصية وتأكيدها ، وعدم التهاون فيها بشواغل السفر ، وتنفيذ الإشهاد على الوصية في الحضر والسفر ليكون أمرها أثبت ، والرجاء في تنفيذها أقوى ، وأن يكون الشاهدان من المؤمنين الموثوقين بعدالتهم ، وأن إشهاد غير المسلمين على الوصية جائز مشروع عند فقد أهل الإيمان كالسفر ، وجواز تغليظ الإقسام بالأوقات التي تؤثر في قلوب الشهود ؛ ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : الأيمان تغلظ بالزمان والمكان ، وتفصيل تفسير الآية مذکور في التفاسير عموماً ، وتفسير المنار خصوصاً ، فارجع إليها أيها المؤمن الذي يهيمه دينه .

الآية الرابعة والأربعون في سورة الأنفال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ. وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ ذُبُرُهُ إِلَّا الْمُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مَتَحِيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ المصيرُ)
قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين منهم إباهم : إذا لقيتم الكفار حال كونهم زاحفين زحفاً لقتالكم ، فلا تولوهم الأدبار ، أى فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم، وإن كانوا أكثر عدداً منكم وعدداً، وإذا كان الزحاف من الفريقين، أو كان الزحف من المؤمنين ، فتحرىم الفرار والهزيمة أولى ، ولفظ (إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً) يصلح للأحوال الثلاثة (ومن يولهم يومئذ ذبوره) ويولى ظهره إلى العدو فاراً منهم (إلا متحرفاً لقتال) أى متحرفاً لمكان من أمكنة القتال رآه أحوج إلى القتال فيه ، وأبلغ في النكابة بالعدو (أو متحيزاً إلى فئة) أى منتقلاً إلى فئة من المؤمنين فى حيز غير الذى كان فيه لينصرهم على عدو تكاثر جمه عليهم (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) لارتكابه معصية الفرار .

والآية تدل على أن الفرار من الزحف من كبار المعاصى ، وقد جاء التصريح بذلك فى أحاديث صحيحة أحدها عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً عند الشيخين .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ » أى المهلكات ، « قالوا يارسول الله وماهن ؟ قال : الشُّرْكُ بِاللَّهِ وَالسَّخَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ » إلا إذا كان الكفار أزيد من الضعف ، أو لتدبير حربى ، وهو التحيز إلى فئة .

فيا أيها المؤمنون جاهدوا أعداء الله ، وأعداء الدين والتوحيد ، واثبتوا فيه ولا تنزلوا ، لأنكم إذا قتلتهم فأنتم الشهداء الفائزون بالرضا والرضوان ، وأنواع نعم الجنان من الحور والغلمان ، وإذا نصرتهم وغلبتهم فأنتم الغانمون الفالحون ، نائلون السعادة والدولة برفع لواء الدين ؛ واعلموا أنه لا يموت أحد إلا بانقضاء أجله

المقدّر ، فأمنوا بهذا القدر ، فإن القدر لا يتغير ، واحذروا عن القدر ، فإن القدر
شين وعار ، وسبب المذلة في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وبئس المصير .

الآية الخامسة والأربعون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأُنتُمْ تَسْمَعُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين ، أمراً بإيهم بإطاعته وإطاعة رسوله محمد
صلى الله عليه وسلم وامتنثال أمره ، وناهياً إيهم عن أن يتولوا ويعرضوا عن الرسول
تاركين إطاعته ، ومخالفين له ؛ والحال أنكم تسمعون منه كلام الله المصريح بوجوب
طاعته ، ومولاته واتباعه ونصرته ، أى تسمعون سماع الفهم والتصديق والإذعان ،
الذى هو شأن المؤمنين الذين دأبهم أن يقولوا (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، غُفِرَ لَكَ رَبَّنَا
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) والموصوفون بقوله عز وجل : (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ، وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ)
وأصحاب العقول السليمة .

ولا تكونوا أيها المؤمنون الصادقون كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، أى
لا يسمعون سماع تفقه واعتبار يتبعه الانتفاع والعمل ؛ وهكذا كان المنافقون والكفار
المعاندون ، والمقلدون الجامدون ، والمتعصبون الضالون ، وقد سلك من هذه الأمة
مسلكهم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، فإن كثيراً منهم وإن قرأ القرآن وسمعه
واستمعه ، ولكنهم لا يعملون به إلا ما وافق هواهم ، أو وافق قول متبوعهم
وأخبارهم ورهبانهم ، ويحملون ماخالف مذهب متبوعهم على النسخ أو التأويل ،
كما تقول به أبو الحسن الكرخي الحنفي في كتابه أصول الفقه ، وقد نهيت عليه
في كتابي المطبوع المنشور [البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع] .

فيا أيها المؤمنون كونوا مؤمنين صادقين ، وانتمهوا بالإيمان والقرآن متدبرين
معناه ومتفكرين فخواه حتى تكونوا فالحين .

الآية السادسة والأربعون فيها أيضاً: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ، وَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ،
وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين عموماً ، عربهم وعجمهم ، وعالمهم
وجاهلهم ، أمراً بإيهم أن يستجيبوا لله والرسول بالعبادة والاستعداد ، أى إذا علمتم
ما فرضنا عليكم من الطاعة ، وشأن سماع النفقة من الهداية ، وقد دعاكم الرسول محمد
صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عن الله تعالى لما يحييكم من الأعمال الصالحة ، وأفضلها
الجهاد في سبيل الله ، والقيام بالدفاع عن المهاجرين .

ومنذ ترك المسلمون الجهاد والدفاع والاستعداد له ، تلاشت حياتهم القومية ،
ومكاتبهم الإسلامية كما لا يخفى ؛ فبأيتها المؤمنون أجيئوا الدعوة بعناية وهمة وعزيمة
وقوة ؛ ولا شك أن العمل بالقرآن ينبوع السعادة ، وأن طاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم خزينة الفلاح والنجاح ، وأن طاعته صلى الله عليه وسلم واجبة في حياته
وبعد مماته ، فيما علم أنه دعا إليه دعوة عامة من أمر الدين الذى بعثه الله تعالى به ،
كبيانته صلى الله عليه وسلم لصفة الصلاة وعددها ، والمناسك ، ومقادير الزكاة ، وغير
ذلك من السنن الدينية إلى يوم القيامة .

واعلموا أيها المؤمنون أن الله تعالى يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ،
وهذا تنبيه لأمرين عظيمين أمرنا الله تعالى أن نعلمهما علماً يقينياً :

الأول : أن من سنة الله فى البشر الخيلولة بين المرء وقلبه ، الذى هو مركز
الوجدان والإدراك ، ذى السلطان على إرادته وعمله ، وهذا أخوف ما يخافه المتقى
على نفسه إذا غفل عنها ، وفرط فى جنب ربه ، كما أنه أرجى ما يرجوه المسرف
على نفسه إذا لم ييأس من روح الله فيها ، ومعرفة هذه الجملة تثر الخوف والرجاء ،
فكم من متق مهتد يضل عن الصراط المستقيم ، ويميل إلى مهاوى الجحيم ، بسبب
شبهة تزرع الاعتماد ، أو شهوة يغلب بها الغنى على الرشاد ، فيطيع هواه ، ويتخذ

إلها من دون الله ، على أنه فيه مختار بلا جبر ولا اضطرار كما وقع في هذا العصر من بعض معاصرينا ، كعبد الله التصيمي في كتابه : [هذى هي الأغلال] ، فإنه قد خالف النصوص الصريحة القرآنية ، والأحاديث الصحيحة النبوية ، في أحد وعشرين موضعاً من هذا الكتاب ، ظاهره الكفر والزندقة ، بعد أن كان مؤمناً موحداً يدافع عن الإيمان والتوحيد وأهله ، ويصارع أهل الشرك والخرافات كما في مؤلفاته السابقة ، ككتابه : [الصراع بين الإسلام والوثنية] و [البروق النجدية] و [شيوخ الأزهر] وغيرها ، ولكن قد صدق الله العظيم : « أَنْ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ » ومن جملة الأسباب الظاهرة مصاحبة المتفرونجين والزنادقة ، والطمع فيما عندهم من مال الدنيا .

اللهم ثبت قلوبنا على دينك « رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين .

ويقابل هذا من الحيلولة ما حكى بعضهم عن نفسه : أنه كان منهمكاً في الشهوات والمنهيات ، تاركاً لهواه وطاعة ربه ، فنزل يوماً في زورق مع تخلان له في نهر دجلة للتعزّه ، ومعهم النبيذ والمعازف ، فبينما هم يعزفون ويشربون ، إذا التفتوا بزورق آخر فيه تال للقرآن يرتل سورة (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) فوقمت تلاوته من نفسه موقع التأثير والعظة ، فاستمع له وأنصت حتى إذا بلغ (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) امتلأ قلبه خشية من الله وتدبراً ، لإطلاعه على صحيفة عمله يوم يلقاه ، فأخذ العود من المعازف فكسره وألقاه في دجلة ، وثنى بنبذ قنان النبيذ وكؤوسه فيها ، وصار يردد الآية ، وعاد إلى منزله تائباً من كل معصية ، مجتهداً في كل ما يستطيع من طاعة .

فيا أيها المؤمنون انتبهوا لتذكير الله تعالى إيانا بهذا الشأن من شؤون الإنسان وسنن الله تعالى في الإرادات والأعمال . وأمره تعالى إيانا بأن نعلمها علم إيقان وإذعان يفيدنا فائدتين لا يكمل بدونهما الإيمان .

الفائدة الأولى : أن لا يأمن الطائع المشتم من مكر الله فيغتر بطاعته ، ويعجب (٨ - تمييز المحظوظين)

بنفسه ، وأن لا ييأس المعاصي والمقصر في الطاعة من روح الله وفضله وعنايته ، ومن لم يأمن من عقاب الله ، ولم ييأس من رحمة الله ، يكون جديراً بأن يراقب قلبه ، ويحاسب نفسه على خواطره ، ليظل على صراط العدل المستقيم ، متجنباً الإفراط والتفريط ، ويتحرى دائماً أن يكون بين خوف يحجزه عن المعاصي ورجاء يحمله على الطاعات .

الفائدة الثانية : هو تذكري حشرنا إليه عز وجل ، ومحاسبته إيانا على أعمالنا القلبية والبدنية ، ومجازاته إيانا عليها ، إما بالعذاب الأليم ، وإما بالنعيم المقيم .

فيا أيها المؤمنون لا تفتروا بظواهر طاعاتكم وعباداتكم ، بل اطلبوا من الله تعالى الدوام والثبات على الإيمان والتوفيق ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، وارزقنا حسن الختام .

الآية السابعة والأربعون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ تَعْلَمُونَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين الصادقين ناهياً إياهم عن ارتكاب خيانتين كما هو شأن المنافقين يخونون الله ويخونون رسول الله ويخونون المؤمنين ؛ فنبه الله تعالى المؤمنين عن هذه الفعلة القبيحة ، والحصلة الشنيعة ، ففيه عبرة لمنافقي هذا الزمان ، الذين يخدمون أعداء الدين والملة والأوطان ، مع كونهم أسراء في بلاد الإسلام .

وطالعوا يا أيها المؤمنون قصة أبي لبابة واعتبروا بها ، وقد ذكروا في نزول الآية أسباباً ؛ ومهما يكن سبب النزول فالآية عامة تشمل كل خيانة ، ولذلك فسر عبد الله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خيانة الله بترك فرائضه وارتكاب معصيته ، والأمانة بكل ما أتمن الله عليه العباد بأن ينقضها .

فيا أيها المؤمنون لا تخونوا الله تعالى بتعطيل فرائضه ، أو تعدي حدوده ، وانتهاك

محارمه التي بينها لكم في كتابه ، ولا تخونوا الرسول بالرغبة عن بيانه لكتاب الله تعالى إلى أهوائكم ، أو آراء مشايخكم أو آبائكم ، أو مخالفة عن أمره إلى أوامر أمرائكم وترك سنته إلى سنة أوليائكم ، بقاء على زعمكم أنهم أعلم بمراد الله ورسوله منكم ، ولا تخونوا أماناتكم فيما بينكم وبين أولياء أموركم من الشئون السياسية ، ولا سيما الخيرية ، وفيما بينكم بعضكم مع بعض من المعاملات المالية وغيرها حتى الاجتماعية والأدبية ؛ فقد ورد في الحديث : « الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةً مَجَالِسَ : سَفَكَ دَمٍ حَرَامٍ ، أَوْ فَرَجَ حَرَامٍ ، أَوْ اقْتِطَاعَ مَالٍ بِغَيْرِ حَقِّ » رواه أبو داود والترمذي وأحمد ؛ وفي حديث جابر رضي الله عنه : « إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ نُسِمَ التَّقَاتِ فَهُوَ أَمَانَةٌ ». فإفشاء السر خيانة محرمة ، وأكد الأمانات السر ، وأحقها بالحفظ ما يكون بين الزوجين . والخيانة من صفات المنافقين ، والأمانة من صفات المؤمنين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » رواه أحمد وابن حبان . وفي المتفق عليه في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أَوْثَمَنَ خَانَ » وزاد مسلم : « وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ » .

فكل ما يجب حفظه فهو أمانة ، وكل حق مادي أو معنوي يجب عليك أدائه إلى أهله فهو أمانة . إن الأمانة من الصفات الدينية التي قام عليها بناء المدنية ، وبها حفظ العمران والإصلاح لحال الأمة ، ولإبقاء لدولة بدونها ، لأن عليها مدار الثقة في جميع الحالات . قوله (وأنتم تعلمون) أي والحال أنكم تعلمون مفسد الخيانة وتحريم الله تعالى إياها وسوء عاقبة تلك المفسد في الدنيا والآخرة ، أو تعلمون أن مافعلتموه خيانة لظهوره ، وأما ما حفي عنكم حكمه فالجهل به عذر إذا لم يكن مما علم من الدين بالضرورة كفعلة أبي لبابة التي كانت هفوة سببها الحرص على المال والولد ، وسنذكر القصة في آخر الباب إن شاء الله تعالى .

ولما كان حب الأموال والأولاد مردياً في الخيانة ، أعلمنا الله تعالى به عقب النهى عنها فقال : (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) الفتنة هي الاختبار والامتحان بما يشق على النفس فعله أو تركه أو قبوله أو إنكاره ، فتكون في الاعتقاد والأقوال والأعمال ، يمتحن الله تعالى المؤمنين والكافرين والصادقين ويحاسبهم ويجازيهم بما يترتب على فتنهم من اتباع الحق أو الباطل ، وعمل الخير أو الشر ؛ وفتنة الأموال والأولاد عظيمة ، لا تخفى على ذي فهم وعقل ؛ فالواجب على المؤمن اتقاء خطر الفتنة في الأموال بكسبها من الحلال ، وإنفاقها في سبيل الله ، واتقاء الحرام في الكسب والإنفاق .

واتقاء خطر الفتنة الثانية في الأولاد بما أوجب الله تعالى على الوالدين من حسن تربية الأولاد على الدين والفضائل ، وتجنبهم أسباب المعاصي والذنوب (والله عنده أجر عظيم) وهذا تذكير من الله للمؤمنين بما يُعينهم على ما يجب عليهم من اتقاء الفتنتين ، وهو إشار ما عند الله سبحانه من الأجر العظيم لمن راعى أحكام دينه وشرعه في الأموال والأولاد ووقف عند حدوده .

فيا أيها المؤمنون خافوا من الله ربكم ولا تخونوا الأمانات ، بل توبوا إلى الله توبة نصوحاً ، ولكن من الأسف أننا نشاهد كثيراً ممن يدعون الإيمان يخونون الله ورسوله في انتهاك حرمت دينهم من الشراكيات ، ودعاء الأرواح والأموات ، والاستغاثة بهم ، ومن الفواحش والفجور ، ويخونون أمتهم ودولتهم بثمن قليل أو كثير من المال يرجونه أو ينالونه من عدوهم ، وقد يكون من مال أمتهم وغنائم وطنهم ، أو خوفاً على مالهم وولدهم ، وقد أسقطت الخيانة دولة كانت أعظم الدول في الأرض قوة وبأساً بارتكاب رجالها الرشوة والخيانة من أهلها ومن الأجانب ، حتى مسخت من الدين إلى اللادينية ، فصارت دولة صغيرة فتسيرة ، ألا وهي تركية اللادينية .

ولكن الخلف المغرور لذلك السلف الخرب ، يدعون أنما أسقطها تعاليم

الإسلام القويمة لأنها صارت قديمة ، والله العظيم إنهم لو أقاموا واجباً واحداً أو أدباً واحداً من آداب القرآن لكان كافياً لوقايتها من الزوال ، وإنما سبب كل هذه الأمور الجهل بمعاني القرآن كما لا يخفى فصاروا من المحرومين .

وأما قصة أبي لبابة رضى الله عنه كما ذكرها ابن كثير فى تفسيره وكذا البغوى وعامة المفسرين ، فقدرونى عبد الرزاق وأبو قتادة والكلبى والزهرى أن هذه الآية نزلت فى شأن أبى لبابة هارون بن عبد المنذر الأنصارى . وذلك « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صلح عليه إخوانهم من بنى النضير ، على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فأبوا ، وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحاً لهم ، لأن ماله وولده وعياله كانت عندهم ؛ فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له يا أبا لبابة ما ترى ؟ أنزل على حكم سعد بن معاذ ، فأشار أبو لبابة بيده على حلقة إنه الذبح فلا تفعلوا ، قال أبو لبابة : والله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ، ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل المسجد وشهد نفسه على سارية من سواري المسجد ، وقال والله لا أبرح ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله على ؛ فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، قال أما لو جاءنى لاستغفرت له ، فأما إذا فعل ما فعل فإنى لا أطلقه حتى يتوب الله عليه ، فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى خر مغشياً عليه ، ثم تاب الله عليه ؛ فقيل له يا أبا لبابة قد تاب الله عليك ، فقال لا والله لأأجل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحبنى بيده ، فجاءه فخله بيده ، ثم قال أبو لبابة : يا رسول الله إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالى كله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث فتصدق به . »

وتصدق الآية أيضاً على قصة حاطب بن أبي بلتعة ، وإنما صدر منهما هاتان الخيانتان حبا للمال والأولاد ، وعن هذا قال تعالى : (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) . وقد روى عن عائشة رضي الله عنها : « أن النبي صلى الله عليه وسلم أتته بصبي فقبله وقال أما إنهم مبخلة محبنة وإنهم لمن ریحان الله عز وجل » .

وبالجملة وإن روى في السبب قصصاً ، فالصحيح أن الآية عامة ، لأنه يؤخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند أهل الحق ، والخيانة تعم الصغار والكبار واللازمة والمتعدية ؛ والأهم ما يتعلق بالمملكة وحفظ الوطن ، وصيانة كيان الإسلام والمسلمين ، وأهم منها ما يتعلق بالدين والإيمان ، كإدخال الشرك والوثنية في الدين باسم التصوف ، وباسم الولاية ، وباسم الخال ، ورجال الغيب فتنبه .

الآية السابعة والأربعون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ، وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين منبهاً إليهم وموصياً بهم أن يتقوا الله في كل ما يجب أن يتقى بمقتضى دينه وشرعه وبمقتضى سننه في نظام خلقه ، يجعل لكم بمقتضى هذه التقوى ملكة من العلم والحكمة ، تفرقون بها بين الحق والباطل ، وتفصلون بين الضار والنافع ، وتميزون بين النور والظلمة ، وتزيلون بين الحجة والشبهة ، ويحصل لكم نور البصيرة الذي يفرق بين الحق والباطل ، وهو الفرقان الحكيم العلمي ، والفرقان العملي الذي هو ثمرة العلمي ، وهذا النور لا يحصل ولا يصل إليه طالبه إلا بالتقوى ، وقد أمر الله تعالى بالتقوى في مواضع من كتابه باتقائه ، وابتغاء النار ، وابتغاء الشرك والمعاصي ، وابتغاء الفتن العامة في الدول والأمم وابتغاء الفشل والخذلان في الحرب ، وابتغاء ظلم النساء ، وبين أن العاقبة في إرث الأرض للمتقين ، كما أن أرض الجنة في الآخرة للمتقين ، والتقوى أجراها كثير ، وعاقبتها حميدة ، والتقوى حصولها موقوف على العلم الواسع بمعاني السكتاب والسنة ،

وكمال هذا يتوقف على معرفة سنن الله تعالى في الإنسان منفرداً ومجتمعاً ؛ كما أرشد الله تعالى في آيات كثيرة من كتابه .

ولكن لما دخل الأعجم في الإسلام ، وغلبوا على أمور المسلمين ، كأبي مسلم الخراساني وأمثاله ، وهم جاهلون بمعاني كلام ربهم ، خرجوا عن التقوى الواجبة ، وهم لا يفرقون بين الحق والباطل ، فأدخلوا في الدين والإسلام ما ليس منه ، فأفسدوا السياسة ، وفرقوا بين المسلمين ، وجعلوهم مذاهب وفرقا ، وصاروا سبباً لضعفهم وزوال ملكهم ودولهم .

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله وتوبوا إليه ، وارجموا عما أتم عليه من الشركيات والجهالات والترهات والتعصبات ، ليكفر الله عنكم سيئاتكم الماضية ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم ، فإن تبتم تاب الله عليكم ، ويوفقكم ويعطيكم السعادة والدولة في الدنيا والآخرة .

الآية التاسعة والأربعون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين ، آمراً إياهم بالثبوت عند لقاء العدو وإكثار ذكر الله تعالى قلباً ولساناً ؛ ولا شك أن الثبات يفيد في كل أعمال البشر ، فهو وسيلة النجاح في كل شيء ، فأكثروا من ذكر الله في أثناء القتال وتضاعيفه ، اذكروه في قلوبكم بذكر قدرته ، ووعدته بنصر رسله والمؤمنين ، وكل من ينتهي سنتهم بنصر دينه وإقامة سننه ، وبذكر نهيه لكم عن اليأس مهما اشتد اليأس ، وبأن النصر بيده ومن عنده ، ينصر من يشاء وهو القوى العزيز ، فمن ذكر هذا وتأمل فيه لانهوله قوة عدوه واستعداده لإيمانه بأن الله تعالى أقوى منه ، واذكروه أيضاً بالسنتكم موافقة لقلوبكم بمثل التكبير الذي تصغرون بملاحظة معناه كل ما عداه ، والدعاء والتضرع إليه عز وجل مع اليقين بأنه لا يعجزه شيء (لعلمكم تفلاحون) فهذا الفلاح وهذا الرجاء

منوط بالأمرين كليهما ، أى الثبات وذكّر الله تعالى ، هما السببان المعنويان للفلاح والفوز في القتال في الدنيا ، ثم في نيل الثواب في الآخرة ، وكان جنود المسلمين حينما كانوا يسمعون الأذان في ميدان القتال يبكون بنشيج عال ، ويكفون على الأعداء الكفار ، فكانوا ينصرون ، ولاشك أن تأثير الإيمان في قلوب الشعب الإسلامي ينفذ إلى أعماق القلوب باستحسان الموت في سبيل الدفاع عن الدين وعن الوطن ولو لم يكن هناك أمل في المكافأة ، وهذا هو الشعور الإيماني ، والوجدان الإسلامي ؛ وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره وحشهم عليه ، ووصف الصادقين به في آيات أخرى ، كما وصف المنافقين بقلته ، لأن الذكر غذاء الإيمان فلا يكمل إلا بكثرته ، فمن غفل عن ذكر الله تعالى استحوذ الشيطان على قلبه ، وزين له الشرور والمعاصي .

فيا أيها المؤمنون أطيعوا الله ربكم في هذه الأوامر المرشدة إلى أسباب الفلاح في القتال وغيره ، وأطيعوا رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم فيما يأمر به وينهى عنه من شئون القتال وغيرها ، من حيث إنه صلى الله عليه وسلم هو المبين لكلام الله الذي أنزله إليه على ما يريد الله تعالى منه ، والمنفذه بالقول والعمل والحكم ، (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) هذا النهي مساوق للأمر بالثبات وكثرة الذكر وبطاعة الله والرسول ، ومتمم للغرض منه ؛ فإن الاختلاف والتنازع مدعاة الفشل ، وهو الخيبة والمنكول عن إمضاء الأمر ، وتذهب ريحكم وقوتكم فيظهر عدوكم عليكم (واصبروا إن الله مع الصابرين) بالمعونة والتأييد ، ومن كان الله معه فلا يفلبه شيء .

فيا أيها المسلمون كونوا مؤمنين عاملين بهذه الإرشادات الربانية ، ولا تغفروا بسفاسف الفلاسفة ، وترهات الملاحدة ، واجتهدوا في العمل بالأوامر الإلهية ، وكونوا صابرين عليها حتى تنالوا الدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، والمسلمون منذ تنازعوا واختلقوا ، وصاروا مذاهب وطرقا يتعصب بعضهم لبعض ، صاروا يعادى بعضهم بعضاً ، ويضال بعضهم بعضاً ، قد ذهب ريحهم ، وتلاشت قوتهم ، وصاروا طعمة

لكلاب الإنكليز ، وخنازير الروس والبلاشفة ، وذئاب الطليان والفرنسيس ،
ولسكن العجب أنهم لا ينتبهون ، وعن سكرتهم لا يفقهون ، بل في غيرهم وطفغيانهم
يعمهمون ، قد أعماه الجهل ، وأضلهم الفكر الفاسد ، والخيال الكاسد .

فيا أيها المسلمون اتركوا المذاهب المبتدعة ، والطرق الوثنية كلياً ، واكتفوا
كلكم جميعاً بالتمذهب بمذهب الإمام الأعظم على الإطلاق بالاتفاق سيدنا محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيدة وعملاً ، فحينئذ تتحدون وتفقهون فتفوزون
وتسعدون ، وتقوون وتنصرون ، وتؤيدون بالنصر الإلهي وهذا هو الحق ، وماذا بعد
الحق إلا الضلال .

الآية الخسوس في سورة التوبة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين ناهياً إياهم عن اتخاذ الآباء والإخوان
الكافرين أولياء إن هم أصروا على كفرهم ، وآثروه على الإيمان ، لأن باختلاف
الدين تنقطع العلاقة ؛ فلا ينبغي للمؤمن أن يوصل هذه العلاقة المقطوعة ، والكافر
من حيث إنه كافر لا يجب المؤمن من حيث إنه مؤمن ، فلهذا إذا تولى وأحب العبد
المؤمن الكافر ولو أباه أو أخاه فقد ظلم نفسه بوضع الحب في غير موضعه ، والمؤمن
يجب الله ورسوله أشد من حبه نفسه ، فضلاً عن حب أبيه وأخيه ، فلهذا يجاهد
في الله ويقاتل ولو مع أبيه وأخيه وأقربائه الكافرين ؛ فمن ترك الجهاد في سبيل الله
لأجل رعاية آبائه وأبنائه وإخوانه وأزواجه وعشيرته ، أو لأجل حفظ أمواله وأملاكه
وتجارته وكسبه ، أو مساكنته العالية ، وقصوره الفاخرة ، وبساتينه الزاهرة ، وقدم
حب هذه الأشياء على حب الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فليتر بصوا وليتظنوا حتى
يأني الله بأمره .

وهذا وعيد لهم ، لتذهب أنفسهم فيه كل مذهب ؛ ولا شك أن الذين يؤثرون

حب أهلهم وأموالهم على حب الله ورسوله وجهاد في سبيله منافقون ، ولا يصدر هذا إلا عن المنافقين ؛ ولا ريب أن الذين اتصفوا بتلك الصفات غير تاحي الإيمان أو غير صحيحه ؛ ومن آثر حب هذه الأشياء على حب الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فهو من المحرومين من الهداية الفطرية التي يعرفها الإنسان بالعقل السليم ، والوجدان الصحيح ، وهم من المحرومين من الصلاح والإصلاح ، والفوز بسعادة الدارين ، الحاصل من حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ، وبه يحصل الولاء والاتحاد بين المؤمنين ، فتزول خرافات الشرك ومفاسده ، ويقام الحق والعدل كما لا يخفى .

فيا أيها المؤمنون ارجعوا إلى حب ربكم ، واجتهدوا في فهم كلامه وخطابه ، لأنه خاطبكم وأمركم ونهاكم ، فلا تكفروا هذه النعمة العظمى ، والدولة الكبرى ، ولا تضيعوا أعماركم وأنفاسكم بسفاسف الهوى وتزوهات الآراء ، وخذوا حظكم من نعم ربكم ولا تكونوا من المحرومين ، والمردودين الخاسرين ، فلا ينفعكم أبائكم ولا أبنائكم ولا أموالكم وجاهكم ، ولا ساداتكم وشيوخكم ، ولا مذهبكم وطريقتكم ، (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَابِ سَلِيمٍ) أي سليم من الشرك ، وسليم من الكفر ، وسليم من النفاق ، وسليم من الشك ، وسليم من الزندقة ، وسليم من الرياء . اللهم ارزقنا قلباً سليماً ، وإيماناً ثابتاً ، وتوحيداً خالصاً ، ولساناً ذا كراً آمين .

الآية الحادية والخمسون في سورة التوبة أيضاً: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَمَلِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين مفهياً إياهم بأن المشركين نجاس فلا تتركوهم يقربون المسجد الحرام ويقيمون فيه ، ونفط النجس إذا وصف به الإنسان ، فالمراد به أنه شرير حيث النفس ، وإن كان ظاهر البدن والثوب حسناً ، في المثل : الناس أجناس ، وأكثرهم أجناس ، نجستهم الذنوب ، فلا ترى أنجس من المشرك والكافر ؛ فعني الآية بأيها المؤمنون اعلموا أن المشركين ليسوا كما تعلمون من ظاهر حالهم

بل هم أنجاس فاسدو الاعتقاد ، يشركون بالله مالا ينفع ولا يضر ، فيعبدون الرجس من الأوثان والأصنام ، ويدينون بالخرافات والأوهام ، ولا يتنزهون عن النجاسات والآثام ، ويأكلون الميتة والدم ولحم الخنزير ، ويستحلون القمار والزنا من الأرجاس ؛ وقد تمكنت صفات النجس منهم حساً ومعنى حتى كأنهم عينه وحقيقته . فلا تمكنوهم بعد هذا العام ، عام تسع من الهجرة ، وثاني عام الفتح ، أن يقربوا المسجد الحرام بدخول أرض الحرم ، فضلاً عن دخول البيت نفسه ، وطوافهم عراة فيه ، يشركون بربهم في التلبية ، وإذا صلوا عند البيت لم تكن صلاتهم إلا مكاء وتصديّة .

وقد روى مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فَلَا أَتْرُكُ فِيهَا إِلَّا مُسْلِمًا » وفي رواية : « أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » ولم يتفرغ لذلك أبو بكر رضى الله عنه ، وأجلاهم عمر رضى الله عنه في خلافته ، وأجل لمن يقدم تاجراً ثلاثاً . وعن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَجْتَمِعُ دِينَارٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » أخرجه مالك في الموطأ ؛ لأن إقامتهم لا تخلو عن إيقاع فتنة ، وإفساد عقيدة وأخلاق ، وهذا ظاهر بين .

ويأبها المؤمنون إن خطر ببالكم أنكم إذا منعتم المشركين تنقطع عنكم الأرزاق فتقعون في الضيق والفقر ، فاعلموا أن الله الكريم الرزاق يفتنكم من فضله ، وفضله تعالى كثير ؛ والمنافقون في كل عصر وزمان يُلَقَوْنَ الشبهة في قلوب الناس ، فخيبت إن أكثر الناس ضعيفو الإيمان يميلون إلى الكفار ويعتمدون عليهم ، ويرضون بدخولهم في أرض الحرمين ، فهم يفسدون دينهم وعقيدتهم شيئاً فشيئاً ، كما هو معروف في الشريف حسين وأحزابه .

إن الله تعالى عليم بحقائق الأمور ، وما في الصدور ، وحاجات عباده ، وحكيم فيما شرعه من الأمر والنهي . فآمنوا بالله وامثلوا أمره صدقاً وإخلاصاً تروا فضل

الله داراً عليكم بتسخير عباده لكم وتمهيد سبيل الملك والمالك ، وبسط الرزق ،
ويزيدكم نصراً وغنى إذا وفيتم بما شرطه عليكم بمثل قوله : (إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ
بِتَضَرُّعِكُمْ) اللهم اهدنا فيمن هديت يارب العالمين .

الآية الثانية والحسون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ كَثِيرًا مِنْ
الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ،
وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .
يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، هَذَا
مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين منبهاً إياهم بأن كثيراً من العلماء
والعباد والمشايخ والسادات لياً يكون أموال الناس بالباطل ، ويمنعونهم عن السلوك
في سبيل الله وسبيل الحق والطاعة . وحيث إن اليهود والنصارى اتخذوا أخبارهم
ورهبانهم أرباباً من دون الله ورفعوه فوق قدرهم ، وافتن هؤلاء العلماء والعباد
واعتروا ففسدوا ، فأراد الله تعالى أن يبين لنا شيئاً من سيرة جمهور هؤلاء الرؤساء
الدينيين العلمية والعملية ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ، والأسباب التي تحملهم على
محاولة الصدا عن سبيل الله تعالى وأن أكثرهم يعبدون أهواءهم وشهواتهم ، واستعمل
أكل الأموال بمعنى أخذها والتصرف فيها بوجود الانتفاع ، وإسناد هذه الجريمة
المزرية إلى الكثير منهم دون جميعهم من دقائق تحرسي الحق في عبارات الكتاب
العزيز ، فهو تعالى لا يحكم على الأمة الكبيرة بفساد جميع أفرادها أو فسقهم أو ظلمهم ،
بل يسند ذلك إلى الكثير أو للاً أكثر . والمعنى العام لأكل أموال الناس بالباطل
هو أخذها بغير وجه شرعي : فمنها ما يبذله كثير من الناس لمن يعتقدون أنه عابد
فانت لله زاهد في الدنيا ، ليدعوه لهم ويشفع لهم عند الله في قضاء حاجاتهم ، وشفاء
مرضاهم ، لاعتقادهم أن الله تعالى يستجيب دعاءه ولا يرد شفاعته .

الدعاء مشروع دون أخذ المال به أو عليه ، والرجاء باستجابته حسن ، واعتقاده بالجزم جهل ، أو اظنهم أن الله تعالى أعطاه سلطاناً وتصرفاً في الكون ، فهو يقضى الحاجات من دفع الضر عن شاء وجلب الخير لمن يشاء متى شاء ، وهذا هو اعتقاد الوثنيين في أوثانهم ومعبوداتهم ، قد طرأت على أتباع الأنبياء عليهم السلام بدسائس الدخيل فيهم ، وتأولها هم الرؤساء الدينيون المضلون ، بأنها لا تنافي التوحيد الذي جاء به الرسل عليهم السلام .

ومنها ما يأخذه سدنة قبور الأنبياء والصالحين والمعابد التي بُنيت بأسمائهم من الهدايا والندور التي يحملها إلى تلك الأماكن أمثال من ذكرنا ممن لا يعقلون معنى التوحيد الخالص ، والنصارى يبنون الكنائس والأديار بأسماء القديسين والقديسات فتُحسب عليها الأراضى والعقارات ، وتُقدّم لها الندور والهدايا تقرباً إلى تلك الأسماء والمسميات . وهذا وما قبله مما اتبع المسلمون فيه سفنهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، ويدعون تلك الأسماء مع الله تارة ، ومن دونه تارة ، وينذرله وحده تارة ، ومع الله تارة . فهذه البدع الشركية تنبرأ منها أديان الأنبياء الموحدة إليهم من الله عز وجل ، والنفقة فيها كلها من الباطل ، وآكلوها من رؤساء الدين وسدنة المعابد من الفئس يأكلون أموال الناس بالباطل .

ومنها ما يأخذه بعض قسوس نصارى الكاثوليك جُبلا على مفكرة الذنوب أو ثمنها ، وكذا ما يأخذه دجاجلة من يدعى الإسلام على بعض التأمم ، وذلك أنه إذا اشتراها الزانى أو الزانية بثمن كذا وعلقه على نفسه يُغفر كل ذنوبه ، ومنها ما يأخذه العلماء الدجالين على فتاوى تحليل الحرام وتحريم الحلال . فأولو المطامع والأهواء يفتنون الملوك والأمراء والأغنياء بما يُساعدهم على إرضاء شهواتهم ، والانتقام من أعدائهم بضر وب من الخيل والتأويل .

ومنها الرشوة وهو ما يأخذه صاحب السلطة الدينية أو المدنية رسمية أو غير رسمية

من المال وغيره لأجل الحكم ، أو المساعدة على إبطال حق أو إحقاق باطل ، ومنها الربا خصوصاً الفاحش منه ، وهو فاش عند اليهود والنصارى ، وقد تعامل بمعاملتهم بعض فقهاء المسلمين ، وخصوصاً في بخارى وما وراء النهر فإن أكثرهم يعاملون بالربا مع حياتهم الشرعية الشرعية الملمونة ، وأكثر هؤلاء لا يعطون الزكاة المفروضة بل يأخذونها ، ويتعللون بهلل شيطانية ، وفتاوى إبليسية ، كأنهم خارجون عن خطاب (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) ، ومنها قراءتهم القرآن لأجل المال ، وإهداء ثوبها إلى روح من يريده المستأجر ، وغيرها من الأمور التي لا تخفى على العالم بالدين ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

وأما صددهم عن سبيل الله ، فهو منعهم الناس عن الإسلام ، فإن سبيل الله في الدين هي طريق معرفته الصحيحة ، وعبادته القويمة التي ترضيه ، ورأس معرفته التوحيد والتنزيه ؛ وأما أكثر الأخبار والرهبان فمشركون غير موحدون ، ومشبهون غير منزّهين ، كما علم من الآيات السابقة ؛ وأما عبادته القويمة فهي أن يُعبد وحده بما شرعه هو دون البشر ، وهم قد غيروا وبدلوا وأحدثوا ؛ فعرفة الله تعالى وعبادته على الوجه الحق المرضي له تعالى محصورة في الإسلام الذي حفظه الله تعالى بكتابه المنزل ، وما بينه من سنة نبيه المرسل محمد صلى الله عليه وسلم .

وكل ما ابتدعه جهلة المسلمين والكاثدون له من غيرهم ، فالقرآن الحكيم والسنة الصحيحة حجة على بطلانه ، وحفاظ السنة وأنصارها ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

وأما طرق صددهم عن الإسلام والتوحيد الصحيح فهي تختلف باختلاف الزمان والمكان والإمكان ، وقد انفرد النصارى بالعناية بهذا الصد من طريق السياسة والدعوة معا ، وقد أتى الله تعالى بصيغة المضارع الذي يدل على الحال والاستقبال ، وهم لا يفتنون بصد أهل ملاهم عن الإسلام ، بل يصدون أهله عنه ، كما صدوا الأتراك الكباريين ، ودعوهم إلى دينهم الملقق من الأديان الوثنية والدهرية ، وقد

اشتدت ضراوتهم بعد الحرب العامة عام ١٩١٦ بسلب البلاد الإسلامية ما بقي من استقلالها ، وتعميم النصرانية في جميع أهايا حتى جزيرة العرب ، وقد سخروا بعض أمراء المسلمين المستعبدين ، وشيوخ الطرق والفقهاء المناهقين للدجالين لشد أزهرهم ، فإذا نقول بعد هذا من تسخيرنا زنادقتهم وملاحقتهم ، وماذا يفيد المسلم من قراءة مثل هذه الآيات ، ومن تفسير علماء الألفاظ والروايات لها إذا لم يعرف مضمونها التفصيلي العملي في عصره ، ويسمى لتدارك خطبه ، فلا يكون القرآن إلا حجة عليه .

واشتد طريق الصد عن الإسلام ، وأشره وأضره تعليم المدارس التي يفسدون عقائد النشء الذي يتعلم ويتربى فيها ، ولكن أكثر مسلمي زماننا لا يعقلون كنه مفسادها وسوء عاقبتها في الدين والأدب ، وسياسة الأمة واستقلالها ، ومن الصادين عن الإسلام الصحيح والدين الحق شيوخ الطرق ، وأصحاب الدجل ، وسدنة المشاهد والقبور ، فإنهم لانفراقتهم في ظلمات الشرك والجهل والغباوة والترهات ، يصدون الناس عن الحق ، وعن التوحيد الصحيح ، وعن العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والجهال يظنون فيهم الصلاح والدين والخير ؛ والحال أنهم صاروا من شياطين الإنس ، كما هو المشاهد في جميع أنحاء العالم الإسلامي حتى في الحرمين ، وهؤلاء العلماء والشيوخ والسادات وإن ادعوا أنهم ورثة الأنبياء ، وقدوة الأنام ، ولكن لسان حالهم ، وشاهد فعالهم يتزعم بهذا البيت :

وكنتُ فتىً من جندي إبليس فارتقي في الحال حتى صار إبليس من جندي
أعاذنا الله تعالى من شرهم ، ومن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ومن شر

كل ذي شر .

وإن هؤلاء الرؤساء السوء من العلماء والمشايخ الذين يجمعون الأموال ويكنزون الذهب والفضة والجواهر ، ويبنون القصور ، أخبر الله عنهم فقال : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب آليم) مقتضى السياق أن تكون هذه الجملة في الكثير من الأخبار والرهبان ، الذين

يأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، كما نص عليه معاوية رضى الله عنه ، فكل من اتصف بهذه الصفة فهو داخل في الوعيد من الأمم السابقة أو من هذه الأمة ، كما قال أبو ذر رضى الله عنه : نزلت الآية فينا وفيهم جميعاً وهو الحق ، لأن اللفظ مطلق فيجب جريانه على إطلاقه وعمومه . ولا شك أن أكبر أسباب ضعف المسلمين وذهاب دولتهم ، وتمكّن أعدائهم من سلب ملكهم ، ومحاولة تحويلهم عن دينهم ، هو حرص علمائهم ومشائخهم على الدنيا وبخل أغنيائهم ، وجبن ملائكتهم وأسرانهم وقوادهم وزعمائهم ، وكونهم جاهلين بمعاني كلام ربهم ، ولقد صدق الذى قال : حب الدنيا رأس كل خطيئة .

فيأيتها المؤمنون انهموا كلام ربكم ، ومواعظ مولاكم ، واعتبروا بما جرى وما يجرى واجتهدوا فى إصلاح أنفسكم لتتالوا رضى ربكم ، فتتهوزوا بسعادة الدنيا وإلا تكونوا من المحرومين الخاسرين فى الدارين ، كما هو شأن أكثر المغرورين فإننا لله وإنا إليه راجعون .

الآية الثالثة والخمسون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ؟ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) .

قد نادى الله تعالى وخطب عباده المؤمنين بالاستمفهام الإنكارى والتوبيخ ، وإن كان سبب النزول فى واقعة تبوك ، ولكن الخطاب عام لعامة المؤمنين أجمعين ، تربية لهم وتنبيهاً إليهم أن لا يقعدوا عن الجهاد ؛ لأن التعود عن الجهاد من شأن المنافقين . وحاصل المعنى : بأيها الذين دخلوا فى الإيمان واتصفوا به ماذا عرض لكم مما ينافى صحة الإيمان أو كماله المقتضى للإذعان والطاعة ، حين قال لكم الرسول : انفروا فى سبيل الله لقتال الروم الذين تجهزوا لقتالكم ، والتقضاء على دينكم الحق ، الذى هو السبيل الموصل إلى معرفة الله وعبادته ، وإقامة شرعه وسننه ، فأنتم تناقستم عن النهوض بالنشاط وعلو الهمة ، مخلدين إلى أرض الراحة واللذة ؛

والحال أن آية الإيمان بذل الجهد بالمال والنفس في سبيل الله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) .

أرضيتم أيها المؤمنون بالحياة الدنيا من الآخرة ، أى براحة الحياة الغانية الدنيئة ولذتها الناقصة ، بدلا من سعادة الآخرة الكاملة الباقية الدائمة ، إن كان الأمر كذلك فقد استبدتكم الذى هو أدنى وأدنى بالذى هو خير وأبقى ، فاستمتع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ، فلا يرضاه عاقل بدلا منه ، وإنما يؤثره عليه من لا يؤمن به ، وقد مضت سنة الله تعالى بأنه لا يبقاء للأمم التى تتناقل عن الدفاع عن نفسها ، وحفظ حقيقتها وسيادتها .

فيا أيها المؤمنون استمدوا للدفاع والجهاد كما أمر الله تعالى الحكيم ، ولا تعتمدوا على الأرواح الخاليات ، والأجساد الباليات ، ولا قراءة دلائل الخيرات ، أو حزب النصر والبحر ، أو قراءة صحيح البخارى بدون فهم ولا عمل بما فيه ، فإن كلاهما من دسائس شياطين الإنس ليجمعواكم محرومين من الدولتين والسعادتين الدنيوية والأخروية ؛ فانتبهوا وارجعوا إلى أصل دينكم وكلام ربكم ، وهداية رسوله الأمين سيدنا محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

الآية الرابعة والخمسون فيها أيضا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) .

قد نادى الله تعالى ونخاطب عباده المؤمنين ، آمراً بإياهم بأن يتقوه ، ويكونوا مع الصادقين ، وإنما إمام الصادقين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكونوا معه ملازمين إياه ، وممثلين أمره فى غزواته وكل حالاته ، وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه « وكونوا من الصادقين » وعلى أى حال أيها المؤمنون اصدقوا والزموا الصديق تكونوا مع أهله ، وتنجوا من المهالك ، ويعمل الله لكم فرجا ومخرجا فى كل أموركم (٩ - تمييز المحفلوظين)

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

وقد ثبت عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصَّدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا ؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » رواه الشيخان وأصحاب السنن وأحمد .

والصادقون حقيقة هم الذين صدقت نياتهم ، واستقامت قلوبهم وأعمالهم ، وامتلأوا أمر ربهم عن صميم قلوبهم ، والصادق هو الفالح في الدارين ، والكاذب هو الخاسر في الدارين ، وساقط الاعتبار في الخاققين ، وممحوق البركة ، ولكن الأسف أن كثيراً من المسلمين ، بل من هم على زى العلماء والأئمة والمدرسين قد اتخذوا الكذب شعارهم ، والنفاق دثارهم ، لا يستحيون لامن الله ولا من بنى نوعهم ؛ حتى إن الكفار يطعنون عليهم ويعيبونهم .

فيأيتها المسلمون أنتم المحاطبون بالمأمورين بالتقوى والصدق ، فلماذا صرتم من المحرومين من هذه الصفة الكريمة ، وصرتم أسارى النفس والشيطان والهوى ، ولو أنتم أنفسكم بصفات أهل الخبث والجفاء ؛ فأفيقوا يا إخواني من سكرتكم ، وتوبوا إلى الله جميعاً توبة نصوحا ، وكونوا من الصادقين ومع الصادقين .

الآية الخامسة والخمسون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ، وَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين أمراً بإيهم بقتال من يليهم من الكفار إذا غدروا أو تعدوا ، وأمراً أيضاً بأن يعاملوهم معاملة غليظة بالشدة والبطولة والشجاعة

دون الرعونة والجن والكسل ؛ فأيها المؤمنون قد أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً ، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام ؛ ولهذا قد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب ، فلما فرغ منهم — وقد فتح الله تعالى عليه مكة والطائف واليمن واليمامة وجر وخبير ، وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ، ودخل الناس من سائر العرب في دين الله أفواجا — شرع في قتال أهل الكتاب ، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب ، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لأنهم أهل كتاب ، فبلغ تبوك ، ثم رجع لأجل جهد الناس ، وجذب البلاد ، وضيق الحال الخ .

ثم قام بعده صلى الله عليه وسلم خليفته أبو بكر ثم عمر رضى الله تعالى عنهما ، فغزوا الروم عبدة الأوثان والصلبان ، والفرس عبدة النيران ، ففتح الله تعالى البلاد ببركة خلوص نية هؤلاء المخلصين وهكذا (وليجدوا فيكم غلظة) فإن المؤمن الكامل الإيمان هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن ، غليظاً على عدوه الكافر ؛ قال الله تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) ، و (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) . وفي الحديث : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أَنَا الضَّحُوكُ الْقَتَالُ » الضحوك في وجه المؤمن ، والقتال لعامة عدوه الكافر .

ولكن الأسف أن المسلمين لما جهاوا أمر ربهم ، وحقيقة دينهم وشرعهم ، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم ، انعكسوا بعكسوا الأمر ، بحيث صاروا خاضعين متواضعين للكفار والمنافقين ، وغليظي المعاملة ، وعبوسى الوجوه للمؤمنين ، فلماذا أذلمهم الله تعالى تحت سيطرة الكافرين والمنافقين (واعلموا أن الله مع المتقين) فأنتم أيها المؤمنون إذا اتقيتم الله تعالى وأطعتموه وامتثلتم أمره فإله معكم فتكونون منصورين وغالبين مفلحين وناجحين وفائزين في الدنيا والآخرة .

ولما كان أهل القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة ،

والقيام بطاعة الله تعالى ، لم يزالوا ظاهرين على عدوهم ، ولم تزل الفتوحات كثيرة ، ولم تزل الأعداء في سفال وخسار . ولما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات ، وغلب الجهل على العلم ، وتركوا كتاب الله وراء ظهورهم ، طمع الأعداء في أطراف البلاد ، وتقدموا إليها حتى أخذوا بلداناً كثيرة ، ولا يزالون يستحذون على كثير من بلاد الإسلام .

وكما قام ملك من ملوك المسلمين وأطاع أوامر الله وتوكل على الله ، فتح الله عليه من البلاد ما شاء بقدر ما فيه من ولاية الله ، كما هو المشاهد المعلوم ؛ كما فتح الله تعالى للسعوديين الوهابيين ولايات الحجاز والحرمين وعامة جزيرة العرب لنصرهم دين الله ، وقيامهم بتوحيد الله حق القيام ؛ فاللهم ثبتهم على الحق ، وأيدهم بتوفيقك ، وأيد دولتهم إلى الأبد على الصراط المستقيم آمين .

وأما إذا انحرفوا عن الصراط المستقيم الذي ميزانه القرآن وسنة المصطفى ، سلب الله تعالى عنهم الدولة ، وسلط عليهم غيرهم حتى يذوقوا الذل ، ويحقرهم تحقيراً ، (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ - وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

فيا أيها المسلمون اتقوا غضب الله وعذابه وانتقامه ، أتم المأمورون بالتقوى ، وأنتم المأمورون بأن تعلموا وتفهموا أوامر الله ، ولكنكم ضيعتم أهليتكم ، واكتفيتم من كتاب الله بتلاوته ، وتزيين حروفه وخطوطه ، من غير فهم معناه ، وتدبر ما فيه من الحكم والمواعظ والعبر ؛ فاتقوا الله ، اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ومن الصادقين عسى الله تعالى أن يفتح عليكم باب فضله بفضله ومنه ، إنه تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

الآية السادسة والخمسون في سورة إبراهيم : (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ) .

قد أمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يبلغ لعباد الله المؤمنين أن يقوموا لله بطاعته وأداء حقه ، والإحسان إلى خلقه مما أعطاهم الله تعالى بأن يقيموا الصلوات الخمس مع المحافظة على أدائها في وقتها وحدودها وركوعها وسجودها وخشوعها ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وبأن ينفقوا مما رزقهم الله تعالى بأداء الزكاة ، والنفقة على القربات ، والإحسان إلى الأجانب في السر والعلانية ، وليبادروا إلى ذلك في حياتهم لخلاص أنفسهم من قبل أن يأتي يوم الجزاء ، وليعلم أنه لا يبيع في ذلك اليوم ولا خلال ، بل هناك العدل والقسط ، إن الله تعالى قد علم أن في الدنيا بيوعا وأموالا وخلالا يتخالون بها ؛ فلينظر الرجل من يخال ، وعلام يصاحب ؟ فإن كان لله فليداوم ، وإن كان لغير الله فسيقطع عنه ، فلا ينفع هناك أحدا ببيع ولا فدية ، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً لو وجدته ، ولا تنفعه صداقة أحد ، ولا شفاعة أحد ، إن لقي الله كافرا .

فيا أيها المؤمنون وحدوا ربكم واعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا ، ولا تفتروا بقرهات الدجالين ، ووسوس الشياطين ، وخرافات شيوخ الطرق ، وعلماء سوء ، بل اجتهدوا في فهم كلام ربكم الحكيم الرحيم ، وسنة نبيكم المبعوث رحمة للعالمين لتفوزوا .

الآية السابعة والخمسون في سورة الإسراء : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) .
يأمر الله تعالى عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة ، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ، نزع الشيطان بينهم ، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة ، فإنه عدو لآدم وذريته ، ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة ، فإن الشيطان ينزع في يده ، أي فر بما أصابه بها ؛ وقد روى أحمد في مسنده بسنده عن الحسن رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في أرفة

من الناس ، فسمعه يقول : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ، التَّقْوَى هَهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ، وَمَا تَوَادَّ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ فَمَرَّقَ بِيَدَيْهِمَا إِلَّا حَدَّثَ يُحَدِّثُهُ أَحَدُهُمَا ، وَأَحَدُهُ شَرٌّ ، وَالْمُحَدَّثُ شَرٌّ ، وَالْمُحَدِّثُ شَرٌّ » .

وكان الكفار يؤذون المسلمين فأمرهم الله تعالى أن يقولوا : التي هي أحسن ولو للكافرين ، ولا يكافئوهم بسفهم ؛ ولهذا قد قال صلى الله عليه وسلم : « قُلِ الْخَيْرَ وَإِلَّا فَاسْكُتْ » و« مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ » . وقال الله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وقال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) وَيَخْشَى . وقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفِضُوا مِنْ حَوْلِكَ) ؛ فالإسلام كله حسن ، ولكن الأسف أن أكثر المسلمين مبتلون باستعمال الأقوال الشنيعة والألفاظ القبيحة ، لجهلهم بمعاني كلام ربهم ، وآداب رسولهم ، وأخلاق نبيهم ، بل جهلهم بالحقوق الإنسانية المميزة عن الأفعال الحيوانية والدرجات البهيمية ، فساعت تربيتهم ، وفسدت أخلاقهم كما لا يخفى .

الآية الثامنة والخمسون في سورة الحج : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ، وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا يَمُوتُ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ، وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين أمراً بإيهم بثمانية أشياء : الأول الركوع والثاني السجود ، والثالث العبادة ، والرابع فعل الخير ، والخامس الجهاد في سبيل الله حق جهاده ، والسادس إقامة الصلاة ، والسابع إيتاء الزكاة ، والثامن الاعتصام

بِاللَّهِ وَبِكِتَابِهِ ؛ فَالْوَاجِبُ الْمُحْتَمُّ عَلَى الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَقُومَ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ حَقَّ الْقِيَامِ ،
وَيُؤَدِّيَهَا لِلَّهِ تَعَالَى مَرَاعِيًا شَرِئًا طَهْرًا وَأَرْكَانِيًا وَأَدَابِيًا فِي أَوْقَاتِهَا .

فَالرُّكُوعُ عِبَادَةٌ فَلَا يَرُكِعُ إِلَّا لِلَّهِ ؛ فَمَنْ رُكِعَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ ، وَأَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ
اللَّهِ غَيْرَهُ ، كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الصِّينِ الْجَوْسُ عِنْدَ مَلَاقَةِ مَلُوكِهِمْ وَأَمْرَائِهِمْ وَكِبْرَائِهِمْ
وَأَغْنِيائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ يَنْحَنُّونَ لَهُمْ انْحِنَاءً فَاحِشًا ، وَكَذَا مَسَلُّو تِلْكَ الْبِلَادِ
يَنْحَنُّونَ وَيَرُكِعُونَ لِأَكْبَرِهِمْ ، وَيَسْمُونَ مِنْ لَا يَنْحَنِي وَلَا يَرُكِعُ ، بَلْ يَسَلِّمُ سَلَامَ السَّنَةِ
مُتَكَبِّرًا لَا يَعْرِفُ الْأَدَبَ ؛ وَكَذَا السُّجُودُ عِبَادَةٌ فَلَا يَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ ، فَمَنْ سَجَدَ
لِغَيْرِ اللَّهِ مِنْ مَلَكٍ أَوْ مَلِكٍ أَوْ قَبْرٍ أَوْ وَثْنٍ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ بِاللَّهِ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ ، كَمَا
يَفْعَلُهُ غَلَاةُ الْبُهْرَةِ لِسَيِّدِهِمْ ، وَجَهْلَةُ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَالْجَابَانَ لِلْمُلُوكِ ، وَجَهْلَةُ الْمَسَامِينِ
لِقُبُورِ أَوْلِيَائِهِمْ وَمَشَائِخِهِمْ ؛ وَالْعِبَادَةُ بِأَنْوَاعِهَا حَقُّ اللَّهِ وَحْدَهُ مِنْ دَعَاءٍ وَنَذْرٍ وَاسْتِغَاثَةٍ
وغيرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ ، فَمَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ ، كَالَّذِينَ يَدْعُونَ
عِبَدَ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي وَيَسْتَعِيثُونَ بِهِ مِثْلًا ؛ وَفَعَلَ الْخَيْرَ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَالْخَيْرَ كُلَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ
تَعَالَى بِفَعْلِهِ ، بِصَرِيحِ آيَاتِهِ أَوْ بِسُنَّةِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَنْ فَعَلَ خَيْرًا
لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ رَأَى وَأَشْرَكَ ، وَكَذَا الْجِهَادُ فِي اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ جِهَادِهِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ
وَاللِّسَانِ ، لِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اجْتَبَى الْمَسَامِينَ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ النَّاسِ ،
وَشَرَّفَهُمْ بِدِينِهِ الْإِسْلَامِ وَمَلَأَهُمْ خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى نَبِينَا وَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَجَعَلَ
هَذَا الدِّينَ سَهْلًا سَمِيحًا لَأُخْرِجَ فِيهِ أَصْلًا ، فَشَكَرًا لِلَّهِ تَعَالَى أَقِيمُوا الصَّلَاةَ لِلَّهِ ، وَآتُوا
الزَّكَاةَ لِلَّهِ إِلَى فُقَرَاءِ الْمَسَامِينِ مِنْ غَيْرِ حِيلَةٍ ، وَاعْتَصِمُوا أَيُّهَا الْمَسَامُونَ كُلُّكُمْ بِاللَّهِ ،
وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ ، وَاعْمَلُوا بِمَا أَمَرَ فِي كِتَابِهِ ، وَبِوَيْدَنَةِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ تَعَالَى مَوْلَاكُمْ ، وَحَافِظُكُمْ وَنَاصِرُكُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، فَنَعْمَ الْمَوْلَى
وَنَعْمَ النَّصِيرُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِفَعْلِهِ فَهُوَ الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ ، فَفِيهِ الثَّوَابُ وَالْأَجْرُ
عِنْدَ اللَّهِ ، وَكُلُّ مَا نَهَى عَنْهُ فَهُوَ الْمَعْصِيَةُ ، فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَ ،

والإتهاء عما نهى ، فإذا فعلت هكذا فأنت العبد المؤمن حقا ، جعلني الله تعالى وإياك من عباده المؤمنين الصادقين .

الآية التاسعة والخمسون في سورة النور : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْبَلُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين ناهياً إياهم عن اتباع خطوات الشيطان : أى مازيته الشيطان ، من طرق الكفر والشرك والمعاصي ، لأن من يتبع طرق الشيطان ويذهب مذاهبها فإنه يأمر البتة بالفحشاء والمنكر ، ومنه القول على الله بغير علم ، ومن الوسائل الشركية ، والاعتقادات الوثنية ، فكل معصية من خطوات الشيطان ، والنذر للمخلوق من خطوات الشيطان ، ونذر المعصية من خطوات الشيطان ، وتحريم الحلال من خطوات الشيطان ، واليمين الفاجر الغموس من خطوات الشيطان ودعاء غير الله من الأموات ، والأرواح من خطوات الشيطان ، والاستعانة من الملائكة والأرواح والأموات من خطوات الشيطان .

فيأيتها المسلمون لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم ، ولا اهتدى إلى الإيمان والحق من أحد أبدا ، بل لكان ابتلى وتلوّث بدنس الشرك والمعاصي كبيرها وصغيرها ، كما ابتلى بها كثير ممن يدعى الإسلام ، بل لم يتصف بالزهد والتصوف والتقوى أحد من المسلمين الجغرافيين من أهل الهند والترك والتركستان والصين ، ولكن الله يزكى من يشاء من خلقه ، فيزكى نفوسهم ويطهرها ، فيحفظها من شركها وفجورها ودينسها وما فيها من عقائد زائفة ، وأخلاق رديئة ، (والله سميع) لأقوال عباده ، و(عليم) بمن يستحق منهم الهداية والتوفيق والضلال والردى ، فيعطى كلا استحقاقه .
فيأيتها المسلمون لاحظوا هذه الآيات وتفكروا في معانيها ، وتدبروا في أسرارها ، فإنكم أنتم المخاطبون المكلفون بهذه الأوامر ، فإذا تساهلتم وتجاهلتم كما أنتم عليه

اكتفاء بأقوال الناس وترهاتهم ، فالخسار والبوار نازل بكم لا محالة .
 الآية الستون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ
 حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَإِنْ
 لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ ، وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا
 فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين ، ناهياً إياهم عن دخول بيت الغير بلا إذن
 وبلا سلام ، ومنع من الدخول بلا إذن ، فانظر بإيها المسلم إلى هذه الآداب الشرعية
 الإلهية ، التي أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين ، أمرهم الله تعالى أن لا يدخلوا بيوتاً
 غير بيوتهم حتى يستأنسوا : أى يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده ؛ وينبغي أن
 يستأذن ثلاث مرات ، فإن أذن له دخل وإلا انصرف ، كما ورد بهذا المعنى أحاديث
 كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم .

وروى أبو داود في سننه بسنده عن عبد الله بن بشر رضى الله عنه قال : « كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ،
 ولكن من رُكنه الأيمن أو الأيسر ، ويقول : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ »
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا جُعِلَ الْأَسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ النَّظَرِ »
 وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ أَنَّ أُمَّراً أَطَّلَعَ عَلَيْكَ
 مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ مِنْكَ فَحَدَفْتَهُ بِحَصَاةٍ فَفَقَّأَتْ عَيْنَهُ مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ جُنَاحٍ » .

وعن جابر رضى الله عنه قال : « أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في دين كان
 على أبي ، فدققتُ الباب ، فقال مَنْ ذَا ؟ فقلت أنا ، قال : أأنا أنا ؛ كأنه كرهه » ،
 وإنما كره ذلك ، لأن هذه اللفظة لا يُعرف صاحبها حتى يفصح باسمه أو كنيته التي
 هو مشهور بها ، وإلا لا يحصل المقصود من الاستئذان الذى هو الاستئناس المأمور به
 وروى أبو داود عن صفوان بن أمية رضى الله عنه قال . « دخلتُ على النبيِّ صلى الله

عليه وسلم ولم أسلم ولم أستاذين ، فقال صلى الله عليه وسلم : ارْجِعْ فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخَلُ ؟ »

فيأيها المؤمن تأدب بالأدب اللذي أدبك الله به تكن إنساناً كاملاً ، لأن ربك رءوف رحيم جل جلاله .

الآية الحادية والستون في هذه السورة أيضاً : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) .

وهذا خطاب وأمر المؤمنين بواسطة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أن يغضوا من أبصارهم عما حرّم عليهم ، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه ، وأن يغضوا أنظارهم وأبصارهم عن الحرمات والأجنبيات ، فإن انفق أن وقع النظر على محرّم من غير قصد ، فليصرف بصره عنه سريعاً ، كما رواه مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : « سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة ؟ فأمرني أن أصرف بصرى » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : « يَا عَلِيُّ لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَ لَكَ الْآخِرَةُ » رواه الترمذى .

ولاشك أن النظرة وخصوصاً إلى المرأة الحسنة ، والأمرد الجميل الوجه ، داعية إلى فساد القلب ، ومحرّكة للشهوة ، ولذلك أمر الله تعالى عباده المؤمنين بحفظ الأبصار ، كما أمرهم بحفظ الفروج ، لأن النظر باعث إلى ذلك (ذلك أزكى لهم) أى غض البصر وحفظ الفرج أزكى وأطهر لقلوبهم ، وأبقى لدينهم ؛ ولهذا كان السلف الصالحون يهونون أن يحدّ الرجل نظره إلى الأمرد الصبيح الوجه ، وهذا هو سر احتجاب النساء عن الأجانب ، ولكن الأسف أن كثيراً ممن فى قلوبهم مرض أباحوا النظر إلى الأجنبيات والمردان الحسان الوجوه ، وأباحوا لمن كشف وجوههن وإظهارهن زينتهن للأجانب وعندهم ، فلهذا قد كثر الزنا واللواط فيما بين الناس ، وخصوصاً فيما وراء النهر ، فإنهم صاروا يفتخرون بهذا الفعل القبيح ، وحتى بعض

العلماء والمدرسين يخصصون لأنفسهم أماردة حسان الوجوه ويسمونهم باسم «مَحْرَم»
فإننا لله وإنا إليه راجعون .

الآية الثانية والستون فيها أيضاً : (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ
عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) إلى أن قال : (وَلَا يَضْرِبْنَ
بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ، وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

هذا أمر من الله تعالى بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم للنساء المؤمنات
وغيره منه تعالى على أزواج عباده المؤمنين ، وتمييزهن عن صفة نساء الجاهلية ،
وفعال المشركات والفاسقات العاهرات ، عديمت الدين والحياء ، أن يغمضن أبصارهن
عن الرجال الأجانب ، ولا ينظرن إليهم بشهوة ، يعنى كما أنه حرم نظر الرجل إلى
المرأة الأجنبية ، حرم أيضاً نظرهن إلى الرجال الأجانب ، لأن الفساد ينشأ من كل
واحد من النظيرين .

ويوضح هذا مارواه أبو داود والترمذى عن أم سلمة رضى الله عنها «أنها كانت
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة ، إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه ،
وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احْتَجَبَا مِنْهُ ،
فقلت يا رسول الله : أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : أْفَعَمَيْتُمَا أَتَمَّا أَسْتَمَّا تُبْصِرَانِهِ » حديث حسن صحيح .

(ولا يبدين زينتتهن إلا ما ظهر منها) أى لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب
إلا ما لا يمكن إخفاؤه . قال ابن مسعود رضى الله عنه كالرداء والثياب لأن هذا
لا يمكنها إخفاؤه ، ولا يشك ذو عقل ودين أن أرغب زينة النساء وجهها الجميل ،
وطرفها الكحيل ، فبدنها السمين (وايضرين بخمرهن على جيوبهن) أى تستتر

بجمرها صدرها لتواري ما تحتها من صدرها وترائبها ، ليخالقن بذلك شعار نساء أهل الجاهلية ، لأنهن كنّ يمشين بين الرجال بصدورهن المكشوفات لا يواريهن شيء ، وربما أظهرت عنقها ، وذوائب شعرها ، وأقرطة آذانها ، فأمر الله تعالى المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن ، كما قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ) والحمار ما يغطي به الرأس ، وقد أمر الله تعالى بأن يضربن ويستترن بجمرهن على النحر والصدر فلا يرى منهما شيء .

والحاصل أن المرأة لا تظهر عند الرجال الأجانب من زينتها التي تحرك الشهوة ، سواء بضرب الرجل وإظهار الوجه والخلخال ، أو التعطر عند خروجها من بيتها ، ولا يتبرجن تبرج الجاهلية ، كما هو الشائع الذائع في نساء أوروبا ومصر وغيرها ، فأنهن فاسقات عاهرات ، فاجرات عاصيات ، قد فسدن وأفسدن ، وألقين جلابيب الحياء بل الإيمان ، تقليداً للأورو بيات والدهريات .

فأنتم أيها المؤمنون توبوا إلى الله جميعاً ، وافعلوا ما أمركم الله به من هذه الصفات الجميلة ، والأخلاق الجليلة ، واركبوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق الرذيلة والصفات الخبيثة ، فإن الفلاح كل الفلاح ، والسعادة كل السعادة في فعل ما أمر الله تعالى الحكيم به ، وأرشد إليه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وترك ما نهى الله ورسوله عنه ، والله تعالى هو المستعان .

الآية الثالثة والسبعون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعَاذِنَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين آسراً إياهم أن يأمرُوا خُدَمَهُمْ أن لا يدخلوا عليهم إلا بعد الاستئذان ، وكذا الأطفال الصغار الذين لم يبلغوا الحلم كل يوم ثلاث مرات في ثلاثة أوقات :

الأول : قبل صلاة الفجر ، لأن الناس إذ ذاك يكونون نياماً في فرشهم .

والثاني : حين يضمنون ثيابهم من الظهيرة ، أى وقت القيلولة ، لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله .

والثالث : من بعد صلاة العشاء ، لأنه وقت النوم ، فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال ، لما يخشى أن يكون على أهله ، أو نحو ذلك من الأعمال ، ولهذا قال : ثلاث عورات لكم ؛ وأما في غير هذه الأحوال فلا بأس في دخولهم عليكم ، لأنهم طوافون عليكم في الخدمة وغير ذلك ، ويُغتفر في الطوافين ما لا يُغتفر في غيرهم .

فيا أيها المسلمون حافظوا على هذه الآداب الربانية ، والأخلاق الإنسانية الكاملة المتممة للإيمان والحياء والإحسان ؛ ولا شك أن شرع الإسلام شرع الكمال والجمال ، وفقنا الله تعالى للتأديب بآدابه والتخلق بأخلاقه .

الآية الرابعة والستون في سورة العنكبوت : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين آسراً إياهم بالهجرة من البلد الذي لا يقدرُونَ فيه على إقامة الدين ، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الله الواسعة ، حيث يمكن إقامة الدين ، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم ؛ وحيث إن كثيراً من الناس يتركون الهجرة إلى ديار الإسلام خوفاً من الموت ، أو خوفاً من ضيق الرزق والمعيشة ، فقد أزال الله تعالى هذا الخوف بقوله : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) فكل إنسان لا بد يموت عند انقضاء أجله .

المقدر ، سواء في الحضر أو السفر ، وإنما يكون تارك الهجرة ، محروماً من الرحمة والدرجات في الجنة .

والمهاجر لحفظ دينه ينال كل فضل ورحمة ، ويرزقه الله تعالى رزقا كثيرا وسعة مراغماً أعداءه ، وهذا لا شك فيه ولا ريب ، وقد أخبر الله الكريم عز وجل بقوله : (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغَمَاً كَثِيرًا وَسَعَةً ، وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) وقال تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

فياعباد الله المؤمنين إنما خلقكم الله تعالى لأجل عبادته وحده لا شريك له ، فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ، ولا تختاروا الإقامة في دار الشرك والكفر والبدعة لأجل مال الدنيا الفانية الدنيئة .

وأنا هذا العبد الضعيف جامع هذه الوريقات أحمد الله حمدا كثيرا أنه عز وجل قد يسر لي الهجرة ، فهاجرت عن ديار الشرك والكفر والإلحاد ، والفسق والظلم والعدا ديار ماوراء النهر والتركستان ، ديار عبادة القبور والأرواح ، وديار العقائد الفاسدة ، وديار الشيعوية والدهرية واللا دينية ، واخترت الإقامة بتوفيق الله تعالى في بلد الله الأمين ، وقبلة المسلمين ؛ وقد وفقني الله تعالى للاشتغال بعلم الكتاب والسنة ، وتدريسه وتعليمه لعامة المسلمين في المسجد الحرام ، وساعدني ملك المسلمين عبد العزيز بن عبد الرحمن ، فجزاه الله تعالى خيراً ، وأيده بنصره ، ووفقه لمرضاته ، وقد رزقني الله تعالى أهلاً وأولاداً وداراً ودولة وعزة وخيراً كثيراً ، أحسن مما كان وفات بمرات ؛ فالحمد لله حمداً كثيراً ، سائلاً منه تعالى أن يديم لي التوفيق ، ويثبتني على القول الثابت ، والتوحيد الخالص ، « لا إله إلا الله » ، ويرزقني حسن الختام آمين .

الآية الخامسة والستون في سورة الأحزاب : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ،
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين آمراً بإيهم بأن يذكروا نعمة الله التي
أنعمها عليهم ، وهي كثيرة لاتعد ولا تحصى ، ومن جملتها صرفه تعالى ودفعه الأعداء
الكفار ، وخصوصاً حين تألبوا عليهم وتحزّبوا عام الخندق سنة خمس من الهجرة ،
إذ جاءوا في حوالى المدينة ليهاجموا على المسلمين (إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ
الظُّنُونًا) فحاصروا المدينة وفيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريباً من شهر ، ثم
وقع القتال ، فأرسل الله تعالى على الأحزاب ريحاً شديدة الهبوب قوية ، حتى لم تبقى
لهم خيمة ولا شيئاً ، ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين ، فأنزل الله تعالى
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) وهي الصّبا ، وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادُ بِالذَّبُورِ » ، وقد أرسل الله تعالى ملائكة
زلزلتهم ، وألقت في قلوبهم الرعب والخوف ، وهكذا يفعل الله تعالى لعباده المؤمنين
الصادقين ينصرهم وإن قلوبوا على الأعداء وإن كثروا ، لأن الله تعالى جنوداً من
الريح ، وجنوداً من النار ، وجنوداً من الصاعقة ، وجنوداً من الطوفان ، وجنوداً
من الزلزال ، وجنوداً من الوباء وغيرها ؛ كما أن له تعالى جنوداً من الملائكة وعباده
الصالحين ، وحتى إن له جنوداً من الطيور ، وجنوداً من العسل ، وجنوداً من الذباب
والبعوض وغيرها (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) .

فأنتم أيها المؤمنون كونوا مؤمنين صادقين عاملين بما أمر ، ومنتهين عما نهى عنه ،
فالله ينصركم على الأعداء ؛ وأما إذا كنتم في إيمانكم كاذبين ، وفي دعائكم وعبادتكم
مشركين ، ولأوامره تاركين ، ولنواهييه مرتكبين ، لاتشبهون بالأسباب ، ولاتنتفعون

في الحركات والذهاب والإياب ، بل تعتمدون على الأرواح وعلى الروحانيات ، وتدعون من هو مثلكم من المخلوقات وأرواح الأموات ، فأنتم الخاسرون المحرومون ، والأذلاء المخذولون ؛ فأنتموها من غفلانكم ، واحترزوا من الخرافات والترهات ، ودجل الدجالين ، وخيانة الضالين المضلين ، فيأيها الذين آمنوا آمنوا ، ولا تكونوا ممن قال الله في حقهم (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) .

الآية السادسة والستون فيها أيضا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين أمرا إياهم بأن يذكروا الله ذكرا كثيرا ، لأنه المنعم عليهم بأواع النعم الظاهرة والباطنة وصنوف المنن ، ووعد الله لهم في ذلك جزيل الثواب ، وجميل المآب . وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (اذكروا الله ذكرا كثيرا) إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا ، وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر ، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ، ولم يعذر أحدا في تركه فقال : (اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) ، بالليل والنهار ، في البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال (وسبحوه بكرة وأصيلا) فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) هذا تهيبج إلى الذكر ، (فَأَذْكَرُونِي أَدْكَرَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) فالله تعالى برحمته وفضله لكم يخرجكم من ظلمات الجهل والكفر والضلال ، إلى نور الهدى واليقين (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) أي في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم ، وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم ، من الدعاة إلى الكفر أو البدعة ، وأتباعهم من الطغام والدجالين المفسدين ، والمنافقين الكذابين ؛ وأما رحمته بهم في الآخرة ، فآمنهم من الفرع الأكبر ، وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار ، وما ذاك إلا لحيبته لهم ورأفته بهم .

واعلم أن الذكر ذكران : ذكر بالقلب والجنان ، و ذكر باللسان . فذكر اللسان هو التسميح والتحميد والتهليل والتكبير ونحوها ؛ وأما ذكر القلب فإن تذكر الله تعالى دائماً بقلبك أنه القادر العليم الخبير بكل شئونك ، فاللازم أن لاتنساه في جميع حالاتك من حركاتك وسكناتك وظاهرك وباطنك وسرك وجهرك ، ولا تغفل عنه لحظة ، وهذا الذكر هو الذي يحجزك عن معاصيه ومخالفة أمره ، فتنبه أيها العبد المؤمن لهذه الأوامر الربانية ، فكن له تعالى ذا كراً بلسانك وقلبك . وأما ذكر اللسان مع غفلة القلب ، فلن يحجز هذا الذكر صاحبه عن المعاصي ، لأنه صورة بلا روح ؛ والذكر الحقيقي النافع إنما هو ذكر القلب وهو الذي يسميه الصوفية العارفون بالمراقبة ، يعنى يراقبون الله تعالى في كل حالاتهم في خلواتهم وجلواتهم ، فلا يغفلون عنه لحظة (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ) .

ولكن لما غلب الجهل على كثير ممن يدعى الإسلام والتصوف حرّفوا هذه المراقبة وبدّلوها بمراقبة صورة الشيخ وسموها رابطة ، فصاروا يراقبون صور شيوخهم وهؤلاء الشيوخ يأمرونهم بذلك ، فوضعوا شيوخهم فوق موضع رب العالمين ، فصاروا بذلك مشركين بالشرك الأكبر وهم لا يشعرون . وقد دخلوا في دين الوثنية بأسم التصوف وهم لا يعلمون ، ولهذا صاروا يتوجهون إلى القبور وإلى أصحاب القبور ويستمدون منهم ويستغيثون بهم ، ويبنون على قبور من يزعمونه صالحا قبة وعمارة عالية ويؤخرفونها ، ويتوجهون إليها وينذرون لها ، كما هو حالهم المشاهد في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وقد صاروا عبّاد الأصنام والأوثان وهم لا يفهمون ؛ ولهذا أذلم الله تعالى في هذه الحياة الدنيا تحت أرجل الكفرة من الإنكاز والظلم والفرنسيين والروس والبلاشفة والأمريكان (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) .

قيأيتها المسلمون توبوا إلى الله ، وارجعوا إلى دراسة كتاب الله وأحاديث رسول الله ، واجتهدوا في فهم أوامر الله وخطاباته لكم ، كي يعفو الله عنكم ويغفر ذنوبكم فيدفع عنكم البلاء .

الآية السابعة والستون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَكَفَّمُ
الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ
تَعْتَدُونَهَا ، فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرََّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) .

قد نادى الله تعالى وخطب عباده المؤمنين فيما يختص بهم من المعاملة بزوجاتهم
من النكاح والطلاق ؛ فأعلم الله تعالى بأنه إذا تزوج الإنسان امرأة وطلقها قبل الدخول بها
فليس عليها عدة ، لأن زوجها لم يشتغل بمائه فلا يحتاج إلى الاستبراء ، وإنما على
الأزواج أن يعطوهن ما يتمعن به من المتعة ، أو نصف الصداق المسمى على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين ؛ فالرب الرحيم جل جلاله
بين لعباده المؤمنين كل ما يحتاجون إليه من مصالحهم وحاجاتهم الدنيوية والدينية
والآخروية ، فسبحان الرب الرؤوف الرحيم .

الآية الثامنة والستون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ
إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا ،
وَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ، إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ
فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ، وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ
مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ، وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا
رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا أَنْ تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ، إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ
اللَّهِ عَظِيمًا ، إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) .

قد نادى الله تعالى وخطب عباده المؤمنين ناهياً إياهم عن أن يدخلوا بيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا استئذان ولا إذن منه ، وخصوصاً في وقت أكل
الطعام ، فلا تدخلوا إلا بعد الإذن ، ولا تنظروا ولا تراقبوا وقت طبخ الطعام
وحضوره ، ولكن إذا دُعِيتُمْ فادخلوا ، فإذا طعمتم وأكلتم فانتشروا ولا تطيلوا
الجلوس بعده لأن طول الجلوس يصير سبباً لللال فيتأذى صاحبُ المنزل ، وإن كان

سبب النزول خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكن الحكم عام ، فلا يجوز دخول الغير بلا إذنه ، ولا يجوز الدخول على طامام الغير بلا إذنه فيحرم على الطفيل التطفل .

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُجِبْ عُرْسًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم « لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ لَأَجَبْتُ ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِمْتُ » فإذا فرغتم من الذي دُعِيتُم إليه خففوا عن أهل المنزل وانتشروا في الأرض ؛ وأصل هذا الحديث في الصحيحين .
فيأتيها العبد المؤمن تعلم كلام ربك وتفهم أوامره ، فإنه تعالى قد خاطبك وأمرك ونهاك ، فإن لم تعلم ولم تفهم فأنت لست بمؤمن ، بل قد ضيعت أهليتك فصرت كالأنعام بل أضل ، فاستحى أيها المسلم ولا ترض بالجهل فإنه يريدك إلى مهاوى الجحيم كما لا يخفى على العاقل البصير .

الآية التاسعة والستون فيها أيضاً : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) .

قد أخبر الله تعالى أنه عز وجل يصلى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذا ملائكته الكرام يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتم بأيها المؤمنون بالله ورسوله صلوا على هذا الرسول وساموا عليه تسليما ، صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند ملائكته ، وصلاة الملائكة الدعاء . وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى :
صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار .

والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده المؤمنين بمنزلة عبده ونبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم عنده في الملأ الأعلى بأنه تعالى يُثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلى عليه ؛ ثم أمر الله تعالى العالم السفلي المؤمنين منهم بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا .

وقد أخبر الله تعالى بأنه عز وجل يُصلى على عباده المؤمنين فقال (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) وفي الحديث « إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَّامِنِ الصُّفُوفِ » . وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصلاة عليه وكيفية الصلاة عليه . وقد روى البخاري في صحيحه عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ فَكَيْفَ الصَّلَاةُ ؟ قَالَ : قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » . وهذا الحديث مخرَّج في جميع الكتب الستة والمسانيد المشهورة ، والسلام الذي كانوا يعرفونه مافى التشهد « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » وزادوا في بعض الروايات في السنن « اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » . وفي رواية « وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد » .

وروى أحمد وابن ماجه عن عامر بن ربيعة رضى الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَلَى صَلَاةٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ فَلْيَقِلَّ مِنْ ذَلِكَ عَبْدٌ أَوْ لِيَكْتُرْ » . وفي جامع الترمذي عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَى صَلَاةٍ » . وعن ابن مسرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ بِهَا عَشْرًا » . وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَىٰ أَخْطَأَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ » وقد روى مسلم والأربعة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِإِسْبَدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ » . وروى الترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «الدُّعَاءُ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ تَصَلِّيَ عَلَيَّ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» فبأيها المؤمنون صلوا وسلموا على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل حالاتكم أينما كنتم ، ولا تسيثوا الأدب برفع أصواتكم فوق الحاجة ، كما تفعله الجهلة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنهم يصيحون صياحاً ، ويرفعون أصواتهم رفعاً منكرًا فاحشاً ، فبأيها المسلمون عليكم بالأدب .

وقد روى أبو داود عن علي بن الحسين بن علي رضى الله عنهم : أنه بلغه أن رجلاً يأتى كل غداة إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويصلى عليه رافعاً صوته ، فقال له علي بن الحسين رضى الله عنهما : ما يملكك على هذا ؟ قال أحب السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال علي بن الحسين رضى الله عنهما : أخبرنى أبى عن جدى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَجْعَلُوا قَبْرِى عَيْدًا ؛ وَلَا تَجْمَلُوا بِيُوتِكُمْ قُبُورًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَتَبْلَغْنِي صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُمْ » .

قال العماد بن كثير : لعله رآهم يسيثون الأدب برفع أصواتهم فوق الحاجة فنهام . وأنه رضى الله عنه رأى رجلاً ينتاب القبر ، فقال ياهذا ما أنت ومن بالأندلس إلا سواء منه : أى الجميع يبلغه صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ؛ فبأيها المؤمنون صلوا وسلموا على محمد رسول الله المبعوث رحمة للعالمين عليه الصلاة والسلام

وكرر الصلاة والسلام عليه دائماً ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً . وأفضل صيغها ما ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بينها ، وهي الصلاة التي يصليون بها في تشهدات صلواتهم فرضها ونقلها ؛ واحترز أيها المؤمن عن الصيغ الحديثة المبتدعة ، والأحزاب المؤقتة التي فيها المنكرات بل الأكاذيب والكفرات كدلائل الخيرات للجزولي ، وصلوات الثناء للنبهاني ، فإنها من البدع المنكرة لا يحل لمن يؤمن بالله وبكتابه ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وسنته أن يفعل ذلك ، أو يعتقد جوازه فإنه مما لم يأذن به الله ولا رسوله ولا أحد من أمة المسلمين فالحذر الحذر .

الآية السبعون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ قَبْرَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين ناهياً إياهم أن لا يكونوا كالذين آذوا أنبياء الله ، ومنهم موسى عليه السلام ، فإنه كان رجلاً حميماً سثيراً لا يرى من جلده وبدنه شيء استحياء منه فأذاه من آذاه من بني إسرائيل ، فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب في جلده ، إما برص وإما أدرة وإما آفة ؛ فأراد الله تعالى أن يبرئه مما قالوا من الافتراء ، فخلّى موسى يوماً وحده نخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها ويلبسها ، ولكن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ، ثوبي حجر ، حتى انتهى الحجر إلى ملاء من بني إسرائيل فرأوه عريان أحسن ما خلق الله عز وجل وبرأه مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ موسى ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بمصاه ، هذا حديث صحيح في الصحيحين .

والمقصود أن الله تعالى نهى المؤمنين أن يؤذوا أنبياء الله وأولياء الله وعباده الصالحين المؤمنين بأيّ طريق كان ، كما هو شأن الكفار والمنافقين يؤذون أنبياء الله وعباده المؤمنين ، وخصوصاً ورثة الأنبياء الداعين إلى التوحيد وإلى الصراط المستقيم . وقد ثبت في الحديث القدسي أن الله تعالى قال : « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي »

بِالْحَرْبِ ، وَمَنْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ أَدْخَلْتُهُ نَارِي » ونحن قد نشاهد الآن أن أهل البدعة يؤذون أهل السنة ، وأهل الشرك يؤذون أهل التوحيد ، وأهل الباطل يؤذون أهل الحق ، فأيها المؤمنون لا تكونوا أنتم كهؤلاء السفهاء ، بل افهموا كلام ربكم ، ونصائح نبيكم ، فعضوا عليهما بالنواجذ وبالله التوفيق .

الآية الحادية والسبعون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) .

قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين أسراً بإهم بتقواه ، وأن يعبدوه عبادة من يراه ، وأن يقولوا قولاً سديداً، أى مستقيماً لا عوجاج فيه ولا انحراف ، ولا كذب فيه ولا اعتساف ، وورعهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم ويوفقهم للأعمال الصالحة، ويغفر لهم الذنوب الماضية ويلهمهم التوبة في المستقبل (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) وذلك بأن يجار من نار الجحيم ، ويصير إلى النعيم المقيم . فنسألك اللهم أن تجعلنا من المتقين ، ونسألك اللهم أن تجعلنا من المطيعين الصادقين ، ونسألك اللهم أن تجعلنا من الصالحين المقبحين ، ونسألك اللهم أن تجعلنا من المغفور لهم المرحومين ، ونسألك اللهم أن تجعلنا من الفائزين في الدارين برضائك والجنة آمين .

الآية الثانية والسبعون في سورة الزمر: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : يا عباد الله الذين اتصفتُم بصفة الإيمان اتقوا ربكم ، واثبتوا على تقوى ربكم ، واتقوا الشرك والكفر ، واتقوا عذابه وغضبه ، واتقوا كل ما يردكم إلى نار جهنم فأيها المؤمنون استمروا على طاعة ربكم واتقوه دائماً ، لأن (للذين أحسنوا في هذه

الدنيا) أى عملوا الأعمال الحسنة بالإخلاص لله تعالى (حسنة) أى فى الدنيا عاجلا وفى دار الآخرة الباقية آجلا سرمداً الجنة والرضى والرضوان ؛ فالدنيا مزرعة الآخرة وإنما جزاء الإحسان الإحسان ، وحدث الإحسان أن تعبد الله تعالى كأنك تراه عياناً ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وهذا هو حقيقة الإخلاص ، وهذا فيه كمال الخشوع والخضوع والتذلل والانكسار ، فبأيها العبد المؤمن دُم واصبر على الإيمان وطاعة الله .

وإن منعك مانع وهم عليك الأعداء من المشركين وعمّاد الأوثان والقبور وأهل البدعة فهاجر من هذا البلد الظالم أهلها لأن أرض الله واسعة ، فمن تعسر عليه التتموى والإحسان فى بلده فليهاجر إلى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الأنبياء والصالحين ، فإنه لا عذر لأحد فى الإقامة فى دار الشرك والبدعة ، لأن أرض الله واسعة ، والله هو الذى يرزق عباده ، ويُيسّر لهم أسباب الرزق ، وهو الرزاق ذو القوة المتين .

ففيه الحث على الهجرة من البلد الذى يظهر فيه الشرك والمعاصى والكفر والضلال كالتركستان وماوراء النهر والصين والهند والترك وما شابهها ، وقد ورد فى الحديث الصحيح « مَنْ فرَّ بِدِينِهِ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » وإنما قال بدینه احترازاً عن الفرار بسبب الدنيا ولأجلها ، كأكثر البخاريين الذين هاجروا من بلادهم فراراً من البلاشة لأجل الدنيا لأجل الدين ، والدليل على هذا أنهم وإن جاءوا إلى الحرمين وأقاموا فيهما فهم لا يسألون عن معنى كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن الحق والحقيقة ، بل يعادون أهل الحق وينفرون عن استماع تفسير القرآن والحديث وينفرون غيرهم أيضاً ، وهم أعداء السلف والسلفيين ، وفى العقيدة جهميون ومُعْظَمُونَ ، ويعبدون مع الله الأولياء وأرواحهم فيدعونهم وينذرون لهم ويستغيثون بهم ويستمدون منهم ، فهم ليسوا من المهاجرين لله والرسول ، بل من المهاجرين لدنيا يُصِيبُونَهَا أو امرأة ينكحونها ،

كما لا يخفى ، إلا من هداهم الله تعالى ، ووقفهم منهم ، وهم قليلون .
فيأيها المسلمون آمنوا بالله وبكتابه وبرسوله وسنته ، واعملوا بهما واتركوا
ماخالفهما واحذروا عذاب الله وغضبه ، ولا تغتروا بالمازب والمشايع الغير المعصومين .
فإنه لا ينفعكم في الدين ، ولا تنفعكم سكنى مكة وجوار الكعبة والمدينة الطيبة .
إذا لم تكونوا من المؤمنين الصادقين ، فإن أبا جهل وأباه وأمثالها كانوا من
أهل هذا البلد الأمين فلم تنفعهم مجاورتهم ، لأنه لا يقُدس الإنسان إلا إيمانه الصادق
وأعماله الصالحة .

الآية الثالثة والسبعون فيها أيضا : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .
أمر الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباد الله تعالى عموماً ،
والذين أسرفوا على أنفسهم بارتكاب الكفر والمعاصي أن يتوبوا إلى الله وينيبوا
إليه ولا يقنطوا من رحمة الله ومغفرته ، فإنه تعالى يغفر الذنوب جميعاً لأنه هو الغفور
الرحيم . فيأيها الناس أنيبوا إلى ربكم الذي خلقكم وأسماو له جل جلاله في هذه
الحياة الدنيا من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون .

فيأيها المسلمون توبوا إلى الله تعالى الرؤوف الغفار (إن الله تعالى يغفر الذنوب
جميعاً) لمن تاب منها ورجع عنها ، وإن كانت مهما كانت ، وإن كثرت وكانت مثل
زبد البحر ، ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه ؛
فتوبوا أيها المسلمون من كل ما نهى الله عنه من الشرك والكفر والنفاق والظلم
والبدعة والفسق والفجور ، فإذا تبتم تاب الله عليكم ، وغفر ماتقدم من ذنوبكم ورحمكم
بفضله ورحمته .

الآية الرابعة والسبعون فيها أيضا : (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا
وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ، فَبَشِّرْ عِبَادِ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ .
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ) .

هذه الآية أمر من الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يبشر عباد الله الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت : أى الأوثان والشيطان والقبور والأرواح ، بل أنابوا ورجعوا إلى عبادة الله الرحمن وحده لا شريك له ؛ فهؤلاء الموحدون هم الذين لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بالمغفرة والجنة ، (فبشر) يا محمد (عباد) أى المؤمنين (الذين يستمعون القول) القرآن (فيتبعون أحسنه) ، أى يفهمونه ويعملون بما فيه . وإذا استمعوا القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن ، (أولئك) هم الموحدون الذين يتبعون القرآن ، والمتصفون بهذه الصفة هم (الذين هداهم الله) فى الدنيا والآخرة ، (وأولئك هم أولوا الأبواب) أى ذوو العقول السليمة والفطر المستقيمة . فبأياها المؤمنون تفهموا كلام ربكم واستمعوه لأنه أحسن الكلم فاعملوا به تفوزوا بالروح والريحان والجنة والرضوان ؛ وأما إذا عرضتم عنه واشتغلتم بالفلسفة والسفسطة والأشعار والمعميات ، والأعزاز والأغلوطات ، وخرافات الصوفية كأهل بخارى والهند والعراق ، فستبتلون بغضب الله الواحد القهار ، فيسلط عليكم البلاشفة الأشرار فيذيقونكم سوء العذاب وبئس القرار .

لأن من سنة الله المطردة أنه يُسلط بعض الظالمين على بعض ، وإذا عصوا الله مع دعواتهم الإسلام سلط الله عليهم الدهريين كما ورد فى الحديث القدسى « إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي » .

الآية الخامسة والسبعون فى سورة الزخرف (يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ . ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) .

قد نادى الله تعالى عباده المؤمنين نداء كرامة وتشريف ، فقال (يا عباد) المؤمنين المتقين الذين آمنتم قلوبهم وبواطنهم ، وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم (لا خوف عليكم اليوم) أى يوم القيامة من لقاء المكاره (ولا أنتم تحزنون) من فوت المقاصد كما يخاف ويحزن غير المؤمنين المتقين ، وهؤلاء (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا

مسلمين) صادقين مخلصين ، قيامن هذه صفتهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرن) أى تنفسون وتسعدون وتسرون سروراً يظهر حماره : أى أثره على وجوهكم على أحسن الهيئة ؛ فأيها المؤمنون آمنوا بآيات الله كلها وأسلموا لكل أوامر الله بالصدق والإخلاص ، وذلك موقوف على فهمكم كلام ربكم وتدبر معانيه ؛ فتدبروا وتفكروا فى آيات الله وآلائه لأنكم أنتم المخاطبون بذلك وأنتم المكلفون بالعمل به .

الآية السادسة والسبعون فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين ، وأعلمهم شرطاً عليهم أن يؤمنوا بالله إيماناً صحيحاً ، ويعملوا بما أمر من إحضار العدة والأسلحة بما استطاعوا حسب زمانهم ومكانهم فاستعملوها متوكلين على الله تعالى بإخلاص النية لإعلاء كلمة الله تعالى ؛ فالله تعالى ينصرهم على أعدائهم ، ويجعلهم غالبين بإلقاء الرعب والخوف فى قلوب أعدائهم المشركين وأضدادهم الكافرين ، كما قال الله تعالى : (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) فإن الجزء من جنس العمل (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) : أى باستعمال أسلحة الحديد . (ويثبت أقدامكم) ويقوى قلوبكم ، وقد صدق الله العظيم . فإن المسلمين لما كانوا كاملي الإسلام كالخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين لهم بإحسان رضى الله عنهم نصرهم الله تعالى على الأعداء وفتح على أيديهم البلدان الكثيرة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، فجزاهم الله تعالى فى الدارين خير الجزاء .

وأما الخلف الذين خالفوا الله وخالفوا أمره ، وخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالفوا سنته ، وخالفوا السلف الصالحين ، وتركوا العمل بكتاب الله الهادى إلى سعادة الدارين وجهلوا معانيه ، واتخذوا دينهم هزواً ولعباً ، واعتمدوا على الخرافات ودجل الدجالين ، واعتقدوا أن أرواح الأولياء تعينهم وتمدهم ، وأن

الأقطاب والأوتاد تتصرف في العالم وتحفظه ، فبنوا الأربطة والحانقات واشتغلوا بالخراقات والخزعبلات ، بل الشركيات والبدعيات والضلالات وساعدهم السلاطين الجهلة والعلماء الدجاجلة ، فسلب الله تعالى عنهم الدولة ، وسلط عليهم الكفرة الخذلة .
(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

فيايها المسلمون أفيقوا من سكرتكم ، واستعملوا عقولكم ، وارجعوا إلى دينكم ، ألا وهو العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقاديا وعمليا وقوليا ، والاحتراز عن كل ماخالفهما من التقليد الجامد للآباء ، والاعتماد على أقوال غير المعصومين من المؤلفين عسى الله تعالى أن يعفو عنكم . اللهم إنا نسألك الهداية والتوفيق .
الآية السابعة والسبعون فيها أيضا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين أمراً إياهم بأن يطيعوا الله تعالى ويطيعوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ونهاهم عن إبطال أعمالهم بالارتداد وردّ كلام الله وكلام رسوله ومخالفة أمر الله وأمر رسوله . يعنى أن الطاعات والعبادات والإيمان إنما تنفع صاحبها إذا استمر صاحبها وداوم عليها حتى مات عليها . وأما إذا تغير في آخر عمره، والعياذ بالله ، وارتد عن دينه أو شك في شيء من أمر ربه ، أو أشرك بالله في عبادته أو ربوبيته أو صفاته فقد حبط عمله ، فصار من الخاسرين كمن يدعو غير الله من الملائكة أو الأنبياء والأولياء أو الأرواح على اعتقاد أنه يسمع ويقضى حاجته ، أو يقدر على شيء من النفع والضر ، أو كمن ينذر لغير الله على اعتقاد أنه جائز أو قربة ، أو كمن يدعو عبد القادر الجيلاني مثلا ويقول ياغوث الأعظم المدد أو أغثنى فسكل هذا شرك كبير بل أكبر ، لا تنفع معه طاعة ولا عبادة ولا صلاة ولا طواف ولا قراءة قرآن ولا غيرها ، إلا إذا تاب توبة صحيحة فالله تواب رحيم .

فيأيها المسلمون داوموا على طاعة الله وطاعة رسوله، ولا تبطلوا عباداتكم وإيمانكم بالشرك والكفر والارتداد ، وتفكروا وتدبروا في فهم معاني كلام ربكم ، فإنه تعالى يقول : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) وهذا أمر من الله تعالى بتدبر القرآن وتفهمه ، ناهياً عن الإعراض عنه . فلي قلوب الكفار أقفالها فهي مقفلة لا يخلص إليها شيء من معانيه ، فلا يفهمون مواعظ القرآن وأحكامه ، والفتاح هو الله تعالى ، فاسألوا من الله تعالى أن يفتح قلوبكم لفهم معاني كتابه ، وينور بصركم وبصيرتكم به بفضله ومنه ، وجوده وكرمه آمين .

وأيها المؤمنون أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في العقائد والشرائع كلها ، فلا تشاقوا الله ورسوله في شيء منها ، ولا تبطلوا إيمانكم وأعمالكم بالشرك والكفر والنفاق والرياء والمن والأذى والعُجب وغيرها ؛ وفي الآية إشارة إلى أن كل عمل وطاعة لم يكن بأمر الله وسنة رسوله فهو باطل لم تكن له ثمرة ، لأنه صدر عن الهوى والطبيعة ؛ فعليك أيها المؤمن بالإطاعة واستعمال الشريعة ، وإياك والمخالفة والإهمال ، ومن جملة الذين بطلت أعمالهم الذين يصدون الناس عن سبيل الله وعن استماع كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأكثر البخاريين الذين هم مقيمون في الحرمين يمنعون مجالسهم عن استماع تفسير كلام رب العالمين وعن استماع أحاديث رسول الله المبعوث رحمة للعالمين ، وينفرون الناصر عن استماع التوحيد الصحيح وأهله فهم إن ماتوا على هذا الحال قبل التوبة فقد حبطت أعمالهم فبئس الحال حالهم ، وهم وإن ظنوا أنهم يقرءون دلائل الخيرات ، ولكنهم بعيدون ومحرومون عن كل الخيرات ، أعاذنا الله تعالى من العمى والضلال .

الآية الثامنة والسبعون في سورة الحجرات : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين ناهياً إياهم عن التقدم بين يدي الله ورسوله ، وهذا أدب أدب الله تعالى به عباده المؤمنين ، وهو أن لا يشرعوا في أمر من الأمور

قبل صدور أمر الله ورسوله ، ولا يسرعوا فيه بهواهم أو تقليداً لغير المعصوم من المؤلفين ، بل لا بد أن يكونوا تبعاً له في جميع الأمور .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن معاذ رضى الله عنه أنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال له « جَمَّ تَحَكُّمٌ ؟ » قال بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، قال صلى الله عليه وسلم فَإِنْ لَمْ تَجِدْ ؟ قال بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال صلى الله عليه وسلم : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ ؟ قالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِي ، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِهِ ، وقال : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا يُرْضَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فالغرض منه أنه أحرر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله ، قال ابن عباس رضى الله عنهما (لا تتقدموا بين يدي الله ورسوله) ، لاتقولوا خلاف الكتاب والسنة ، ولا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم ، ولهذا قد أجمعوا على أن مبنى الدين والإيمان والعبادات على الاتباع لا على الابتداع (واتقوا الله) فيما أمركم به (إن الله سميع عليم) لأقوالكم ونياتكم وأعمالكم وحرركاتكم وسكناتكم .

فيأيتها المؤمنون لاتقدموا أمراً من الأمور بين الله ورسوله ، ولا تقطعوه إلا بعد أن يحكما به ويأذنا فيه فتكونوا عاملين بالوحي المنزل ومقتدين بالنبي المرسل صلى الله عليه وسلم ، واتقوا في كل ماتأتون وما تدرؤن من الأقوال والأعمال ؛ لأن الله تعالى سميع عليم ، فمن حقه أن يُتَّقَى ويراقب ، ولا شك أن التقديم خروج عن صفة المتابعة واستقلال في الأمر فيكون منافياً للإيمان ، وعموم اللفظ يشمل النهى عن الذبح يوم الأضحية قبل الصلاة ، كأنه قيل لاتذبحوا قبل أن يذبح النبي صلى الله عليه وسلم ، ويشمل النهى عن صوم يوم الشك ، أى لاتصوموا قبل أن يصوم نبيكم ، ولا شك أن ظاهر الآية عام في كل قول وفعل ؛ ولذا حذف مفعول لاتقدموا ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يمكن تقديمه من قول أو عمل ، مثلاً إذا جرت

مسألة في حضوره صلى الله عليه وسلم فلا تسبقوه في الجواب ، وإذا حضر الطعام فلا تبدأوا بالأكل قبله ، وإذا ذهبتم إلى موضع معه فلا تمشوا أمامه إلا لمصاحبة دعت إليه ، ومن هذا قالوا لا يجوز تقديم الأصغر على الأكبر إلا لمصاحبة في النهي المشي بين العلماء لأنهم ورثة الأنبياء .

واعلم أن من شرط المؤمن أن لا يرى رأيه وعقله واختياره فوق رأى النبي صلى الله عليه وسلم ويكون مستسماً لما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فالذين يقدمون قوانين البشر على أوامر الله ورسوله ليسوا مؤمنين كالأتراك الكافرين والعراقيين الجمهوريين .

الآية التاسعة والسبعون فيها أيضاً: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ » .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين ناهياً إياهم عن رفع أصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم حينما يخاطبونه ويكلمونه في حضوره ومجلسه صلى الله عليه وسلم ، وقد روى هنا أحاديث في الصحاح فعمليك بها إن أردت التفصيل .

قال ابن كثير: وقد روينا عن أمير المؤمنين ناهياً إياهم عن رفع أصواتهم فوق صوت رجلين في المسجد النبوي وقد ارتفعت أصواتهما ، فجاء فقال أتدريان أين أنتم؟ ثم قال من أين أنتم؟ قالوا من أهل الطائف ، فقال لو كنتم من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً ، وعن هذا قال العلماء يكره رفع الصوت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم كما كان يكره في حياته صلى الله عليه وسلم ، لأنه صلى الله عليه وسلم محترم حياً وميتاً وفي قبره صلى الله عليه وسلم دائماً ؛ وقد نهى الله تعالى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل مخاطبه من عداه ، بل يخاطبه بسكينة ووقار وتعظيم ، فما يفعله الناس اليوم من الصياح والغوغاء عند قبره صلى الله عليه وسلم من المحرمات المنهى عنها التي

لا يرضى بها الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فالخذر الخذر، بل اللازم السلام عليه عليه الصلاة والسلام بالأدب والخشوع لدى الزيارة قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) فالناس اليوم ينادون عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالصياح الفاحش يارسول الله ونحوه فهم جهال لا عقل لهم ، فلا شك أنهم محرومون عن فضائل اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدخل في هذا النهى الجهر والتكلم عند تحديث أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ولورأى السلف مجالس هذا الزمان من مجالس الوعظ والدرس واجتماع فى المولد ونحوه لخرجوا من ساعتهم .

الآية الثمانون فيها أيضا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين مرشداً إليهم أن يتأثروا فى قبول أخبار الفاسقين ، ويتبينوا ويحققوا تحقيقاً ، لأن الفاسق من حيث إنه فاسق من شأنه الكذب ، ولأنهم إذا قبلوا قوله بلا تبين ربما حكموا بغير حق ، بناء على خبره الكاذب ، فيصحبون على ما فعلوا من الحكم بالخطأ نادمين ، حيث لا ينفعهم الندم بعد الحكم ؛ كما وقع فى قصة الحارث بن ضرار الخزاعى رضى الله عنه ، حيث كذب عليه الوليد بن عقبة وقال إن الحارث قد منعى الزكاة وأراد قتلى ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحارث فأنزل الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) الآية . كما هو مبسوط فى كتب الأحاديث والتفسير ، فلهذا قد أمر الله تعالى المؤمنين بالتثبت فى خبر الفاسق ليحفظ له لتلايحهكم بقوله ، فيكون فى نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً ، فيكون الحاكم بقوله قد اقتنى أثره وآراءه ، وقد نهى الله تعالى عن اتباع سبيل المفسدين والفاسقين والكاذبين ، وعن هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « التَّثَبُّتُ مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ » .

نكّر الفاسق ليدل على العموم : أى أى فاسق كان ، ونكر النبا أيضاً : أى أى خبر كان ؛ ليجتزئ العبد المؤمن عن قبول خبر كل فاسق ، وخصوصاً إذا كان الخبر خبراً يعظم وقعه فى القلوب ، فاللازم التعرف والتفحص حتى يتبين لكم ماجاء به أصدق هو أم كذب ، ولا تعتمدوا على قوله الجرد لأن من لا يتحامي جنس الفسوق لا يتحامي الكذب الذى هو نوع منه .

وفى الآية دلالة على أن الجاهل لا بد أن يصير نادماً على ما فعله جهلاً ، والذى يكذب عمداً فهو فى النار ؛ فيا أيها المسلمون احتزروا من الفسق ، ومن قبول خبر الفاسق ، لأنه يكون سبباً لفاسد لا تحصى ، ولكن الأسف ألف أسف على حال المسلمين اليوم أنه غلب عليهم الفسق والكذب ، ويعدونّه تدبيراً وعقلاً ، فلهذا فسدوا وأفسدوا ، وخصوصاً مجاورو الحرمين ، والسبب فى هذا كله إنما هو غفلتهم أو جهالهم بمعانى كلام ربهم ، وغفلتهم ونسيانهم كونهم مسئولين عنه يوم القيامة ويجازون بذلك ؛ فيا أيها المسلمون أما تخافون من الله الخبير البصير وعذابه الأليم ؟ تخادعون المؤمنين وحجاج بيت الله الحرام ؛ فإن الله وإنا إليه راجعون .

الآية الحادية والثمانون فيها أيضاً : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) .

أرشد الله تعالى عباده المؤمنين آمراً إياهم أن يصلحوا بين إخوانهم المؤمنين إذا وقعت بينهم منازعة ومخاصمة ، لأن البشر من حيث إنه بشر قد يخطئ ، فقد تقع المقاتلة خطأ (واتقوا الله) فلا يظلم بعضكم بعضاً ولا يتعدى بعضكم على بعض ، وأصلحوا فيما بينكم (لعلمكم ترحمون) والعبد المؤمن لا يخرج بالمعصية عن الإيمان إذا لم يستحلها وإن كبرت .

والمؤمنون جميعهم عربهم وعجمهم ، وأبيضهم وأسودهم إخوة فى الدين ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَإِذَا دَعَا

المُسْلِمُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْفَيْبِ ، قَالَ الْمَلِكُ آمِينَ وَوَلَكَ بِمِثْلِهِ . وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَوَاضُعِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ . الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْمُؤْمِنُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِ مِنْ كَنْزٍ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

اعلم أن أخوة الإسلام أقوى من أخوة النسب ، بحيث لا تعتبر أخوة النسب إذا خلت عن أخوة الإسلام ؛ ألا ترى أنه إذا مات المسلم وله أخ كافر يكون ماله للمسلمين ، لا لأخيه الكافر ، وكذا إذا مات أخوه الكافر لا يرثه المسلم ، وذلك لأن الجامع الفاسد لا يفيد الأخوة . ولما كان الجامع المعتبر هو الدين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آلُ مُحَمَّدٍ كُلُّ تَنَقَّى » أى المؤمن التقي « وَسَلَمَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ » . كما قال الله عز وجل : (إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ - أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَخْوَفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) .

وكما أنه من حق الأخوة في الدين الإصلاح بين الإخوان المؤمنين ، كذلك أن تُحِبَّ لأخيك المؤمن ما تحب لنفسك ؛ فإن استعانك أعنته ، وإن استنصرك نصرته ولكن الأسف أن المسلمين تركوا العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلوا معناهما فصاروا يبغيض بعضهم بعضا ، حتى صار إخوان الزمان جواسيس العيوب . فالخذر الخذر من إخوان الزمان ؛ لأنهم محرومون من الوظائف الإسلامية الواجبة ، كما صاروا محرومين من العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن ادعوا أنهم أهل الحديث أو سلفيون ، ولكن أعمالهم تكذب دعواهم كما هو المشاهد ، فيا غربة الإسلام من علمائه وأدعيائه ، ولهذا قد حرمهم الله تعالى

من خلافة الأرض ، وجعلهم محكومين أذلاء تحت أرجل الكافرين ، إلا آل
السعود وآل محمد بن عبد الوهاب وعلى رأسهم الملك عبد العزيز فإن الله تعالى وفقهم
للخيرات والمبرات فالحمد لله رب العالمين .

الآية الثانية والثمانون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُمُ مِنْ
قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا
مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ، بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيمَانِ ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين ناهياً إياهم عن السخرية بالناس واحتقارهم
والاستهزاء بهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« الْكِبْرُ بَطْرٌ الْحَقُّ وَغَمَضُ النَّاسِ ، أَوْ غَمَطُ النَّاسِ » والمراد من ذلك احتقارهم
واستهزأهم ، وهذا حرام قد نهى الله عنه فإنه قد يكون المحقر أعظم قدراً عند الله
تعالى وأحب إليه من الساخر منه المحقر له ؛ والسخرية أن يحقر الإنسان أخاه
ويستهزئه ويستهزئ به ، وعن التحقير يحدث الكبر ومنه ينشأ عدم قبول الحق
فيصير الساخر كأنه من حزب الشيطان ومتصف بصفاته .

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَبِّ أَشَعَثَ أَغْبَرَ
ذِي طَمَرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ بِهِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ » فلا ينبغي لمسلم أن ينظر إلى
مسلم ينظر الحقارة عسى أن يكون خيراً منه ، إلا إذا ظهر منه ما يوجب التحقير
والسخرية كالشرك والنفاق والفسق والفجور (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا تلمزوا
الناس فإن من لمز غيره كأنه لمز نفسه . اللمز : الطعن باللسان ، والهمز بالفعل ، والهماز
الهماز من الناس مذموم ملعون ، كما قال الله تعالى : (وَيَلُ لِسَكُلٌ مُهْمَزَةٌ لُمَزَةٌ)
(هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِمَسِيمٍ) فلا يطعن بعضكم على بعض ، واللمز الإشارة بالعين واليد
ونحوها ، ولا يعب بعضكم على بعض فإن المؤمنين كنفوس واحدة ، والأفراد المنتشرة

بمنزلة أعضاء تلك النفس ، فن عاب مؤمناً فكأنما عاب نفسه كقوله تعالى :
(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) . وقال بعض المفسرين أى لا تفعلوا ما تلمزون به ، فإن
من فعل ما يستحق به اللمز فقد لزم نفسه أى تسبب لللمز نفسه ؛ أو لا تلمزوا غيركم فإن
ذلك يكون سبباً لأن يباحث الملموز عن عيوبكم فيلمزكم فتكونون لالمزين لأنفسكم
فيصير مثل ما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم : « مِنْ السَّكْبَاتِ
شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ نَعَمْ
يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » ولا يدخل في النهى
ذكر الفاسق لقوله صلى الله عليه وسلم : « اذْكُرُوا الْفَاجِرَ بِمَا فِيهِ كَيْ يَحْذَرَهُ
النَّاسُ » .

(ولا تنازروا بالألقاب) أى لا تدعوا بالألقاب التى يسمي الشخص سماعها
(بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) أى بئس التوصيف بالألقاب السيئة كما هو
عادة أهل الجاهلية ، والمؤمن لا يُلقَّب باللقب السيئ مثل ابن اليهودى أو النصرانى
أو ياكلب يابن الكلب . قال ابن عباس رضى الله عنهما: التنازير بالألقاب أن يكون
الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى أن يُعيَّر بما سلف من عمله ، لأن الإيمان
والإسلام يجب ويحجوا ما قبله : « التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ » فتوبوا
أيها المؤمنون من كل ما جنيتم وارتكبتم من الأفعال القبيحة والأقوال الفاحشة
(ومن لم ينسب) عما نهى عنه (فأولئك هم الظالمون) .

الآية الثالثة والثمانون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّا
الظَّنُّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ
أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ أَخِيهِ مِمَّا فَرَغْتُمْوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين ناهياً إياهم عن كثير من الظن وهو التهمة
والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله ، لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضاً ،

فاجتنبوا الكثير منه احتياطاً ، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا تظننَّ بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلاّ خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً .

وقد روى البخارى في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » فلا يتحسس بعضهم على بعض . والتحسس : هو البحث عن عيوب الناس . والتحسس : هو استماع كلام الناس بقصد الإفساد . وأفادت الآية أن أكثر الظنون من قبيل الإثم ، لأن الشيطان يلقى الظنون في النفس ، فتظن النفس الظن الفاسد ، وعلى أن بعض الظن ليس بإثم ، بل هو حقيقة كالفراسة الصحيحة بأن يرى القلب بنور اليقين .

وقد نهى الله تعالى عن الغيبة ، وقد فسرها الشارع كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ، قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ » رواه الترمذى وأبو داود . والغيبة محرمة بالإجماع ، ولا يستثنى منها إلا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل ، والنصيحة كقوله صلى الله عليه وسلم لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر « ائذِنُوا لَهُ وَبِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ » وكقوله صلى الله عليه وسلم لغاطمة بنت قيس رضى الله عنها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم « أُمَّا مُعَاوِيَةَ فَصُعُوبُكَ ، وَأُمَّا أَبُو الجهم فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ » وكذا ماجرى مجرى ذلك ، ثم بقيتها تبقى على التحريم الشديد ، وقد ورد فيها الزجر الأكيد ، ولهذا قد شبهها الله تعالى بأكل لحم الإنسان الميت

(أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أى كما تكرهون هذا طبعاً
فاكرهوا ذلك شرعاً ، فإن عقوبته أشد من هذا .

وعن أبى برزة الأسامى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ لَاتَقْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا
تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ
عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ » رواه أبو داود . ونظر عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يوماً
إلى الكعبة فقال : ما أعظمك وأعظم حرمتك ! والله من أعظم حرمة عند الله
منك ؛ فيا أيها المؤمنون اتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ، فراقبوه في ذلك واخشوا
منه ، فإن تبتم إليه تعالى فالله تواب على من تاب وأتاب ، ورحيم لمن رجع إليه
واعتمد عليه ، وغفار لمن تاب واستغفر .

ولكن الأسف أن المسامحين اليوم ابتلوا بارتكاب هذه القبائح ، وغرقوا فيها
وتلوثوا بها ؛ كالظن السوء خصوصاً بالصلحين المفلحين من أهل التوحيد والعلماء
العاملين ، والتجسس والغيبة ، فلا يخلو مجالس من المجالس سواء مجلس العلماء
أو الجهلاء إلا والغيبة إدامهم ، والنميمة حلواهم ، والبهتان فاكهتهم يتفكحون بها .
والسبب فى ذلك غفلتهم عن معانى كتاب ربهم ، وعدم مبالاةهم به وبسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الغفلة من أعظم جنود الشيطان فتنبه .

الآية الرابعة والثمانون فى سورة الحديد : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا
بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين الذين آمنوا بالأنبياء السابقين كموسى
وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، فقال لهم (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم
(يؤتكم كفلين من رحمته) ويزدكم فضلاً ورحمة لجمعكم بين الإيمان بجميع الرسل صلوات الله

وسلامه عليهم ، (و) بركة هذا الإيمان الكامل (يجعل لكم نوراً تمشون به) في الدنيا .
على الصراط المستقيم ، وفي الآخرة على الصراط كالبرق الخاطف .

ولا ريب أن من استقام في هذه الدنيا على الصراط المستقيم استقامة تامة فهو
يستقيم على صراط الآخرة بفضل الله ورحمته ؛ وأما من حاد عنه وتموج في هذه الدنيا
فهو في الآخرة أضل وأعوج ، وهذا النور هو القرآن ففيه الهدى والبيان ، وهذه
كقوله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) .

فأُسُّ الأمر ومداره الإيمانُ بالله وتقواه ، ومن لازمه الإيمان برسوله محمد صلى
الله عليه وسلم ، فإذا حصل هذا وصح نال المتصف به كل سعادة ودولة ، من هدى
ومغفرة ورحمة وجنة ورضوان . فإياها المؤمنون كملوا إيمانكم بكل ما يؤمن به ، ولا
تكونوا كالذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، أو كالذين يؤمنون فيعملون بما
وافق مذهب إمامهم ، ويكفرون فلا يعملون بما خالف مذهبهم كما هو شأن كثير
من مقلدة المذاهب ، وأهل الطرق فتنبه .

الآية الخامسة والثمانون في سورة المجادلة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ
فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ
بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ . وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين مؤدباً إياهم أن لا يكونوا مثل
الكفرة والمنافقين الذين يتناجون بالإثم فيما بينهم ، والفسق والعدوان على غيرهم ،
ومنه معصية الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفته ، ويصرون عليها ويتواصون بها
فيما بينهم كأكثر البخاريين الذين يجاورون في الحرمين وهم مصرّون على عداوة أهل
التوحيد العاملين بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيعادون الوهابيين

ويعادون السلفيين ويقولون على طريق التشنيع إنه وهابى ، ويتواصون بذلك بعضهم بعضاً ، ويتواصون بعضهم بعضاً أن لا يحضروا ولا يستمعوا دروس التفسير والحديث والتوحيد .

وقد قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم) وتساررتهم فيما بينكم (فلا تناجوا بالإنثم والعدوان ومعصية الرسول) كما يتناجى به الجهلة من كفره أهل الكتاب ، ومن على شاكلةهم ومالاهم على ضلالهم من المنافقين والمقلدين الجامدين ، بل أنتم أيها المؤمنون (تناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إليه تحشرون) فيجازيكم على أعمالكم وأقوالكم وقد أحصاها عليكم .

ثم قال تعالى : (إنما النجوى) أى المساررة حيث يتوهم المؤمن بها سوءاً من تزوين الشيطان وتسويله (ليحزن الذين آمنوا) أى إنما يُرِين لهم ذلك ليحزن المؤمنون ويسوءهم (وليس ذلك بضارهم شيئاً إلا بإذن الله) كما يفعل أكثر المبتدعين فى حق السلفيين الموحدين ، وما هم بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ، فنحن نستعيد منهم بالله ونتوكل عليه تعالى فهو حسبنا ونعم الوكيل .

فيا أيها المؤمنون اتقوا ربكم فإنه عليم خبير ، وعذابه أليم وشديد . ولا تغفروا بوساوس الشيطان من الجن والإنسان .

الآية السادسة والثمانون فيها أيضاً : (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا ففسح الله لكم ، وإذا قيل انشروا فأنشروا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين معلماً إياهم وأمرأ لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض فى المجالس ، ويوسع بعضهم لبعض ، فإذا أحسنوا إلى إخوانهم المؤمنين أحسن الله إليهم ووسع عليهم ، لأن الجزء من جنس العمل ، ولا يضمن المجالس على القادم فى مجالس العلم والذكر والصلاة .

وقالوا في سبب النزول مجيء البدرين في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوسع لهم أحد في المجلس ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رَحِمَ اللهُ تَعَالَى رَجُلًا يَفْسَحُ لِأَخِيهِ » فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسح القوم لإخوانهم المؤمنين .

ولكن لا يجوز أن يقيم الرجل الرجل ويجلس في مكانه لما في الصحيحين عن ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَقُمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَيَجْلِسُ فِيهِ ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَتَوَسَّعُوا » . وفي رواية : « لَا يَقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَكِنْ لِيَقْبَلُ أفسَحُوا » .

وهل يجوز القيام للقادم ؟ فيه قولان . وفي السنن : أنه لم يكن شيء أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعملون من كراهته لذلك ، وكان صلى الله عليه وسلم يجلس حيث انتهى به المجلس ، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس ، فكان الصحابة رضى الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم ؛ فالصديق عن يمينه وعمر عن يساره ، وبين يديه غالبا عثمان وعلى لأنهما كانا ممن يكتبان الوحي وكان يأمرهم بذلك . (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا ، أو إذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا ، ولا تتناقلوا في المجلس (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) أى لا تظنوا أنه إذا فسح أحدكم لأخيه إذا أقبل أو إذا أمر بالخروج فخرج أن ذلك بقص في حقه ، بل هو رفعة ورتبة عند الله ، والله تعالى لا يضيع ذلك له ، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة ، فإن من تواضع لله ولأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره . (والله بما تعملون خبير) قال ابن مسعود رضى الله عنه : أيها الناس ، افهموا هذه الآية فإنها لترغبنكم في العلم (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) فالؤمن العالم فوق الذى لا يعلم درجات . وروى مسلم عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ » والعلماء المملون هم ورثة الأنبياء ، والله خير بنياتكم وأعمالكم . وأفادت الآية سرّ تقدم العلماء على غيرهم في المجالس والمحافل ، لأن الله تعالى رفع قدرهم وأعلى درجاتهم ، فمن رفعهم وأكرمهم رفعه الله وأكرمه في الدارين ، ومن وضعهم وأهانهم وضعه الله تعالى وأهانته في الدارين ، وإنما هذا في حق العلماء الذين يعملون بعلمهم ويحشون ربهم ، لا العلماء الذين جعلوا علمهم آلة للرياسة ، والجاه وتحصيل المال فإنهم محرومون بل مردولون .

فنسأل الله تعالى علماً نافعاً وقلباً خاشعاً ولساناً ذا كراً .

الآية السابعة والثمانون فيها أيضا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ، فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين آمراً بإيهم إذا أراد أحدهم أن يناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى يسارّه فيما بينه وبينه ، يعنى يجلس معه فى مجلس خاص أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكّيه وتؤهله لأن يصاح هذا المقام ، ولهذا قال : (ذلك خير لكم وأطهر ، فإن لم تجدوا) ماتتصدقون به لفقركم (فإن الله غفور رحيم) فما أسرها إلا من قدر لها .

وقد قالوا فى سبب النزول إنهم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيكثر من مناجاته ويجلسون طويلا حتى كره النبي صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم وكثرة مناجاتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا ، وأما أهل اليسرة فمضوا وبحلوا فنزلت الرخصة .

وقال مجاهد رحمه الله تعالى نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا ، فلم يُنَاجِهْهُ إِلَّا عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ تَصَدَّقَ بِدِينَارٍ فَنَاجَاهُ ، ثُمَّ نَزَاتِ الرِّخْصَةَ فَكَانَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ يَقُولُ : آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي وَهِيَ آيَةُ الْمَنَاجَاةِ ، وَهَذِهِ الصَّدَقَةُ إِنَّمَا يُتَصَدَّقُ بِهَا عَلَى الْفَقِيرِ الْمُسْتَحَقِّ ، لِأَعْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَدْعِيهِ أَوْ يَظُنُّهُ مِنْ لَإِخْلَاقٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقِ وَالْمَشَايِخِ الدُّجَالِينِ ، لِأَنَّ الصَّدَقَةَ حَرَامٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا لَا يَخْفَى (فَمَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) أَى فَتَصَدَّقُوا قَبْلَهَا عَلَى الْمُسْتَحَقِّ ، وَهَذَا كَقَوْلِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَفْضَلُ مَا أُوتِيَتْ الْعَرَبُ الشَّعْرَ ، يَقْدِمُهُ الرَّجُلُ أَمَامَ حَاجَتِهِ فَيَسْتَمَطِرُ بِهِ الْكَرِيمَ ، وَيَسْتَنْزِلُ بِهِ اللَّثِيمَ ؛ وَفِي هَذَا الْأَمْرِ تَعْظِيمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَفْعٌ لِلْفُقَرَاءِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْإِفْرَاطِ فِي السُّؤَالِ ، وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الْمُخْلِصِ وَالْمُنَافِقِ ، وَحُبُّ الْآخِرَةِ وَحُبُّ الدُّنْيَا . قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : إِنْ رَسَمَ النُّشَارَاتُ لِلْمَلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ مَا خُوِذَ مِنْ أَدَبِ اللَّهِ تَعَالَى فِي شَأْنِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٌ) أَخَفْتُمْ مِنَ الْفَقْرِ إِذَا تَصَدَّقْتُمْ (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا) مَا أَمْرْتُمْ بِهِ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ (وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) بَأَنْ رَخِصَ لَكُمْ فِي أَنْ لَا تَفْعَلُوهُ ، وَأَسْقَطَ عَنْكُمْ تَقْدِيمَ الصَّدَقَةِ ، وَعَفَا عَنْكُمْ بِفَضْلِهِ ، فَتَدَارَكُوهُ بِامْتِنَالِ مَا تُؤْمَرُونَ بِهِ بَعْدَ هَذَا ، وَهُوَ (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) فِي أَوْقَاتِهَا مَعَ أَرْكَانِهَا وَسُنَنِهَا ، (وَآتُوا الزَّكَاةَ) إِلَى مُسْتَحِقِّهَا ، (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فِي سَائِرِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ الْقِيَامَ بِهَا كَالْجَابِرِ لِمَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ مِنَ التَّفْرِيطِ (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) مِنْ أَعْمَالِكُمُ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ ، فَاعْمَلُوا بِمَا أَمْرَكُمْ بِهِ ابْتِغَاءَ لِرِضَايَتِهِ ، لِالرِّيَاءِ أَوْ سَمْعَةٍ .

فَيَأْتِيهَا الْمَسْلُومُونَ أَطِيعُوا رَبَّكُمْ وَامْتَثَلُوا أَمْرَهُ وَلَا تَتَسَاهَلُوا فِيهِ ، عَسَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَيَعْفُو عَنْكُمْ ، وَيُصَلِّحَ بِالْكَمِّ وَحَالِكُمْ ، وَيُعْزِمَكُمْ فِي الدَّارِينَ .
الآيَةُ الثَّامِنَةُ وَالْثَمَانُونَ فِي سُورَةِ الْحُشْرِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانظُرُوا

نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين أمرا إياهم بأن يتقوا عذابه وغضبه ، ثم أمرهم بأن ينظر الإنسان وكل عاقل مكلف فيما فعل من الأعمال الخيرية التي قدمها لنفسه ليرى أجرها ليوم القيامة (واتنظر نفس ما قدمت لغد) أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم ، وعرضكم على ربكم (واتقوا الله) تأكيده بعد تأكيده ، ولا تغفروا ببعض الأمانى والخيالات والترهات (إن الله خبير بما تعملون) من خير وشر ، وإخلاص ورياء (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) فتركوا أمره ، فكل من ترك أمر الله كأنه نسى الله ، (فدمجوا ذلك) (أنسأهم أنفسهم) فلم يعملوا لأنفسهم الأعمال الصالحة التي تنفعهم في معادهم ، فإن الجزء من جنس العمل (أوائك هم الفاسقون) الخارجون عن طاعة الله ، الهالكون يوم القيامة ، الخاسرون يوم معادهم ، ومن عمل لغير الله فقد نسى الله تعالى ، وكل من غفل عن ذكر الله فقد نسى الله تعالى ، لا خير في قول أو عمل لا يراد به وجه الله تعالى ، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله ، ولا خير فيمن يعاقب جهله حمله ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لأم .

وبأيها المؤمنون لا تكونوا كالذين نسوا الله : أى نسوا حقوقه عز وجل ، فما قدروه حق قدره ، وما وحدوا الله في عبادته ، ولم يراعوا مواجب أوامره ونواهيه حق رعايتها ، فأنسأهم بسبب ذلك أنفسهم ، فلم يسموا ما ينفعها ، ولم يفعلوا ما يخلصها ، فأولئك الناسون الخذولون بالإنساء هم الفاسقون العارقون في الفسق ، والخروج عن طريق الطاعة .

فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق التقوى ، واعملوا ما أمر بالإخلاص والرضا ، ولا تنسوا الله ربكم ، ولا تنسوا أمره ولا نهيه لحظة من اللحظات ، ولا تغفلوا عن ذكره حتى تكونوا من الصالحين الفلاحين ؛ وأما إذا نسيتم الله ولم تتقوه ، واتبعتم

هواكم ونفسكم وشيخكم وشيطانكم ، فأنتم الفاسقون ، وأنتم الهالكون ، وأنتم الأذلاء في الدارين ، في الدنيا تحت أرجل الكفرة المستعمرين المستعبدين ، وفي الآخرة في نار الجحيم والعذاب الأليم .

الآية التاسعة والثمانون في سورة الممتحنة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ ، يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ، تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ، وَمَنْ يَنْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين ناهياً إياهم أن يتخذوا عدو الله وعدو المؤمنين من المشركين والكفار والزنادقة الأشرار أولياء وأحباء وأصدقاء لأنفسهم يعاملونهم بالموودة والمحبة وبث الأسرار ، والحال أنهم قد كفروا بما جاءكم به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله من الحق ، وهم يقصدون دائماً إخراج رسول الله وإياكم من أوطانكم ، وإثماً سبب هذه العداوة هو إيمانكم بالله ربكم وحده لا شريك له الخ .

وذكروا في سبب النزول قصة حاطب بن أبي بلتعة كما هو المشهور المسموع في الصحاح ، ولكن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما لا يخفى على الخبير ، ولا شك أن اتخاذ الكفار أولياء سبب اضعف الإسلام وأهله ، كما هو المشاهد الجرب في جميع أنحاء العالم الإسلامي .

فيا أيها المسلمون إذا كنتم تسرون إلى الكفار بالموودة وبث الأسرار فقد ضلتم وخرجتم عن سواء السبيل ، وقد صرتم خداماً لهم لعدم بديان الإسلام ، لأنهم إن يظفروا بكم يفعلوا بكم كل ما استطاعوا بأيديهم وأستنتهم حتى يردوكم إلى الكفر ، فكيف توالون مثل هؤلاء ؛ وقد قال الله العليم الحكيم (وَإِنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ

وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّةَهُمْ) وأما أنت إذا ظننت أن التقرب والتودد إليهم
يتفكك في دولتك أو سياستك فاعلم أن الله تعالى إذا أراد بك سوءاً فلا مرد له ،
فلا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ولا مودتكم ولا سياستكم ، لأن الله تعالى خبير بأعمالكم
و بنياتكم ، فيجازيكم بحسب ذلك في الدارين .

فيأيها المسلمون حيث إنكم على ملة إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام
فاقتدوا به فيما عمل ، فإنه فيه الأسوة الحسنة ، فإنه لما تبين له كفر أبيه وقومه وجماعته
أعلن التبرؤ منهم ومما يعبدون من دون الله ؛ فكذلك يجب على كل مسلم إظهار العداوة
والبغضاء على المصرين على الشرك والكفر ، فلا توادوا ولا تحبوا أحداً من الكافرين
والمشركين ، بل تبرؤوا منهم تبرأ كلياً ماداموا كافرين ومشركين يعبدون مع الله غير
الله من الملائكة والأنبياء واللات والعزى ، أو يغوث ويعوق ونسرا ، أو الأوثان
والتقبور وأهلها ، أو الأرواح والمشاهد ؛ فلهذا قد قرر الشارع محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن الحب والبغض من الإيمان : أى حب الإيمان والمؤمنين وأهل
التوحيد من الإيمان ، وبغض الكفار والمشركين من الإيمان ، فمن ساوى بينهما
فقد برى من الإيمان .

فيأيها المسلمون امتثلوا أمر ربكم ، وتوكلوا عليه ، وتوبوا إليه ، واستعينوا بالله
من الشرك والكفر ، ومن فتنة أهل الشرك والكفر ، ولا تهيدموا باختياركم أركان
دينكم وبنياته بتولى أهل الشرك والكفر والضلال ، وإن توليتهم الكفرة كما تولى
كثير من أضله الله تعالى وأزاع قلبه من أهل الهند والصين والتركستان والترك ، فإن
الله تعالى هو الغنى الحميد جل جلاله ، وأنتم لا تضرون إلا أنفسكم .

الآية التسعون فيها أيضاً : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ
فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى
الْكُفَّارِ ، لَأَهْنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا نَفَقُوا) الآية .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين آمراً إياهم إذا جاءهم النساء المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام أن يمتحنوهن . قال ابن عباس رضى الله عنهما : امتحانها أن تستحلف إنها ما خرجت لبفض زوجها ، ولا عشقاً لرجل من المسلمين ، ولا رغبة عن أرض إلى أرض ، ولا لحدث أحدثته ، ولا لالتماس دنيا ، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام ، وحباً لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية : امتحانها أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن هجرتهن إنما هي لله ورسوله ، فإذا ثبت بإقرارهن إيمانهن (فلا ترجعهن إلى الكفار لهن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن) . ما أحل الله مؤمنة لكافر ، وآتوا أزواجهن الكفار ما أنفقوا عليهن من المهر ، ثم بعد عدتهن إذا أردتم أن تتزوجوا بهن فتزوجوا بالرضا والمهر .

وأتم أيها المؤمنون لا تمسكوهن بعصم الكوافر ، والعصم جمع عصمة ، وهي ما اعتصم به من العقد والنسب ، والكوافر جمع كافرة ، وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات ؛ فعلى هذا لا يحل للعبد المؤمن أن يعاشر زوجته المشركة ، بل يجب عليه مفارقتها بعد استتابتها كما لا يخفى ؛ فكثير من الجاهلات اللاتي تعتقدن أن أرواح الأولياء تعلم الغيب أو تحضر في المجالس أو تتصرف في الأمور ، أو تعمل « بي بي من شنبه » على ما هو المعروف بين البخاريات ، فإنهن بهذه الاعتقادات الباطلة مشركات بالشرك الأكبر ، ولا تنفعهن كلمة الشهادة ما لم يعتقدن معناها بعد العلم به ، وإجراء كلمة الشهادة على اللسان بطريق العادة من غير قصد التوبة لا ينفع فتدبر .

الآية الحادية والتسعون فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَبْسُوْا مِنْكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين ، ناهياً إياهم عن موالات الكفرة الذين قد غضب الله عليهم ولعنهم ، واستحقوا من الله الطرد والإبعاد ، فكيف

توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء ، وهؤلاء الكفار قد يتسوا من حكم الله تعالى في ثواب الآخرة ونعيمها : وقد روى أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين يتوصلون إليهم بذلك ، فيصيبون من ثمارهم ، فنهاهم الله تعالى عن ذلك .

وهكذا كثير ممن يدعى الإسلام يخدمون الكفرة سرا ، ويدلونهم على أسرار المسلمين وعوراتهم ، لينالوا بذلك منهم مالا ومنصبيا ، فهؤلاء قد خانوا الله تعالى ، وخانوا المسلمين ، وخانوا ديار المسلمين ؛ فهؤلاء لما تولوا الكفار الذين غضب الله عليهم ، صاروا من حزب المغضوب عليهم ، فأيتسوا وصاروا من المحرومين من الرحمة ومن نعيم الآخرة ، كما يتس الكفار من أصحاب القبور ، أى كما يتس الكفار الأحياء من قراباتهم المدفونين فى القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك ، لأنهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا ، أو يتسوا أن يرجعوا إليهم ، أو كما يتس الكفار الذين هم فى القبور من كل خير لما عاينوا العذاب .

فيأيتها المؤمنون لا تتولوا الكافرين أبدا ، ولا تتخذوهم لأنفسكم أولياء أو أصدقاء ، وإلا فتستحقون غضب الله ، وتبتلون بعذاب الله ، فتندمون ولكن لا ينفعكم الندم .

الآية الثانية والتسعون فى سورة الصف : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين بالاستنهام الإنكارى على من يعد وعدا ، أو يقول قولاً لا يفتى به ، وهذا يدل على أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا ، كما يجب العمل بما علم من العلم مطلقا ، ويؤيده ما فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق ثلاث : إذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان » وزاد مسلم فى روايته : « وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ » وأكده الله ذلك بقوله : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) وهذا إنكار وتوبيخ

من الله تعالى على أن يقول الإنسان من نفسه ما لا يفعله من الخير والعمل ، وأن الإنسان إذا أخبر أنه فعل كذا وهو لم يفعله كان كاذبا ، وإن وعد أنه يفعله في المستقبل ولا يفعله كان خُلُفاً ، وكلاهما مذموم ، فيشمل الكذب وإخلاف الوعد بلا عذر ، فمن يمدح الجهاد في سبيل الله ولا يجاهد عند الإمكان فهو داخل في الوعيد ، ومن يمدح العلم ولا يجتهد في طلبه مع الإمكان فهو داخل أيضا في الوعيد ، ومن يمدح السخاء والجود وهو يبخل مع قدرته وثروته فهو داخل في الوعيد . قال الله عز وجل : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) .

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

أما العجب العجيب المؤسف فإن أكثر الناس في هذا الزمان يقولون ويتقولون ما لا يفعلون ، بل يأمرون بالنكر وينهون عن المعروف ، والعياذ بالله تعالى الجبار كما هو شأن أكثر المقلدين وأهل الطرق فإنهم يمنعون الناس من حضور دروس التوحيد والتفسير والحديث ، ولكنهم يرغبونهم في البدعيات والخرافات من تقليد المذاهب الخرفاء ، والطرق الفاسدة الباطلة ، ومع ذلك يدعون التوحيد والتقوى ، فهم داخلون في الوعيد ألبتة .

الآية الثالثة والتسمون فيها أيضا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ

تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلِكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ) .

قد نادى الله تعالى وخطب عباده المؤمنين منها إياهم فقال : يا أيها المؤمنون الصادقون

الطالبون سعادتي الدنيا والآخرة ، والفوز بالرضا والرضوان والجنة (هل أدلكم على تجارة) عظيمة مباركة رابحة تكون سببا لإنجاء الله إياكم ، وتخليصه لكم من العذاب في الدنيا والآخرة ، وتكون سببا للعزة والسعادة ، وهي تجارة لن تبور أصلا ، ولن تخسر أبدا ، هي (تؤمنون بالله) إيماننا صادقا ، وتؤمنون برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكل ماجاء به من عند الله (وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) قاصدين إعلاء كلمة الله تعالى ونشر التوحيد ، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ وَالْكَفَّارَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَسْنِنِكُمْ » وإذا جمعتم هذه الأوصاف الجميلة فذلكم خير لكم إن كنتم تعملون .

لأن هذه التجارة لاتكون إلا رابحة ، بخلاف التجارة الدنيوية فإنها قد لاتكون رابحة ، بل قد تكون خاسرة ، ولو ربحت فربحها قليل زائل .

فيأيها المؤمنون إن فعلتم ما أمرتكم به ودلتكم عليه ، غفرت لكم الزلات ، وأدخلتكم الجنات والمسكن الطيبات ، والدرجات العاليات ، وعلاوة على هذه النعم العظيمة السرمدية أزيدكم أيها المؤمنون نعماً أخرى عاجلة في الدنيا ، وأنتم تحبونها وترغبون فيها ألا وهي (نصر من الله وفتح قريب) ينصركم على أعدائكم ، ويفتح عليكم الفتوحات ، أي إذا قاتلتم في سبيل الله ، ونصرتم دينه ، وعلمتم بأمره ، تكفل الله تعالى بنصركم فهو ينصركم ألبتة ، كما قال الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ، وَإِن تَنصُرُوا اللَّهَ مِنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) كما ذكرناها وفسرناها سابقا في الآية السادسة والسبعين ، وهي في سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكما يأتي في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ) الآية .

وهذه النعم من النصر والفتح عاجلا هي خير الدنيا موصولا بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ، ونصر الله ودينه ، ولهذا قال (وبشر المؤمنين) يارسولى محمد بالنصر

في الدنيا والجنة في الآخرة (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) وقد صدق الله العظيم ؛
إن الناس حينما كانوا مؤمنين صادقين يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم
والستينهم كاخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، نصرهم الله تعالى على الأعداء ، وفتح
لهم البلدان شرقاً وغرباً ، ورفعوا أعلام الإسلام ، فصارت تجارتهم رابحة ، ونجتهم
من ظلم الظالمين ، واستعباد المستعبدين ، واستعمار المستعمرين ، وقد غفر الله تعالى
ذنوبهم ، وأدخلهم جنات النعيم ، ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك
الفوز العظيم .

وأما الخلف الذين قد خالفوا السلف الصالحين ، ولم يعملوا بموجب إيمانهم ،
ولم يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، بل إنما تظاهروا ببعض مظاهر الإيمان
والإسلام ، وصار مقصدهم الجاه والرياسة ، والهوى والشهوة ، فصاروا محرومين من
النصر والفتح ، والتجارة الرابحة ، والخير الكثير ؛ فذهبت دولتهم وديارهم في أيدي
الكفرة - والله أعلم - كما أنهم صاروا من المحرومين من دولة الدنيا ، فسيحرمون من
المغفرة والرحمة وجنات النعيم ، والمساكن الطيبة في الآخرة ؛ لأنهم قد غيروا
مابأنفسهم من الوظائف الإيمانية ، والاوزام الإسلامية ، فقير الله تعالى عليهم جزاء
وفاقا (وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) .

فيأيها المسامون آمنوا بالله ورسوله إيماناً صادقاً كاملاً متمراً مقترناً بالعمل بموجبه
ولا تتخذوا أنفسكم ، ولا تتخذوا بتسويلات شياطينكم من العلماء السوء الذين
جعلوا العلم فخماً ومصيدة لما كلهم وشهواتهم ، وشيوخكم الذين مهرروا في الدجل حتى
جعلوا الطريقة والتصوف غير الشرعية ، حتى قالوا بلا تحاشٍ : الطريقة غير الشرعية
نخرجوا عن الشرعية الحمدية إلى الطريقة الوثنية ، وهم لا يشعرون لجهلهم بمعاني
كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيأيها الناس إلى متى هذا الضلال
وإلى أين هذا الخبال ؟ أما تفتقون من السكرة ؟ أما تصحون من الغفلة ؟ أم أتم

مخرجتم عن مرتبة الإنسانية فهبطتم في مهابى الحيوانية ، وسلكتم المسالك الشيطانية وقد غرتكم الدنيا ، فلا تفرنكم الحياة الدنيا وزينتها ولا يفرنكم بالله الغرور .

الآية الرابعة والتسعون فيها أيضا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ، فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين أسراً إياهم أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم ، وأن يستجيبوا لله ورسوله ، كما استجاب الحواريون لعيسى عليه الصلاة والسلام حين قال : (من أنصاري إلى الله) أى من معينى فى الدعوة إلى الله عز وجل (قال الحواريون) وهم أتباع عيسى عليه السلام (نحن أنصار الله) أى نحن أنصارك ومساعدوك يا رسول الله على ما أرسلت به ومؤازروك على ذلك ، ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس فى البلدان .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى أيام الموسم « هَلْ مِنْ رَجُلٍ يُؤْوِيَنِي حَتَّىٰ أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّي فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّي » حتى قيض الله تعالى له الأوس والخزرج من أهل المدينة ، فبايعوه ووازره وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم ، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه ، ولهذا سماهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وصار ذلك علماً عليهم ؛ رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم وجعلنا فى زمريهم ومن محبيهم ومتبعيهم وحشرننا معهم بفضلهم ومنته .

اعلم أن الله تعالى أعلمنا أن بنى إسرائيل افتتقت طوائف ، فأمنت طائفة وكفرت طائفة ، وقد غالت فيه طائفة حتى قالت إنه ابن الله ، وافترقوا فرقا وشيعا فتجادلوا وتقاتلوا ، فأيد الله تعالى المؤمنين على الكافرين ، فأصبح المؤمنون ظاهرين

على الكافرين ظهوراً بيتاً ، وقد ازداد ذلك ظهوراً ببعثة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم اعلم أنه كما اختلفت وكفرت طائفة من بني إسرائيل ، كذلك اختلفت وكفرت طوائف من هذه الأمة ، وغلت في نبيها وآله كالرافضة والشيعة وغلاة الصوفية والحنفية الهندية البريلوية ، فادعت أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب الآن وأن حاله صلى الله عليه وسلم بعد موته كحاله قبل موته ، وهو حيٌّ في قبره بحياته الدنيوية ، ولهذا ينادونه ويستغيثون به ، حتى إنهم حينما يقرءون قصة المولد يقومون قياماً بغاية التعظيم ، ويقولون :

مرحباً يا مرحباً يا مرحباً مرحباً جدّ الحسين مرحباً

وإنما يقومون لأنهم يعتقدون أن روحه صلى الله عليه وسلم قد حضر هناك .

وزاد غلوّ متأخريهم حتى صاروا يعتقدون أن الأولياء كعبد القادر الجيلاني مثلاً يعامون الغيب ويتصرفون في الأمور ، ولهذا تراهم ينادونهم ويستغيثون بهم وينذرون لهم ، فهؤلاء وأمثالهم كفره ومشركون ، والعياذ بالله تعالى .

وعن هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، قِيلَ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ هُمْ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » وقد أشار إلى هذه الفرقة الواحدة الناجية بقوله صلى الله عليه وسلم « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَحَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الدَّجَالَ مَعَ الْمَسِيحِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ » فنسألك اللهم أن تجعلنا من هذه الفرقة الظاهرة على الحق ، وهم أنصار دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم الداعون إلى الحق ، وإلى التوحيد توحيد الألوهية والعبادة ، وإلى العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الآية الخامسة والتسعون في سورة الجمعة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ

لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين منبهاً إليهم أنه إذا نادى المنادى لصلاة الجمعة فالواجب عليهم أن يسموا إلى أداء الصلاة وسماع الخطبة ، وأن يتركوا البيع وكل عمل يشغلهم عن أداء الصلاة ، فأداء صلاة الجمعة وسماع الخطبة والذكر والوعظ هو الخير النافع للمؤمنين إن كانوا يعلمون مصالح أنفسهم وما ينفعهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم ، ومعنى السعى الذهاب والحضور لا العدو ، والمراد من هذا النداء هو النداء الذى يكون بين يدي الخطيب إذا جلس على المنبر ، وأما النداء الذى على المنارات ، فإنما زاده عثمان رضى الله عنه في إمارته لما كثر الناس فليس بمراد ، فمن حين النداء يجب المشى والحضور ، ويحرم البيع والاشتغال .

واعلم أن صلاة الجمعة من فروض الأعيان ، فتجب على كل مسلم عاقل بالغ حرّ ذكر إذا كان مقياً في مصر أو قرية ، فمن تركها بدون عذر استحق الوعيد الشديد ، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تَجِبُ الْجُمُعَةُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِلَّا امْرَأَةً أَوْ صَبِيًّا أَوْ مَمْلُوكًا » رواه الترمذى والنسائى . والعذر المسقط للجمعة المرض أو تعهد مريض ، أو خوف أو مطر ، أو وحل كثير . ومن لا يجب عليه حضور الجمعة إذا حضر وصلى مع الإمام الجمعة ، سقط عنه فرض الظهور لأنها فرض الوقت .

وقد صحح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَهَاوَنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ » ولا شك أن صلاة الجمعة من أوكد فرائض الإسلام ، ومع هذا فإننا قد شاهدنا كثيراً من المسلمين يتركون الجمعة تهاوناً بها ، حتى إنى قد رأيت رجلاً من أغنياء مكة ، وأنا نازل عنده ضيفاً في أيام الصيف في الطائف وهذا الغنى لا يحضر لصلاة الجمعة ، وعنده السيارات والمراكب الفاخرة ، وإذا قيل له فى ذلك يتعملل بوجع الرجل أو صداع الرأس ، ولكن أراه يسعى كل يوم بعد

صلاة الفجر ماشيا على رجلية لزيارة قبر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، فلما رأته مرارا قلت له : يا فلان لم لا تحضر صلاة الجمعة وهي فرض عين ؟ فأجاب بأنه متأثر أو رأسه داخ أو مريض ، فأعدت القول فقلت : لم تذهب كل يوم ماشيا إلى زيارة قبر ابن عباس رضى الله عنهما ولا تتأثر ولا تسأم ؟ فأجاب بأن شيخه فلان أوصاه بأن لا يترك زيارة قبر الحبر فإنه منبع البركات ، وهذه الدولة التي نلتها كلها ببركة هذا الحبر ، فقلت : يا هذا اتق الله إن البركة إنما هي بيد الله وعندة جل جلاله لا عند أحد من الخواقات ، ورؤية البركة من غير الله وخصوصا من القبور وأصحاب القبور من شعار عبادة الأصنام والأوثان والمشركين ، ولكن لم يقبل نصيحتي ولم يلتفت إلى ماقلت ، وقال الوهابيون يقولون هكذا ، فقاطعتهم قائلا : هذا فراق بيني وبينك . فانظر يا أخى المؤمن إلى حال المسالمين وجهلهم ، وحال من يسكن في الحرم قد سخر منهم الشيطان ولعب بهم ، وأغفلهم عن أمر الله وأبعدهم عن فهم معاني كتاب الله والعمل به وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم اعلم أن الله تعالى لم يأمر عبادة المسالمين أن يتركوا الأشغال المعاشية ويجلسوا في المساجد معتكفين كما يفعله الجهلة وأهل البطالة من أهل الطرق والتكايا ، بل أمرهم بعد أداء فرائض الصلوات أن ينتشروا في الأرض ويطلبوا من فضل الله الرزق والمعاش ، ومن هذا قال بعض السلف : من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة برك الله تعالى له سبعين مرة . وكان عراك ابن مالك رضى الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف ، ثم وقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجمت دعوتك وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين ، رواه ابن أبي حاتم .

(واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) أى فى حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم ، وفى كل حالاتكم اذكروا الله ذكرا كثيرا ، ولا تشغلكم الدنيا عن الذى ينفعكم فى الدار الآخرة ، ولا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قياما وقعودا واضطجعا .

ومن فضل الله طلب العلم ، كما أن من فضل الله المال الحلال والرزق الحلال .
وأصل الذكر أن يذكر العبد أمر الله في كل شئونه ، فيأتيها موافقاً لأمره برعاية
حدوده ، قال سعيد بن جبير رضي الله عنه : الذكرك طاعة الله ، فمن أطاع الله فقد ذكره
ومن لم يعطه فليس بذاكر ، وإن كان كثير التسييح باللسان كما هو شأن كثير من
الدجالين المكارين ، وذكر الله حقاً سبب الفوز والفلاح في الدارين ، وموجب
لجمعية الظاهر والباطن (أَلَا يَذِكُرِ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) .

الآية السادسة والتسعون في سورة المنافقون : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَاهِبُوا
أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين أمراً بإيهم بكثرة ذكره ، وناهياً إيهم
عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذكر الله ، وأخبر تعالى أن من التهى وتلهى بمتاع
الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره ، فإنه من الخاسرين الذين
يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ثم حثهم ورغبهم على الإنفاق في طاعة الله
ومرضاته . وقد روى الترمذى في سننه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :
« من كان له مال يبلفه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة
عند الموت ، فقال رجل يا ابن عباس : اتق الله تعالى فإنما يسأل الرجعة الكفار :
فقال سأتلوا عليك بذلك قرآناً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَمُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَنَّ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ
فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا . وَاللَّهُ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ) . قال فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتين فصاعداً ، قال
فما يوجب الحج ؟ قال الزاد والراحلة . »

فيأيها المسامون لايشغلنكم الاهتمام بتدبير أموالكم وأولادكم ، والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكر الله تعالى : من الصلاة والزكاة والحج وسائر العبادات المذكورة المعبود . وذكر الله إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح ، والمراد هنا كل ذلك ، وبالله التوفيق .

الآية السابعة والتسعون في سورة التغابن : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَخَذَرُوهُمْ ، وَإِن تَعَفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين ، منبها إياهم ونخبرا أن بعض الأزواج والأولاد عدو الزوج والوالد ، فإنه بسببه يتلهى ويشغل عن العمل الصالح أو يرتكب بسببه بعض المحظورات من السرقة والغش والحيانات ، فلهذا قد أمر الله تعالى المؤمنين أن يحذروا من الوقوع بسببهم في المحظورات ؛ وكم من زوجة تحمل الزوج على قطع الرحم أو معصية ربه ، فلا يستطيع الرجل مع حبه لها إلا أن يطيعها .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما « أن رجلا أسلموا من أهل مكة فأرادوا أن يهاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم ، وقالوا لانصر على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة ، ثم لما هاجروا بعد مدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا الناس الذين سبقوهم أنهم قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم الذين منعوهم فأنزل الله (وَإِن تَعَفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) فأمرهم الله تعالى بالصفح عنهم والصفح .

فيأيها المؤمنون إنما الأموال والأولاد فتنة ، أى اختبار واقتلاء من الله تعالى .

خلقته ليعلم من يُطيعه ممن يعصيه ويقع بسببها الإنسان في العظام ومنع الحقوق وتناول الحرام (والله عنده أجر عظيم) .

وقد روى البزار بسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْوَالِدُ كَمَرَّةِ الْقُلُوبِ وَإِنَّهُمْ مَجْمَعَةٌ مَبْخَلَةٌ مَحْزَنَةٌ » وحيث إن الإنسان مبتلى بهذه الفتنة فقد اطف الله تعالى بعبده المؤمن فقال (فاتقوا الله ما استطعتم) أى جهدكم وطاقتكم (واسمعوا وأطيعوا) أى كونوا منقادين لما يأمركم الله تعالى به ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنةً ولا يسرةً ، ولا تتقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما أمرتم به ، ولا تركبوا ما عندهم نهيتهم وزجرتم ، واسمعوا وأمره ومواعظه وأطيعوه ، وأنفقوا مما رزقكم الله تعالى على الأقارب والمساكين وذوى الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة .

فيأياها المؤمنون كونوا على حذر واحتياط من أزواجكم وأولادكم وأموالكم واعملوا في معاملاتهم ، ولا تلقوا أنفسكم بسببهم إلى المهلكة ، وكم من مال أوقع مالكه في أنواع البلاء حتى في الدنيا ، فاتقوا كل ما يكون سبباً لمواخذة الله إياكم في تدبير أمورهم ، وترك تعليمهم أمور دينهم ، ولا ترتكبوا ما يخالف أمر الله تعالى من فعل أو ترك ، وأنفقوا أموالكم فيما أمركم الله تعالى بالإِنفاق فيه خالصاً لله تعالى وفي تربية أولادكم ، واتقوا الشح والبخل (ومن يوق شح نفسه) أى من يقه الله ويعصمه من بخل نفسه الذى هو الرذيلة المعجونة في طينة النفس (فأولئك) المحفوظون من الشح ، والسامعون لمواعظ الله ، والمطيعون لأوامره ، والمنفقون فيما أمر الله تعالى بالإِنفاق فيه (هم المفلحون) في الدارين ، والفائزون بالسعادتين ؛ اللهم وفقنا لما فيه رضاك .

الآية الثامنة والتسعون في سورة الطلاق : (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَبُّوَلَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ

وَيَمَلُّ صَاحِلًا يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا .

قد أمر الله تعالى العقلاء من عباده المؤمنين وأصحاب اللب وهم (الذين آمنوا) بالله ورسوله إيماناً صحيحاً بتقوى الله تعالى والحذر من غضبه وعقابه ، فخطبهم منادياً إليهم بيا ذوى الألباب والعقول السليمة الذين عرفوا ربهم فأمنوا به إيماناً صادقاً .

أى يأيها المؤمنون ذور الأفهام السليمة والعقول المستقيمة اتقوا الله ولا تكونوا مثل الذين خالفوا أمره وكذبوا رسوله ، وغيروا ما شرعه ، وابتدعوا فى دينه وعبادته فأصابهم ما أصابهم من بلاء الله وغضبه وعذابه ولعنته ، فياذوى الألباب الذين اتصفوا بصفة الإيمان الصادق (قد أنزل الله) تعالى (إليكم ذكراً) يعنى القرآن و(رسولاً) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الشرك والكفر والجهل والضلال إلى نور الإيمان والتوحيد والعلم ، وإنما وحّد الله تعالى لفظ النور وجمع الظلمات ؛ لأن الحق واحد وسبيله واحد ، وهو ما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقادياً وعملياً . وأما الظلمات والكفريات والشركيات فأنواعها كثيرة ، وطرقها متعددة كما قال الله تعالى : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) .

وأفادت الآية أن ذوى الألباب إنما هم المؤمنون بالله إيماناً صادقاً ، وأمّا غيرهم من الكافرين والمشركين والزنادقة فليسوا من ذوى الألباب وإن اخترعوا الصنائع العجيبة من السيارات والطائرات والقنابل الذرية والماكينات الجهنمية ، وحصلوا من الدنيا بالمليارات ، فإنهم من فرط جهلهم أعداء أنفسهم كما لا يخفى ، فهم كالشياطين الذين كانوا يعملون فى دولة سليمان عليه السلام من محاريب وتمائيل وجفان وقدرور .
راسيات ، وكالذين كانوا ينحتمون من الجبال بيوتاً ومصانع لهمم يخلدون ، فانتهوا بياذوى الألباب .

فإن الله تبارك وتعالى إنما يُخرج بكتابه المؤمنين العقلاء المتفكرين من الضلالة إلى الهدى ، ومن الباطل إلى الحق ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الكفر إلى الإيمان ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الشبهات إلى الدلالات والبراهين الواضحات ، ومن الغفلة إلى اليقظة ، ومن الأناجيد إلى الأناجيد بالله على حسب طبقاتهم ودرجاتهم وبقدر استعدادهم وأهليتهم في السعي والاجتهاد بعناية الله تعالى وتوفيقه ؛ اللهم اهدنا فيمن هديت يارب العالمين .

الآية التاسعة والتسعون في سورة التحريم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين آمراً بإيهم أن يحفظوا أنفسهم وأهليهم وأولادهم وأزواجهم مما يصير سبباً للدخول في نار جهنم ، ووقود وحطب تلك النار إنما يكون من الآدمي والحجارة المعبودة من الأوثان والأصنام والهياكل والقبب المبنية على قبور الأنبياء والأولياء وغيرها .

ولا شك أن الوقاية منها إنما تكون بالإيمان بالله ورسوله والعمل بمقتضاه ، وبتأديب الأولاد وتعليمهم الإيمان الصحيح والإسلام الصريح والإحسان والأخلاق الإنسانية والعمل بطاعة الله ، والاحترار عن معاصي الله ؛ فيأيتها المؤمنون اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله ، فتأمرهم بطاعة الله ، وتنههم عن معصية الله ، وأن تساعدوهم على ذلك ، فإذا رأيتم منهم معصية الله ، قد علمتم منها ، وزجرتهم عنها ، فالحق الواجب على المسلم أن يعلم أهله وأولاده وقرابته وعبيده ما فرض الله تعالى عليهم وما أمرهم بفعله ، وما نهاهم عنه .

ومما يفسر هذا ما رواه أبو داود والترمذي وأحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ ، فَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ

فَأَضْرِبُوهُ عَلَيْهَا» وكذا الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادة ، والله سبحانه هو الموفق .

وقد أخبر الله تعالى أن وقود تلك النار وحطبها ما يلقي فيها من جثث بني آدم والحجارة : الأصنام والأوثان التي تعبد وتَعْظَم لقوله تعالى : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَسَبُ جَهَنَّمَ) فالمشركون والكفار من وقود جهنم ، وكذا الأصنام المعبودة ، والأوثان المسجودة ، والقبب على القبور الماركوعة ؛ ويدخل فيه الذين يأمرون الناس بالسجود والركوع لهم ، أو النذر لهم ولأرواحهم بعد وفاتهم ، أو يأمرون من يريدونهم بأن يطلبوا حاجاتهم منهم ، متوجهين إلى قبورهم وقببهم ، فهؤلاء هم الطواغيت ، والطواغيت في النار (جَهَنَّمَ يَصَّوْنَهَا وَبئسَ القَرَارُ) .

فيأبها المؤمنون اتقوا الله ، وارحموا أنفسكم وأهلكم من الشراكيات والكفریات والضلالات والجهالات ، وكل ما نهى الله تعالى عنه ، وهذا يقتضى ويوجب على المؤمنين معرفة كل ما أمر الله تعالى به وما نهى عنه ، ولا شك أن هذا موقوف على معرفة معاني القرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فعليكم أيها المسلمون بالسعى والاجتهاد في تعلم القرآن وفهم معناه ، كي تقوا أنفسكم من نار الجحيم ، والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة ، والله الموفق .

الآية المتتمة للمائة فيها أيضاً : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُسْكَنَ لَكُمْ سَيِّمَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

قد نادى الله تعالى وخاطب عباده المؤمنين آمراً إياهم بالتوبة والأوب والرجوع إلى الله توبة ناصحة خالصة صادقة ، تمحو ما قبلها من السيئات ، وتلم شعث التائب وتجمعه ،

وتكلمه عما كان يتماطاه من الدفاعات ؛ وقد روى أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ أَنْ يَتُوبَ مِنْهُ ثُمَّ لَا يَعُودُ فِيهِ » ؛ فالتوبة النصوح هي أن يقلع عن الذنب في الحاضر ، ويندم على ما سلف منه في الماضي ، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل .

ثم إن كان الحق لأدعى رده إليه بطريقه ، والتوبة الصحيحة تجب ما قبلها ، كما أن الإسلام الصحيح يجب ما قبله .

فيأيتها المؤمنون توبوا إلى الله قبل الفوت ، فإنك لاتدرى متى تموت ولا بد منه ، فالبدار البدار ، والاستغفار دائماً آناً الليل وأطراف النهار ؛ فتوبوا أيها المؤمنون من هذه المذاهب الممتدعة المفرقة ، والطرق الوثنية المضللة ، والتوجه إلى القبور والأرواح ، والاستمداد من الأموات والروحانيات ؛ فأتركوا كل هذه الخرافات ، وارجعوا إلى العلم والعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتهدوا في استحصال العُدة والآلات الدفاعية بالاتفاق والاتحاد ، ولكنكم لاتتحدون ما لم تتحدوا في التوحيد والاعتقاد ؛ فجاهدوا أعداء الله تعالى وأعداءكم لتخليص البلاد ، عسى الله تعالى أن يفر ذنوبكم الماضية ، ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، فتخلصون في هذه الدنيا من برائين أهل الاستعمار واستعبادهم ، فتعمرون بلادكم وأوطانكم بشعائر دين الإسلام من إقامة حدود الله ورفع منار الدين ؛ وأما في الآخرة فيدخلكم الله تعالى بهذه الأعمال الصالحة جنات تجري من تحتها الأنهار لأن الله جل جلاله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وأما التوبة والاستغفار باللسان بلا رجوع عما كنتم عليه من الضلال فلا تنفع كما هو شأن كثير من المغرورين المغفلين من أهل الغفلة وإن ادعى أنه من أهل المعرفة ، فهؤلاء قد اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، وصلواتهم وأذكارهم مكاء وتصدية ، فتوتبتهم صورة بالاروح وعرض بلا ذات ، كمدفع بلا قبيلة وسيارة بلا بنزين ،

فماذا تنفع؟ هيئات هيئات اللهم أرنا الحق حقا ووقفنا لاتباعه ، وأرنا الباطل باطلا
وسهل لنا اجتنابه .

والعبد الضعيف راقم هذه الحروف حينما كنت في بلدة غولجة من بلاد الصين
كنت ألفت كتابا في التوبة والاستغفار وسميته [تحفة الأبرار في فضائل سيد
الاستغفار] وكان قد طبع هناك عام ١٣٥٠ هجرى، ونشر في الآفاق . فأسأل الله تعالى
التوفيق والثبات على الحق المبين والصراط المستقيم .

فهذه مائة آية قد ذكرتها وفسرتها على مايسر الله تعالى ، مقتبسا من تفاسير
السلف الصالحين والعلماء المحققين رضى الله عنهم وأرضاهم ، وما شا كلها من الآيات
كثيرة على هذا المعنى . قد خاطب الله تعالى بها عباده المؤمنين كلهم ، وناداهم وأمرهم
ونهاهم وبشرهم وأنذرهم وزجرهم وخوفهم ، فقال ياأيها الذين آمنوا ، ولم يقل ياأيها
العلماء ، أو ياأيها العرب ، أو ياأيها السادات والأشراف ، ولكن قد خاطب كل
المؤمنين بأنتم وكم وكنتم ، فإذا كل المؤمنين سواء في التكليف وكلهم مخاطبون بهذه
الخطابات الإلهية ، كما أن كل البشر مخاطبون بخطابات ياأيها الناس ويابنى آدم ،
فيهذا قد توجه الخطاب إليهم ، وكل واحد منهم أهل لفهم ذلك مادام عاقلا بالغا ،
ولأنهم لولم يكونوا أهلا لما خاطبهم الله تعالى ، ولما كلفهم ؛ فلا يعذر أحد بالجهل ،
سواء كانوا عربا أو عجماء ، فارسيا أو هنديا ، جاويا أو صينيا ، روميا أو حبشيا ، جابانيا
أو أمريكانيا أو أى جنس كان ؛ فما يقوله أو يتقوله كثير من المؤلفين وقلدهم عامة
ذوغاء المسلمين بأنهم ليسوا أهلا لفهم معنى القرآن والعمل بمقتضاه وإنما يقرأ القرآن
للتبرك وتحصيل الثواب فقط ولو بلا فهم ، لأن فهم معانى القرآن يختص بالأئمة
المتجهدين وهم قد انقرضوا منذ تاريخ أربعمائة ، فبعد ذلك العصر انسد على الناس
باب الفهم والاجتهاد ، أى باب رحمة الله وفضله ، فالتاس قد صاروا محرومين عن فهم
كلام ربهم كأنهم قد مسخخوا عن الإنسانية إلى الحيوانية ، وعن الأدمية إلى البهيمية
وانساختوا عن صفة العلم والإيمان إلى سفاسف الفلسفة وترهات الصوفية ، فبذلك

صاروا محرومين من السعادتين ، وقد صاروا محكومين ومرذولين ومخذولين تحت حكم الكفار ، فيخدمونهم آناء الليل وأطراف النهار ، كما لا يخفى على من له أدنى عقل سليم أو فهم مستقيم .

فهؤلاء المحرومون وإن ادعوا العلم والفضل والكمال وتلقبوا بالعلامة المحقق والفهامة المدقق ، أو الأملحى اللوذعي ، أو الشاعر الفريد الفرزدقي ، لكنهم لا يعلمون الإله ولا معناه ، فحيث لا يعرفون معنى الإله فقد اتخذوا إلههم هواهم وعبدوا غير الله وهم لا يشعرون ، وأشركوا بالله رب العالمين شركا صريحا كبيرا ، بل أكبر وهم وإن قالوا الله رب العالمين ، ولكنهم يعتقدون أن الروحانيات لها حق التربية ، فتربى من يدعوها وتعين من يستعين بها ، وكذا أرواح الأنبياء والأولياء يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون ؛ فهؤلاء المحرومون لو استعملوا عقولهم وفكرهم التي صرفوها في فهم فلسفة أفلاطون ودراسة حكمة أرسطو ومذاكرة ديوان ابن الفارض والفارابي والمتنبي ، وما أثنه الغير المعصومين من المؤلفات الغامضة والأغلوطات والألغاز والمعتميات الغاوية إلى فهم كتاب رب العالمين وتدبر معانيه كما أمر الله جل جلاله لوصولوا إلى الحق الصريح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونالوا رضى الله تعالى ورضوانه ، فكانوا من أهل السعادتين في الدارين .

وما علم هؤلاء المحرومون أنهم إن كانوا مؤمنين ، فهم داخلون البتة في خطاب ونداء يأيها الذين آمنوا ، ومكلفون بامتثال هذه الأوامر ، والامتثال لا يتحقق إلا بالفهم ولكنهم كأنهم لما نسوا أمر ربهم ، وفهم كلام خالقهم ، فأنساهم أنفسهم وأهمل أمرهم وشأنهم جزاء وفاقا . وهذه الآيات صريحة في إيجاب الله تعالى على المؤمنين ، خصوصا وعلى عامة البشر عموما تعلم لغة القرآن ومعرفة كلام العرب ، ولا يُعذر أحد بالجهل بها ، لأن الإنسان قابل للتعلم ومعرفة اللغات والصنائع والأشياء كلها ،

فتى تساهل وقصر في التعلم فهو المقصّر المسئول في الدنيا والآخرة ، وكيف لا يجب على العبد معرفة كلام مولاه وخالقه وربّه ؟ فاعتبروا يا أولى الأبصار .

فصل

اعلم أن اليهود عندهم التوراة ، والنصارى عندهم الإنجيل وهم يقرءونها تعبيداً في معابدهم ، ولكن لا يعملون بأمرها ونهيها ، فهل نفهم الإنجيل والتوراة ؟ كلا . بل صاروا ملعونين وضالين ومغضوباً عليهم بعد أن قامت حجة الله عليهم ، كما أخبر الله تعالى عن ذلك في سورة المائدة : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ اسْتَمِعُوا عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) ؛ فمن يتأمل هذه الآية يعلم يقيناً أن حفظ الكتاب ودراسته بدون فهم وعمل اعتقادياً وعملياً ليس بشيء ، بل هو وبال عليه وتضييع للعمر والوقت بلا ثمرة .

ومن وزن حال المسلمين اليوم وقبل اليوم ، فإنهم وإن حملوا القرآن وحفظوه غيباً ، وحسنوا خطه ونقشه ، وزخرفوه بأنواع الزخارف والنقوش ، ولكنهم عن معانيه غافلون ، وعن تدبر ما فيه فارغون ، وعن الاعتقاد والعمل بما فيه بعيدون ، والعبرة للمسلم في هذه الآية أن يعلم أن المسلمين لا يكونون على شيء يعتقد به من أمر الدين حتى يقيموا القرآن ، وما أنزل إليهم من رحمة فيه ويهتدوا بهدياته ، فحجة الله تعالى على جميع عباده واحدة ، فإذا كان الله تعالى لا يقبل من أهل الكتاب قبلنا تلك التقاليد التي صدتهم عما عندهم من وحى الله تعالى على ما كان طراً عليه من التحريف بالزيادة والتقصان ، فإن لا يقبل منا مثل ذلك مع حفظه لكتابنا أولى ، والناس عن هذا غافلون وبالانتساب إلى المذاهب راضون ، وبهدى أئمة الدين لا يقتدون ، وإلى حكمة الدين ومقاصده لا ينظرون (ويحسبون أنهم على شيء إلا إنهم هم الكاذبون) ، وأفاد الله تعالى أن الانتساب إلى الدين لا يفيد في الآخرة إلا بإقامة كتاب الدين .

فصل

اعلم أن الأمة إذا تركت العمل بكتابتها المنزل من ربها اعتقاداً وعلاقت قلبها فصارت ملعونة كما قال الله تعالى : (فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) الآية (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » الآية . ونقض الميثاق يَدْنَسُ النفوس ويفسد الفطرة ويُقسي القلوب ، فلا تؤثر فيها الحججة والموعظة فبسبب ترك العمل بالكتاب يقع التفرق في الدين ، وتحدث العداوات والبغضاء ، والمسلمون من منذ ما تركوا التدبر في كلام ربهم وأهملوا العمل به حق العمل ، وكذا تركوا العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما وافقت هواهم وشهوتهم ، تفرقت الآراء وتعددت المذاهب والطرق ، وحدثت الشريكيات والكفریات والبدع والضلالات ، فعادى بعضهم بعضاً فتباغضوا وتدابروا وتقاتلوا إلى أن صاروا طعمة لثعابين الإفريج والروس والظليان والبلاشفة والأمريكان وهم لا يشعرون ، ومن سكرتهم لا يفيقون ، وعن غيرهم لا يرجعون ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

فيأيها المسلمون لانفتروا بمجرد تلاوة القرآن بالافهم معناه والعمل بمقتضاه ، وأنتم إنما تقيمون الحججة على أنفسكم ، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم « الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ » رواه مسلم . وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم « رَبِّ تَالِ لِقُرْآنٍ وَالْقُرْآنُ يَلْمُنُهُ » فحيث ترك المسلمون العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تركهم الله تعالى بحيث تسلط عليهم الكفار ، واستنوت على أوطانهم الفجار ، فحكمت عليهم بما شاءت من قانون جبار ، وأذلتهم تذليل الحمار للحمار ، وهذا هو جزاؤهم في هذه الدار ؛ وأما جزاء إعراضهم عن العمل بالقرآن واتخاذهم الأرباب من دون الله من الأحيار والرهبان واتخاذهم القبور وأصحابها معبودا كالأوثان ،

واستغاثتهم بالأرواح ، ونذرهم للجن والشيطان ، وتباغضهم وتدابره لأهل التوحيد والإيمان ، وتركهم الجهاد في سبيل الله وموالاتهم لأهل الخذلان ، فهو تعالى العليم الخبير يجازيهم يوم الدين بالعدل ، وهو جل جلاله قد أخبر أن جزاء المشركين والكفار النيران ، فعمود بالله منها ومن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ومن شر شياطين الإنس والجان .

فصل

في ذكر الأحاديث النبوية الواردة الثابتة في الصحاح والسنن والمسانيد

المعتبرة في لزوم فهم معنى الكتاب والسنة والعمل بموجبها

وذلك أن الله تعالى أمر رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ببيان ما أنزله الله تعالى إلى الناس فقال جل جلاله : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) الآية ، وهو صلى الله عليه وسلم قد بين بيانا واضحاً ؛ فالأحاديث النبوية كلها قولية كانت أو فعلية بيان لما في القرآن وتفسير له كما لا يخفى .

(الحديث الأول) مارواه الإمام ابن ماجه في سننه والإمام البيهقي في شعب الإيمان

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ » . وواضع العلم عند غير أهله كقلد الخنازير الجواهر واللؤلؤ والذهب ؛ ولا شك أن العلم المفروض طلبه إنما هو علم التوحيد والحلال والحرام ، وهو المبين في الكتاب والسنة لا غير ، فإذا يجب على كل إنسان مسلم معرفة معاني القرآن والحديث ، وخصوصاً ما يتعلق بالتوحيد ، ثم الحلال والحرام ، ولا يُعذر أحد بتركه والجهل به ، وهو فرض عين بلا خلاف ، وكذا علم ما يحتاج إليه الإنسان في حياته ومعاشه ؛ فمن ذلك الصنائع الضرورية ، ومعرفة لغة العرب ، وإعداد آلات الجهاد والدفاع ، وحفظ دار الإسلام ؛ وفي رواية ابن عبد البر : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » .

وفي مسند الفردوس : « طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « طَلَبُ الْعِلْمِ سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ » الحديث . ولاشك أن هذا المفروض إنما هو علم الدين من التوحيد ، ومعرفة رب العالمين بصفاته جل جلاله ، والحلال والحرام والجهاد ، وما تتوقف عليه الحياة الإنسانية دنيوية وأخروية ، والمتكفل بهذه العلوم كلها إنما هو القرآن والحديث النبوي ؛ وأما الاشتغال بالفلسفة والأشعار فخرعبات وترهات ، وكذا ما يدعيه أكثر متصوفة الزمان كما لا يخفى .

(الحديث الثاني) ما رواه الترمذى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَالْفَرَائِضَ وَالْقُرْآنَ وَعَلَّمُوا النَّاسَ فَإِنِّي مَقْبُوضٌ » والفرائض جمع فريضة ، وهي كل ما أوجبه الله تعالى على عباده من علم التوحيد وكل ما يتعلق بالدين ، وتعلموا القرآن وافهموا معناه وعلموه الناس ، ولا شك أن العلم مقدم على العمل ، لأنه تعالى يقول : (فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) قال التوربشني : الظاهر أن المراد ما افترضه الله تعالى على عباده كأنه قال : تعلموا الكتاب والسنة الخ ؛ وذكر الجلال السيوطي في الجامع الصغير ما يؤيد هذا ، وهو : « تَعَلَّمُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنَّهَا مِنْ دِينِكُمْ ، وَخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي » فتعلم كيفية الحج والصلاة وصفاتها من الفروض العينية على كل من وجب عليه الحج ، وعلى كل من وجبت عليه الصلاة .

(الحديث الثالث) ما رواه الترمذى والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَأَقْرَبُوهُ » الحديث وروى أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ وَتَعَاهَدُوهُ وَتَعَنُّوْا بِهِ » ، أي احفظوا القرآن وتفهّموه واقتموه والزموه ، لأن المقصود من القرآن فهمه والعمل بموجبه ، لأنه قد كبير مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ، وأن تقولوا بلا دليل : هذا حلال وهذا

حرام لتفتروا على الله الكذب ، والعمل بلا علم فاسد ، كما أن العلم بلا عمل باطل ، بل حجة على صاحبه ، وخزي وندامة يوم القيامة ، ولأن العلم كالشجرة ، والعمل به كالثمرة ، فإذا كانت الشجرة لا ثمرة لها فلا فائدة فيها وإن كانت حسنة المنظر .

(الحديث الرابع) مرواه أحمد والترمذي وابن ماجه والدارمي عن زياد بن ليبيد وأبي أمامة رضی الله عنهما قالوا : « قد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً هائلاً فقال ذلك عند أوان ذهاب العلم ، قالت يارسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ، ونقرئه أبناءنا ، ويقرئه أبناءنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تسكنتك أمك زياد ، إن كنت لأراك من أفقر رجُلٍ في المدينة ، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل ولا يعملون بشيء مما فيها » قال علي القارى في مرقاة المفاتيح : أى فكالم تقدم قراءتهما مع عدم العلم والعمل ، فكذلك أنتم ، والجملة حال من يقرءون ، أى يقرءون غير عالين بمعناها ، ولا عاملين بموجبها ، فقيهه تنزيل العالم الذى لا يعمل بعلمه منزلة الجاهل ، بل منزلة الحمار الذى يحمل أسفاراً ، بل أولئك كالأنعام بل هم أضل .

(الحديث الخامس) مرواه البيهقي في شعب الإيمان والخطيب في المشكاة عن علي رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه ، مساجدهم عامرة ، وهى خراب من الهدى ، ولماؤهم شر من تحت أديم السماء ، من عندهم تخرج الفينة وفيهم تعود » ، أى لا يبقى من علوم القرآن وآدابه إلا أثره الظاهري من قراءة لفظه ، وكتابة خطه بطريق الرسم والعادة ، لا على جهة تحصيل العلم والعمل والعبادة ؛ فالقراء إنما يراعون التجويد ، وحفظ مخارج الحروف ، وتحسين الألحان فيه ، دون التفكير في معانيه ، والامثال

بأوامره ، والانتهاه عن نواهيه ، وأكثر الناس ساهون عن الصلاة هم يراءون
ويمنعون الماعون .

قال الإمام البخارى فى جامعہ الصحيح : العلم قبل القول والعمل ، لقوله تعالى :
(فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ - وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ
أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يُرِدِ
اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » أى يفهمه والمراد به علم الدين ، وما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم من العقائد والأعمال والأقوال والأخلاق « وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ » ، وروى
الطبرانى عن معاوية رضى الله عنه مرفوعاً : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَعَلَّمُوا ، إِنَّمَا الْعِلْمُ
بِالتَّعَلُّمِ ، وَالفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » ، أى
لا يحصل العلم المعتد به النافع إلا المأخوذ عن الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات على
سبيل التعلّم والتعليم ، لا بالكشف والإلهام ، أو الخيال والمنام ، ولا بالفلسفة والسفسطة
ولا بالمنطق والشمسية ، وحكمة العين والشفاء والإشارات ، كما يدعيه كثير ممن غرق
فى رذعة الفلسفة أو سفساف الصوفية .

قال العلامة العيني فى عمدة القارى : لاشك أن من أراد شيئاً تعلم علم ذلك
الشيء ثم يعمل به ، فالعلم مقدم على العمل بالذات ، كما أنه لا عمل إلا بالنية ،
ولا توجد النية إلا بالعلم ، لأن النية إنما هى قصد فعل الشيء بعد العلم به كما لا يخفى .
وأفادت الآية الكريمة أن التوحيد مما يجب العلم به ، ولا يجوز فيه التقليد ، فإذا
لا بد لكل طالب نجاته وسعادة من طلب علم الكتاب والسنة ، وهذا لا يحصل
إلا بتعلم لغة الكتاب والسنة ؛ فيجب على كل البشر عموماً والمسالمين خصوصاً تعلم
معنى الكتاب والسنة ، ومعرفة ما معرفة صحيحة كما لا يخفى .

(الحديث السادس) ماروى البخارى ومسلم وأصحاب السنن عن جابر بن عبد الله
رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَيْنَ أَحَدٌ

قَبْلِي ، فَذَكَرَ مِنْهَا : وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ
عَامَّةً » أي العرب والعجم والأسود والأحمر . قال الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
كَافَّةً لِلنَّاسِ - وَ - قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) فالواجب على
المرسل إليهم معرفة كلام رسول الله إليهم ، وإلا فلا يحصل من الإرسال شيء ؛
فيا أخى المسلم إن كل عاقل يعرف أن رعايا الحكومات يتشبهون بتعلم لغات
حكوماتهم ، ويعلمون أولادهم إياها ، لما يعلمون أنهم ينتفعون بها في معاشهم
ومعاملاتهم وحياتهم الدنيوية ، وكذا يحصلون بها بعض المناصب العالية والدرجات
السامية في هذه الحياة القصيرة الفانية ؛ فإذا كان الأمر هكذا ، أليس الأئزم الأوجب
الأنتفع عاجلاً وآجلاً تعلم كلام رب العالمين تعلماً تاماً حتى يعرفوا مقاصد ربهم الحكيم
ومرضاة مولاهم الرؤوف الرحيم ، فيعملوا به لينالوا العز والشرف في الدنيا والآخرة ،
ويفوزوا بدولة الرضا والرضوان والرحمة في دار النعيم ، والخلود الدائم أبد الأبدين ؛
فانتبهوا بأيها المفتنون والمغرورون ، إما بزخارف الدنيا الفانية ، وإما بدجل الدجالين
ووساوس الشياطين ؛ اللهم نور بصرنا وبصيرتنا ، واهدنا صراطك المستقيم ، آمين
يا مجيب السائلين .

(الحديث السابع) حديث جبريل الذي رواه الشيخان وأصحاب السنن عن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيه آخر ، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » فاعلم أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » ولم يقل يروى لكم دينكم ، ليفيد
بذلك أن المقصود العلم والفهم ، كما أن الإيمان التصديق ، وهو لا يحصل إلا بالعلم
بالمؤمن به ، فإذا يجب العلم على كل مؤمن ومسلم ، فلا يصح إيمانه ولا إسلامه إلا بالعلم ؛
علم ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنبه .

(الحديث الثامن) ما رواه ابن الأنباري في كتاب الوقف والسيوطي في الجامع
الصغير عن أبي جعفر الأنصاري رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « أَعْرَبُوا السَّكَّامَ كَيْ تَعْرَبُوا الْقُرْآنَ » وروى الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن قال الحافظ أبو يعلى بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ وَالتَّمَسُّوا غَرَائِمَهُ » وحيث إنه يجب معرفة معانى القرآن ، وذلك موقوف على معرفة لغة العرب معرفة كاملة ، لأن ما يتوقف عليه الواجب واجب كما لا يخفى .

والهبد الضعيف قد بينت هذا الأمر في رقم ٩٥٥ من كتابى [حبل الشرع المتين] فعمليك به .

(الحديث التاسع) ما رواه فى شرح السنة والنورى فى أربعين عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ » . فإذا لابد لكل من يريد أن يكون مؤمناً بالله ورسوله وينال ما وعد الله ورسوله المؤمنين أن يعلم كل ما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين والشرع ؛ وأما من لم يعلم ذلك فكيف يتبعه ؟ وإنما يتبع هذا الرجل من يظنه إماماً أو يعتقد أنه عالمٌ من غير معرفة دليل ذلك الغير ، ومن كان حاله هكذا فهو قد اتخذ ذلك الغير أرباباً من دون الله ، كما هو شأن كثير من مقلدة المذاهب وأصحاب الطرق فتنبه .

(الحديث العاشر) ما رواه رُزَيْنُ والحطيب فى المشكاة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « مَنْ تَعَلَّمَ كِتَابَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبَعَ مَا فِيهِ ، هَدَاهُ اللَّهُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الدُّنْيَا وَوَقَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُوءَ الْحِسَابِ » وفى رواية قال « مَنْ اقْتَدَى بِكِتَابِ اللَّهِ لَا يَضِلُّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى » ويؤيده ما رواه مالك فى موطنه مرسلًا عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَرَكَتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمُ بِهِمَا : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ » فأفاد رضى الله عنه أن تعلم كتاب الله وفهم معناه مقدم على الاتباع لأن الاتباع موقوف على معرفة ما يتبعه ؛ فهذا يوجب على كل

مسلم تعلم كتاب الله وسنة رسوله ومعرفة معانيها ، ولكن الأسف أن عامة المسلمين تركوا تعلم كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذين تعلموا القرآن أو حفظوه فإنما تعلموا قراءته فقط وحفظوا حروفه وألفاظه من غير معرفة بمعناه .

فحيث إنهم جاهلون بالمعنى تراهم قد خالفوه اعتقاداً وعملاً فصار القرآن حجة عليهم كما لا يخفى على كل من له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد ، ويقولون الحمد لله رب العالمين ثم يقولون إن الأرواح تربي ويقرون (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ثم يركعون ويسجدون لأكابريهم عند الملاقاة وينذرون للروحانيات وأهل القبور بل الجن والشيطان ويستعينون بأهل القبور ويستمدون من الأرواح أرواح مشايخهم وعبد القادر الجيلاني ، أليس هؤلاء قد خالفوا ما قرءوا لأنهم جاهلون بمعنى ما تلاوا ، ومحرومون من الانتفاع بكلام رب العالمين ، وبعيدون عن سنة سيد المرسلين ، فلهذا تراهم قد ضلوا وأضلوا ، وإن ادعوا أنهم مسلمون ، ولكن إسلامهم لفظي فقط أو إسلام جغرافي فتدبر .

(الحديث الحادي عشر) ما رواه الشيخان عن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي » وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النَّاسُ مُعَادِنُ كَمَا عَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا » وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ عَنَّهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَالدِّ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » فهذه الأحاديث الثلاثة صريحة في أن الخير كل الخير ، والسعادة كل السعادة ، والشرف كل الشرف في التفقه في الدين ، وفقه الدين وعلمه إنما يؤخذ من الكتاب والسنة ، ولا اعتبار هنا للرأي والهوى والتفلسف ، لأن الدين ما يُدان به في يوم

الدين وذلك لا يكون إلا عند الله فلا يُعرف إلا بأخبار الله تعالى إما في كتابه القرآن أو ببيان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا مدخل للعقل والقياس هناك ؛ وأهل الضلال ما ضلوا إلا بقياسهم رب العالمين بالخلوقين ، فقاسوا الله بالملوك ، وقاسوا عالم البرزخ بهذا العالم ، وقاسوا الغائب بالشاهد ، فضلوا وأضلوا ، فاستحقوا غضب الله تعالى وصاروا من المحرومين فتدبر .

(الحديث الثاني عشر) ما رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تَفْهَمَ عَنْهُ ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا » فقد ظهر من هذا الحديث أن المقصود من الكلام إنما هو الفهم والإفهام ، فالواجب على كل مكلف الفهم والإفهام ، ولأجل تعليم العباد أنزل الله القرآن ، فمن لم يفهم فليس من بنى الإنسان ، بل هو حيوان فى صورة إنسان .

(الحديث الثالث عشر) ما رواه الترمذى وابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ » لأن الفقيه لا يقبل إغواءه ، ويأمر الناس بالخير والتوحيد والاعتقاد على الله وحده ، والعمل بكتابه واتباع سنة نبيه ، ويصونهم عن إغوائه ببيان الصراط المستقيم ، وإيضاح صراط أهل الجحيم من دعاء غير الله أيًا كان ، وعبادة غير الله أيًا كان ، والاعتقاد على غير الله أيًا كان ، وتقليد غير المعصومين فى الدين والتقول على الله وعلى الرسول بالظن والتخمين ، ولا يخفك أن إمام الفقهاء على الإطلاق إنما هو سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بعده أبو بكر الصديق ، ثم بعده عمر الفاروق رضى الله عنهما ، الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا لَمْ يَكِ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فِجًّا فَطُّ إِلَّا سَلَكَ فِجًّا غَيْرَ فِجِّكَ » وهو الذى قال حينما حج وأراد طواف البيت حينما وصل إلى الحجر الأسود : إني

أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبّلتك ، فقَبِل اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم واتباعاً له ، وهو الذى أمر بقطع شجرة الرضوان التى كانت فى الحديدية وذكرها الله تعالى فى كتابه ، وقد جلس النبي صلى الله عليه وسلم تحتها وأخذ البيعة من أصحابه هناك ؛ وإنما قطعها حينما رأى الناس يبحثون عنها ليتبركوا بها ، وهذا هو الفقيه الذى هو أشد على الشيطان من ألف عابد ، ثم من الفقهاء عبد الله بن مسعود وعثمان وعلى وحذيفة وسائر الصحابة رضى الله عنهم وأرضاهم ، ثم تابعوهم بإحسان ؛ ومن هذه الأمة الإمام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وابن قيم الجوزية ومحمد بن عبد الوهاب النجدى ، وأمثالهم ممن أنعم الله تعالى عليهم بالعلم النافع والعمل الصالح ، جعلنا الله تعالى منهم وحشرنا فى زميرتهم ، فهؤلاء هم فقهاء ملة الإسلام وهداة الأنام ، وهم وإن كانوا قليلين عدداً ، ولكنهم كثيرون درجة ورفعة عند الله تعالى ، وأما غيرهم من أدعياء العلم والدين والزهد والتقوى ، فهم وإن سوتوا الدفاتر ، وألقوا الأساطير ، وصنفوا الكتب ، ولكنهم مخلطون ، ولعقيدة الأنام مخربون ، قد ملأوا الدنيا بالخرافات ، وأفسدوا العقول بالترهات والخيالات ، ولقبوها بالتصوف ، وزينوها بالتفلسف ، فصار التقىّ عندهم من يدعو غير الله ، ويعبد من دون الله ، وينذر لغير الله ، ويرجو غير الله ، ويخاف غير الله ، مسمياً إياه بالأقطاب والأبدال والنجباء والأوتاد ورجال الغيب ، فبذلك أشركوا بالله شركاً أكبر وهم لا يشعرون ، وقد لعبت بهم الشياطين وهم لا يفهمون ، وقد حصل إبليس مقصده منهم بقوله (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) ولكن قليل من عباد الله الشكور المخلص ، اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين والموحدين الشاكرين .

كل جمع تجمّعوا وبنقضى تحدّثوا

لا أبلى بجمّهم كل جمع مؤنث

أولئك آياتى فجئنى بمثلها إذا جمعنا يا عنود المباحث

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم وطول اختبارى صاحباً بعد صاحب

فلم ترني الأيامُ خلاَّ يُسرِّني مباديه إلا ساءني في العواقب.

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهديان من قيل وقال
فقتل من لقاء الناس إلا لأخذ المسلم أو إصلاح حال
وخلان الزمان بكل حال جواسيسُ العيوب بكل حال

فصل

في أقوال الصحابة الكرام والتابعين لهم باحسان رضي الله عنهم في لزوم فهم معاني القرآن على كل مسلم من أي جنس كان عرباً أو معجباً شرقياً أو غربياً ، ولا يُستثنى منه إلا الصبي الغير البالغ والمجنون الذي لا يعقل أصلاً لأنه لا يتوجه عليهما الخطاب ، ولا فرق بين الذكر والأنثى .

وقد ذكر الحافظ محمد صالح الفلاني المتوفى عام ١٢١٨ هجري في كتابه [إيقاظ همم أولى الأبصار] ص ٨٠ مانصه : قال حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر : طلب العلم درجات ؛ فأول العلم حفظ كتاب الله عز وجل وتفهمه وكل ما يعين على فهمه من لسان العرب ، ثم النظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يصل الطالب إلى فهم مراد الله تعالى في كتابه ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق أن يُبلغوا السنة والفرائض واللحن ؛ يعني النحو كما يتعلم القرآن .

وعن أبي عثمان قال : كان في كتاب عمر رضي الله عنه : تعلموا العربية فتفهموا في السنة . وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : من حفظ القرآن عظمت قيمته ، ومن طلب الفقه نبيل قدره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في النحو رقق طبعه ، ومن لم يصن نفسه لم يصنه العلم ، ومن عارض السنن برأيه فهو ضال ومضل .

واعلم أن القرآن والسنة هما الأصل والمعيار والميزان ، وليس الرأي والقياس
معياراً على الكتاب والسنة ، ومن جهل الأصل لم يصب الفرع أصلاً .

وروى في جواهر الأدب أنه روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان
يقول : اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة
بمعانيه والنظر في عجائبه والعمل بذلك ما بقيت إنك على كل شيء قدير .

قال الحافظ ابن الجوزى فى كتابه [تلبس إبليس] : إن من تلبس إبليس أنه
قد شغل القراء بتحسين القراءة والاشتغال بالشاذ طول عمرهم مع الغفلة عن المعانى
وفهمه والعمل به . قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : أنزل القرآن ليُعمل به فاتخذ
الناس تلاوته عملاً ؛ يعنى أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به .

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره : (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا
هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) فمن هجرانه ترك الإيمان به ، ومن هجرانه ترك تدبره وتفهمه ،
ومن هجرانه ترك العمل به وترك امتثال أمره وترك اجتناب زواجره ، ومن هجرانه
العدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة ومذهب
مأخوذ من غيره ، والصحابة رضی الله عنهم كانوا يقرءون ويفهمون فيعملون لأن
العمل بلا فهم وعلم متعذر .

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي فى الفصل الثالث
من [قواعد العقائد من إحياء علوم الدين] : إن عصابة السنة وأهل الحق الذين حفظهم
الله تعالى عن زيغ الزائغين وضلال الملحدين ، ووقفهم للاقتداء بسيد المرسلين صلى
الله عليه وسلم ، ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين ، هم تحققوا واتفقوا على أن
النطق بما تُعبَّد به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول
إن لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول ، وقد
عرفوا أن كبرى الشهادة على إنجازها تتضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته

وإثبات أفعاله ، وإثبات لامعبود بحق إلا هو وحده لا شريك له ، وإثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأن مخالفته توجب تكذيبه فتنبه .

قال الإمام محيي السنة البغوي في تفسيره : إن الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده ومعرفة معانيه فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه أيضاً ؛ فقد تبين أن فهم معاني القرآن والحديث والتفهم لها واجب ، لأنه لا يصح العمل إلا بعد العلم ، والعلم لا يحصل إلا بالفهم والتفهم ، والقرآن وإن كانت تلاوته عبادة مطلوبة يتعبد بها ، ولكن المقصد الأصلي منه الفهم والعمل ، فمن يتلوه ولا يفهم معناه ولا يعمل به فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، أو كمثل اللون بلا طعم ولا رائحة طيبة ، أو كمثل بندقية أو مدفع بلا قنابل ولا رصاص ، أو كمثل سيارة بلا بنزين فتنبه .

قال الجلال السيوطي في النوع الحادي والخمسين من كتابه [الإتيقان] : روى البيهقي وأبو عبيد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَأَوْعِهِ سَمْعَكَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَا مَرُوبِهِ أَوْ شَرُّهُ يَنْهَى عَنْهُ » .
وأخرج الترمذي وابن ماجه وأحمد عن علي رضي الله عنه : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَبْطَرَهُ فَأَحَلَّ حَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ » . وعن عائشة رضي الله عنها : « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَسَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » .

ثم ذكر الجلال في النوع السابع والسبعين منه : اعلم أن من المعلوم أن الله تعالى إنما خاطب خلقه بما يفهمونه ، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه وأنزل كتابه على لغتهم . وقال الإمام ابن تيمية : يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه ، فقوله تعالى (لِيُتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) يتناول هذا وهذا ، وقال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما رضي الله عنهما أنهم كانوا إذا تعلموا

من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً . وأقام ابن عمر رضي الله عنهما على حفظ البقرة ثمان سنين ، أخرجته في الموطأ لأنه تعالى قال (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) وقال (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن ، وكيف لا يجب فهم كلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم وديناهم الخ .

فصل

في أقوال علماء أصول الفقه من أهل المذاهب الأربعة المشهورة كالحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية وأهل الحديث من علماء أهل السنة والجماعة . شكر الله تعالى سعيهم ورحمهم الله تعالى رحمة واسعة وأدخلهم في فردوس الجنات في لزوم فهم معنى القرآن الكريم والحديث النبوي على كل مكلف من المسلمين ، وأنه لا يُعذر أحد في ترك ذلك مادام عاقلاً بالغاً ، والعباد كلهم مكلفون بمعرفة الله وتوحيده والإيمان به و برسوله ؛ كما أن المسلمين كلهم مكلفون بفهم معاني الكتاب والسنة والعمل بمقتضى ذلك ، فأسأل الله تعالى الكريم الوهاب أن يوفقنا لذلك بفضلِهِ ومنه ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال الشيخ موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة الحنبلي المقدسي في كتابه [روضة الناظر وجنة المناظر] ص ١٤٧ ج ٢ : ماورد من خطاب مضافاً إلى الناس والمؤمنين دخل فيه العبد لأنه من جملة من يتناول اللفظ ويدخل النساء في الجمع المضاف كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ - وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ سَجِيماً أَيْهُ الْمُؤْمِنُونَ) و (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) ونحو ذلك يتناول العبد والمرأة لأنهما من الناس والمؤمنين والأمة والمكلفين ، ولفظ الناس والبشر والإنسان وضع للعموم ، فيتناول الذكور والإناث والعبد والأمة والصغير ، وخروج العبد والأمة

والصغير والنساء عن بعض التكاليف لا يوجب رفع العموم فيه ؛ كالمريض والمسافر والحائض ؛ وأكثر خطاب الله تعالى في القرآن بلفظ التذكير كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا - و- يا عبادي الذين أسرفوا - وهدى للمتقين - وبشرى المؤمنين) والنساء يدخلن في جملة ، وذكره تعالى لمن بلفظ مفرد تبييها وإيضاحا لا يمنع دخولهن في اللفظ العام الصالح لمن ، وما من عموم إلا وقد تطرق إليه التخصيص إلا اليسير ؛ فالعام إذا دخله التخصيص يبقى حجة فيما لم يخص عند الجمهور لأن الصحابة رضوا الله عنهم كانوا يتمسكون بالعمومات فتدبر الخ .

وفيه أيضا ص ١٥٧ ج ٢ : اللفظ العام يجب اعتقاد عمومته في الحال ، ولفظ العموم يفيد الاستغراق ، ولا يجب البحث عن المخصص ؛ وإذا ظهر المخصص فلا يسقط قيام الحجة بالعام ، ثم يجب اعتقاد عمومته في الحال والزمان ما لم يرد نسخ وكذلك في الأعيان ، ولا نعلم خلافا في جواز تخصيص العموم ، ويستحيل خطاب وتكليف من لا يفهم كالصبي والمجنون .

وفيه أيضا ص ٣٣٢ ج ١ : والأمة كلها متمبدة بالنصوص والأدلة القواطع ، معرضون للعقاب بمخالفتها الخ .

وفيه أيضا ص ٩٧ ج ٤ : الأمر لجماعة يقتضى وجوبه على كل واحد منهم ، ولا يسقط الواجب عنهم بفعل واحد منهم إلا أن يدل دليل عليه ، فيكون فرض كفاية الخ .

وقال محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني الشوكاني في كتابه [إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد] ص ٣٨ ج ١ : ومعلوم يقيناً أن كلام الله وكلام رسوله أقرب إلى الأفهام وأدنى إلى إصابة بلوغ المرام ، فإنه أبلغ الكلام بالإجماع وأعذب في الأفواه والأسماع ، وأقربه إلى الفهم والانتفاع ، ولا ينكر هذا إلا جهود الطباع ولا حظ له في النفع والانتفاع ، والأفهام التي فهم بها الصحابة رضوا الله عنهم الكلام الإلهي والخطاب النبوي هي كأفهامنا وأحلامهم كأحلامنا ، إذ لو كانت الأفهام متفاوتة متفاوتة

يسقط معه فهم العبارات الإلهية والأحاديث النبوية لما كنا مكلفين ولا مأمورين
ولا منهيين لا اجتهاداً ولا تقليداً الخ .

وفيه أيضاً ص ٤٦ ج ١ : لا بد المكلف من تفهم معاني ما كلف به من كلام
ربه أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم أو من كلام شيخه وأستاذه ضرورة أنه لا يتم
له التكليف إلا بالفهم وإلا كان معذوراً غير مكلف ولا مخاطب بشيء من الشرعيات ؛
فالفهم الذى يصرفه فى حل عبارات شيوخته وبيان معانيها لو صرفه فى تفهم كلام
ربه وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لوصل إلى المقصود بأسهل طريق ، ولا
شك أن أكثر العلوم التى يشتغل أكثر الناس بها فضول الخ .

وفى روضة الناظر أيضاً ص ١٥٤ ج ٢ : ذهب بعض القدرية إلى أن العامة
يلزمهم النظر فى الدليل فى الفروع أيضاً كما يلزم فى الأصول ، وهو باطل باجماع
الصحابة رضى الله عنهم ، فإنهم كانوا يفتنون العامة ولا يأمرونهم بنيل درجة
الاجتهاد ، وذلك معلوم بالضرورة والتواتر من علماءهم وعوامهم ، وضدهم ما ذهب
إليه الحشوية والتعليمية من أن طريق الحق ومعرفة التقليد ، وهذا هو الواجب ،
وأن النظر والبحث حرام ، وهؤلاء نزلوا أنفسهم منزلة الحيوانات العجم ، وهؤلاء
هم أكثر من يدعى الإسلام اليوم وقبل اليوم . وألحق سؤال الجاهل العالم لقوله
تعالى : (فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) .

وفيه أيضاً ص ٣٢١ : قد أجمع المسلمون على وجوب تعلم علم الدين على كل مسلم ،
وأجمعوا أيضاً على جواز شرح الشرع للعجم بلسانهم لضرورة التعليم والتفهم ؛
وكذلك كان سفراء النبي صلى الله عليه وسلم يبلغونهم أوامره بلغتهم ، لأن المقصود
فهم المعنى وإيصاله إلى الخلق الخ ، وأن التعبد فى الحديث بالمعنى لأنه المقصود
لا باللفظ ، ولهذا قد جوزوا رواية الحديث بالمعنى ؛ بخلاف القرآن فإن التعبد بمعناه
للإبلاغ وبلغته للتلاوة والإعجاز بدليل الحروف المنقطعة فى أوائل السور ، فإنه ليس

لها معنى يُنهم فيمثل ، ونحن متميدون بلفظها والأجر يترتب عليها على كل حرف
هشر حسنات كسائر حروف القرآن الخ .

وفيه أيضا ص ٣٤٨ : إن العوام لا يُعتبر قولهم عند الأكثرين ، والمقلد حكمه
محكم العامى ؛ يعنى أن لفظ العامى يشمل كل من ليس مجتهداً وعالمياً . والحق أن المقلد
والعامى من واد واحد ، فلا عبرة بقولهم ولا بفعلمهم سواء وافق أو خالف ، والمحققون
لا يقيمون لقولهم وزناً لأنهم كالدابة والأنعام ، والعامى إذا قال قولاً فإنما يقوله عن جهل
وتقليد ؛ وليس يدرى ما يقول ، ولهذا قد انعقد الإجماع على أنه يعصى بمخالفة العلماء
ويجزم عليه مخالفتهم ، ولذلك ذم النبي صلى الله عليه وسلم الرؤساء الجهال الذين
أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا الخ .

وفى إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين للمرئضى الزبيدى ص ٤٣٢ ج ١ :
اعلم أنه يجب على كل مسلم معرفة ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً
وفعلًا ، لأن اتباعه إنما يحصل لمن علم ذلك ، والإمام المقلد إنما هو محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم حقاً ، وهو الإمام الأعظم صلى الله عليه وسلم حقاً ، وإنما يقلد
الصحابة رضى الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا هو الذى أمرنا باتباعه لا غيره ، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما :
ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كل
ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم مقبول ، قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير وإسناده
حسن ، وكذا فى قوت القلوب الخ .

قال الإمام على بن أحمد بن حزم الأندلسى فى كتابه [النبذ] ص ٥٤ ج ١ : التقليد
فى الدين لنير المعصوم حرام ، ولا يحل لأحد أن يأخذ بقول أحد بلا برهان لقوله
تعالى : (اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) والعالم
والعامى فى هذا سواء كل على قدر حفظه ونصيبه ، ولم يخص الله تعالى عالماً من عامى
(وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) وإنما نحن نسأل العلماء ليخبرونا بما عندهم من

وأمر الله تعالى الواردة على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لاعن شرع بشرعونه لنا من قبل أنفسهم .

قال : ثم العجب أن يكون الله تعالى فرض للعامي الذي بالأندلس تقليد مالك ، ومن بأيمن ومصر تقليد الشافعي ، ومن بخراسان وماوراء النهر تقليد أبي حنيفة لاغير ، وإذا أسلم رجل من أهل دار الحرب وشهد بلائله إلا الله محمد رسول الله ، فهذا لاشك دخل في دين الإسلام ، فهل الفرض عليه السؤال عما فرض الله تعالى عليه وأمره به وأمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ؟ أو يلزمه أن يسأل عما قال أبو حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد رحمهم الله تعالى ؟ فما يقول فيه هذا المتلد الخ ، وبماذا يجيب ؟

قال العبد الضعيف جامع هذه الكلمات : إني قد ألفتُ في هذه المسألة رسالة حينما ورد على سؤال من مسلمي الشرق الأقصى بلاد اليابان ، وسميتها [هدية السلطان إلى مسلمي بلاد جابان] فجاءت رسالةً بدیعةً ، فمليتك بها إن أردتَ النهجتيق وبالله التوفيق .

وفي [الوحي الحمدي] للسيد محمد رشيد رضا ص ١٢٢ ج ١ : يجب على كل المسلمين تعلم اللغة العربية لغة القرآن ، وهذا مجمع عليه بين المسلمين ، كما قرره الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في رسالته ، وقد جرى عليه العمل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم ، ثم الخلفاء الأمويين والعباسيين إلى أن أكثر الأعاجم ، وقل العلم ، وغلب الجهل ، فصاروا يكتفون من لغة الدين بما فرضه في العبادات من القرآن والأذكار ، وقد جعل الله تعالى لغة الدين والتشريع لغة لجميع المؤمنين ، والمؤمنون باعتماداتهم الإيمانية يكونون مسوقين إلى معرفة لغة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لفهمهما ، والتعبد بهما ، والاتحاد بأخوتهم فيهما ، وهما مناط سعادتهم وسيادتهم في الدنيا والآخرة ؛ ولذا قد كرر في القرآن بيان

كونه كتاباً عربياً ، وحكماً عربياً ، وكرر الأمر بتدبره والتمتعه فيه ، والانتباه والتأدب به .

اعلم أنه ما أفسد المسلمين وما أذلهم إلا جهاهم بكتاب ربهم ، وسنة نبيهم ، وعدم فهمهم معانيهما ومواعظهما ؛ وما أوقمهم في البدع والخرافات إلا هذا الجهل ، ومن الجهل ينشأ التقليد ؛ والبدع تروج في سوق التقليد والجهل ، لاني سوق الدين والعلم الصحيح المأخوذ من الدلائل ، ومن باب الجهل والتقليد دخل أكثر الخرافات على المسلمين ، لانتساب جميع الدجالين من أهل الطرائق وغيرهم إلى أئمة المذاهب المشتهرين ، وهم في دعوى اتباعهم من السكاذيين ، وذُكر في كثير من كتب التفسير والفقه والتصوف وشروح الأحاديث للعلماء المنسوبين إلى الأئمة كثير من البدع والخرافات التي يتبرأ منها أئمة الهدى ، وترى علماء الرسوم الجامدين يحتجون بذكرها في هذه الكتب على شرعيتها ، وعلى رد نصوص الكتاب والسنة الصحيحة بها ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ؛ وكذا في الجلد (١١) من تفسير المنار ص ٢٥٨ .

قلت كما ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره رواية العتيبي ، قصة الأعرابي الجهول في تفسير قوله تعالى : (وَأَوَّأَ أَسْرَمٌ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) ولم يتعقبه ؛ وكان اللازم عليه تعقيقه ، وبيان حال الخبر ، أو عدم ذكره أصلاً كما لا يخفى ، ولكن الجواد قد يكتب ، والصارم قد ينبو ، فتنبه .

قال ابن القيم في أعلام الموقعين ص ١٨٦ ج ٢ : وما قيل بأن الناس لو كلفوا كلهم فهم الخطاب يلزمهم الاجتهاد ، وأن يكونوا علماء ، لضاعت مصالح العباد ، وتعطلت المصانع والتاجر ، وهذا مما لا سبيل إليه شرعاً وقدرأ ؛ فالجواب من وجوه : أحدها : أن من رحمة الله تعالى ورافقه أنه لم يكلفنا بالتقليد ، فلو كلفنا به لضاعت أمورنا ، وفسدت مصالحنا ، لأننا لم نكن ندرى من نقله من العلماء والمفتين وهم عدد لا يحصون ، وقد انتشر الإسلام بحمد الله وفضله ؛ فلو كلفنا بالتقليد لوقعنا

في أعظم العنت والفساد ، ولكلفنا بتحليل الشيء وتحريره ، وإيجاب الشيء وإسقاطه
معاً إن كلفنا بتقليد كل عالم ، وإن كلفنا بتقليد الأعم فالأعم ، فعرفة ما دل عليه
القرآن والسنة من الأحكام أسهل بكثير من معرفة الأعم ، وإن كلفنا بتقليد البعض
كأن جعل ذلك إلى تشبهنا واختيارنا صار دين الله تبعاً لإرادتنا وشهوتنا ، وصار
الدين العربية ، قلت كما هو الواقع الآن ، بل منذ عصور وأزمان ، فلا بد أن يكون
ذلك راجعاً إلى من أمر الله تعالى باتباع قوله ، وتلقى الدين من بين شفتيه ، ألا وهو
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، رسول الله وأمينه على وحيه ، وحجته
على خلقه ، ولم يجعل الله تعالى هذا المنصب لسواه بعده أبداً ، صاوات الله
وسلامه عليه .

الثاني : بالنظر والاستدلال صلاح الأمور لاضياها ، وبإهماله وتقليد من يخطئ
ويصيب إضاعتها وفسادها ، كما أن الواقع شاهد بهذا .

الثالث : أن كل واحد منا أمور بأن يصدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
فيما أخبر به ويطيعه فيما أمر ، وذلك لا يكون إلا بعد معرفة أمره وخبره ، ولم يوجب
إلله تعالى من ذلك على الأمة إلا ما فيه حفظ دينها ودنياها ، وصلاحها في معاشها
ومعادها ، وبإهمال ذلك تضيع مصالحها وتفسد أمورها ؛ فما خراب العالم إلا بالجهل
ولا عمارته إلا بالعلم ، وإذا ظهر العلم في بلد أو محلة قل الشر في أهلها ، وإذا خفي العلم
هناك ظهر الشر والفساد ، ومن لم يعرف هذا فهو ممن لم يجعل الله له نوراً . قال الإمام
أحمد : لولا العلم كان الناس كالبهائم .

والعلم النافع هو الذي جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم دون مقدورات
الأذهان ومسائل الخرص والأغاز ، وذلك بحمد الله تعالى أيسر على النفوس تحصيله
وحفظه وفهمه ، فإنه كتاب الله الذي يسره للذكر ، وكذا سنة رسوله صلى الله عليه
وسلم ، وهي بحمد الله تعالى مضبوطة محفوظة ، وأسهل من كل سهل ، وإعما الذي
هو في غاية الصعوبة والمشقة مقدرات الأذهان ، وترهات اليونان ، وأغلوطات

المسائل والفروع والأصول التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وإنما هي من دسائس الشيطان انتهى .

وفيه أيضاً ص ١٣٨ ج ٢ : إن أقبح التقليد وأشنمه الإعراض عما أنزله الله تعالى وعدم الالتفات إليه ، اكتفاء بتقليد الآباء والمشايخ .

تنبيه — على أي شيء كان الناس قبل أن يولد فلان وفلان وفلان الذين قلدهم وهم وجعلتم أقوالهم بمنزلة نصوص الشارع ، أفكان الناس قبل وجود هؤلاء على هدى أو ضلالة؟ فلا بد من أن تقرروا بأنهم كانوا على هدى ، فيقال لهم فما الذي كانوا عليه غير اتباع القرآن والسنة والآثار ، وتقديم قول الله وقول رسوله ، وآثار الصحابة على ما يخالفها ، والنحاكم إليها دون قول فلان وفلان؟ فإذا كان هذا هو الهدى ، (فَمَاذَا بَمَدَّ الْحَقَّ إِلَّا الضَّلَالُ مَا نَى تَصْرَفُونَ) .

اعلم أن الله تعالى قد ذم من إذا دُعي إلى الله ورسوله أعرض ورضى بالتحاكم إلى غيره ، وهذا شأن أهل التقليد . قال الله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) ، فكل من أعرض عن الداعي له إلى ما أنزل الله على رسوله إلى غيره فله نصيب من هذا الذم فمستكثر ومستقل ؛ فالواجب على كل مسلم طلب الحق ، وبذل الاجتهاد في الوصول إليه بحسب الإمكان ، لأن الله سبحانه أوجب على الخلق تقواه بحسب الاستطاعة ، وتقواه إنما هو فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ، فلا بد أن يعرف العبد ما أمر به ليفعله ، وما نهى عنه ليجتنبه ، وما أبيض له ليامته ، ومعرفة ذلك لا تكون إلا بتوضيح اجتهاد وطلب وتحرر للحق .

وقد ذم الله تعالى من حاكم إلى غير الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته ، فكذا هذا ثابت بعد مماته صلى الله عليه وسلم ، لأن سنته وما جاء به من الهدى ودين الحق لم يمت ، وإن فقد من بين الأمة شخصه الكريم ، فلم يفقد من بيننا سنته ودعوته وهديه بحمد الله ، وقد ضمن الله تعالى حفظ الذكر الذي أنزله على

رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا يزال محفوظاً بحفظ الله ، لتقوم حجة الله على عباده إلى أبد الأبدين .

وفيه أيضاً ص ٢٠٦ ج ٤ : ولا يسمع الحاكم والمعتق إلا الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم البتة ، عند وجود المسألة فيهما ، فإن الله تعالى سائل كل أحد عن رسوله وما جاء به ، لا عن الإمام المعين ومقاله ، وإنما يُسأل الناس في قبورهم ويوم معادهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقال له في قبره ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ ويوم القيامة يناديهم فيقول : (ماذا أجبتم المرسلين) ولا يُسأل أحد قط عن إمام ولا شيخ ولا متبوع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل يُسأل عن اتبعه واثم به غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليَظَر بماذا يجيب ؟ ففي ذلك اليوم يتبرأ التابع من المتبوع ، والمنبوع من التابع .

والعبد الضعيف قد ألفت في هذه المسألة رسالتى :

[البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع]

فعليك بها فإنها مطبوعة في مصر ومنشورة في العالم الإسلامى فتنبه .

خاتمة

قال العبد الضعيف محمد سلطان العصورى رزقه الله تعالى الحسينى وزيادة : وقد فتح الله تعالى لى اليوم فتحاً ، وهو أن الله تعالى حينما أراد تميم الدنيا قال (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً — وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ) الآية (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) .

فهذه الآيات تفيد أولاً وبالذات أن الله تعالى جعل آدم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام خليفته فى الأرض ، ثم أولاده إلى يوم القيامة ؛ فهم يتصرفون فيها ويعمرونها ويعيشون فيها بما منحهم الله تعالى من العقل والفهم والذكاء ، وأودع الله تعالى فيهم من قوة التعلم ، يتعلمون باستعمال تلك القوة جميع العلوم والصنائع ، فبذلك يعرفون ربهم وخالقهم ، وأنه واحد لا شريك له لافى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله فلا يستحق العبادة إلا هو وحده جل جلاله .

فبنو آدم كلهم أولهم وآخرهم لهم أهلية العلم والتعلم ، فإذا استعملوا قواهم فيما خلقوا له نالوا السعادة فى الدارين ، وإذا أهملوا وقصروا فى ذلك خابوا وخسروا ، فكانوا من الهالكين ؛ فحيث إن بنى آدم لهم أهلية العلم والفهم ، وجه الله تعالى إليهم الخطاب وخطابهم أولاً ببيأياها الناس ، ثم ببيأياها المؤمنون ، فأمرهم ونهاهم ، وبشرهم وأنذرهم ، فلمنا منها قطعاً أنه يجب فهم خطاب الله تعالى على كل إنسان ، ولا يخرج منه إلا الصبى والمجنون ؛ فهذا يجب الإيمان بالله وبالرسل على كل بنى آدم ، ثم خصص الله تعالى المؤمنين بخطاب خاصة ، وأوامر مخصوصة (ببيأياها الذين آمنوا) الآيات ، فهل بعد هذه الآيات يُعذر أحد بترك تعلم الخطاب الإلهى ؟ كلا لا يُعذر

أبدأ ، فجزأوه في الدنيا المذلة والحقارة والإساءة ؛ وأما في الآخرة فالمذاب
أشد وأبقى .

فانتبهوا يا أيها الذين ضيعوا أعمارهم في الشهوات وانحرافات ، والفلسفة اليونانية ،
والأشعار الجاهلية ، وديوان ابن الفارض والمتنبي ، أوميرزا عبد القادر « البیدل »
الفارسي كما هو شأن أهل ماوراء النهر ، فإنهم بذلك افتتنوا ، وأوقعوا الناس في الفتن
العصياء كما لا يخفى .

* * *

قال العبد الضعيف جامع هذه الكلمات : هذا آخر ما قصدت جمعه ، وبيان
ما يتعلق بالمبحث ، فأسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وينفع به العباد
في عامة البلاد بفضلله ومنه وإحسانه . وكان ذلك في داري الكائنة في مكة المكرمة
قريبة من المسجد الحرام في زقاق البخارية من حارة السفلة في ١٥ / ٤ / ١٣٦٦ هـ
وآخر دعوانا « سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله
رب العالمين » .

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بحمد الله وحسن توفيقه قد تم طبع كتاب :
(تمييز المحظوظين عن المحرومين)

تأليف الأستاذ

محمد سلطان المعصومي النجدي المكي

القاهرة في } ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٦٩ هـ
} ١٦ فبراير سنة ١٩٥٠ م

مدير المطبعة

ملاحظ المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

محمد أمين عثمان

تصويب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	٣	أواصر	واصر
٥	٢١	المسلمين الأولين	المسلمون الأولون
٥	٢٢	فلا معبود إلا الله	فلا معبود بحق إلا الله
٦	١٥	حظيرة الحيوانية	حفيرة الحيوانية
»	١٦	تلك الحظيرة	تلك الحفيرة
٨	٩	إنكم أنتم بأنفسكم	إنكم بأنفسكم
١١	١٦	لرؤساء المسلمين	على رؤساء المسلمين
١٢	١	التقوى هي	التقوى هو
١٤	٦	رجلا من	رجل من
١٨	٢٠	سنة الله التي قد	سنة الله قد
١٩	٥	فيوسوسون لهم	فيوسوسونهم
٢٢	٦	دين لاسلام	دين الإسلام
٢٣	٢٣	وظلمها لهم	وظلمها عليهم
»	١٦	حينما ترون	حينما يرون
»	»	تساقون إلى	يُساقون إلى
»	١٨	تشبثا	متشبثا
٣٤	١٤	جميع المریدين	جمع المریدين
٣٦	١٠	صاروا من	فصاروا من
٣٩	١٥	نخاص بقوم	نخاص لقوم
٤٣	١٥	ووجه إليك	ووجهه إليك

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٤	١٣	فيا أيها الناس والإنسان	فيا أيها الإنسان
٤٩	٥	بالتطوع	بالتطوع
»	١٩	إنه منهم	إنه معهم
٥٣	٨	وستر	وسر
٥٤	١٩	ولسكن بسده	ولسكن يسده
٥٦	٦	وآلا يفتروا	ولا يفتروا
٥٨	٣٠	المنكر	المستكره
٥٩	١٩	ويتحرزون	ويحترزوا
»	»	الاحتزاز	الاحتزاز
٦٣	٤	والسفة	والسفة
٦٤	٩	ولا يسكن معه	ولا يساكن معه
»	١١	وجزئيا	أوجزئيا
٦٦	٣٠	مباطنية	مباطنته
٦٩	٥	ويخدعهم	وينخدع بهم
٧٠	٢١	البتة	بتة
٧٩	٤	أما تستحون	أما تستحيون
٨٦	١١	استحيتهم	استحقتهم
٨٨	٢٢	انتشر	انتثر
٩٧	١	آثارها	نارها
»	٢٢	عامة العرب	بعض العرب
٩٨	١٤	حافظون	خافضون
١٠٩	١٦	وأما الأقسام	وإنما الأقسام

صفحة	سطر	خطأ	سواب
١١٦	١٤	خافوا من الله	خوفوا من الله
١١٨	١٠	الآية السابعة	الآية الثامنة
١١٩	١٨	يتنقى	يتبع
١٢٣	١٥	ويا أيها	ويا أيها
١٢٧	٧	واشتمد	وأشد
١٢٩	٦	أدنى وأدنى	أدنا وأدنى
١٣١	١٦	لعامة	لهامة
١٣٤	٩	ويخشى	أويخشى
»	١٦	ربك	ربكم
١٣٦	٩	مذاهبها	مذاهبه
»	١٧	الإسلام بل لم يتصف بالزهد والتصوف والتقوى أحسن المسلمين	صوابه : الإسلام والزهد والتصوف والتقوى من المسلمين الجغرافيين
١٤٥	١٣	فوق موضع	موضع
١٤٧	١	دخول الغير	دخول دار الغير
١٤٩	٢١	فيها أيها	فيها أيها
١٥٧	١٦	الناس	الناس
١٥٩	٤	بين العلماء	بين يدي العلماء
١٦١	١٠	مجاوروا	بعض مجاورى
١٧١	١١	النشرات	النشرات
١٧٣	١٦	ويا أيها	ويا أيها
»	٢١	فيها أيها	فيها أيها
١٧٣	٢٠	لعدم بيان	لعدم بُنيان
١٧٥	١٦	من شذبه	من شذبه

تميز المحظوظين عن المحرومين

	صفحة
سبب التأليف .	٣
وجوب فهم معاني القرآن على كل البشر عموما وعلى المسلمين خصوصا .	
تقسيم الناس إلى المحظوظين والمحرومين .	٤
تفسير يأياها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم . معنى الرب والذرية .	٥
الإنسان أهل للتعلم والتلميم والخلافة في الأرض فإذا ضيع صار من المحرومين	٦
معنى الحرية والعدالة والمساواة .	٧
اتخاذ الأنداد والاعتماد على غير الله وحقبة الحرية والتوحيد .	٨
تفسير يأياها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا الآية .	٩
دسائس الشيطان وخطورته وما يجب على ملوك المسلمين .	١١
تفسير يأياها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الآية .	١٠
« إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين الآية .	١٢
« يأياها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم الآية .	١٣
فهم رجل من النصارى معنى القرآن ودخوله في الإسلام وحكايته في ذلك .	١٤
تفسير يأياها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا الآية .	١٥
معنى الإله والعبادة واتخاذ بعض الناس أربابا من دون الله .	
تفسير يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا الآية .	١٧
« يابني آدم لا يرتدكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة الآية .	١٨
« يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا الآية	١٩
حكاية الأطباء .	٢٠
تفسير يابني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي الآية .	
« قل يأياها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض الآية	٢١
إن أبا مسلم الخراساني منع الناس عن تعلم العربية .	٢٢
تفسير يأياها الناس إنما بينكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا الآية .	٢٣
« يأياها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور الآية .	٢٤

- ٢٦ تفسير قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله الآية .
- ٢٧ تفسير قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه الآية .
- ٢٨ « وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الآية . »
« هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحد الآية . »
- ٢٩ « وأزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتذكرون . »
« واتقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا . »
- ٣٠ تفسير واتقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا .
- ٣١ تفسير يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم .
- ٣٢ « يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا من البعث فإننا خلقناكم من تراب الآية . »
« قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين . »
- ٣٣ « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له الآية . »
- ٣٤ تفسير ولتقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئهم بآية ليقولن الذين كفروا الآية .
- ٣٥ تفسير يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده الآية .
« إن الدجالين يمتدنون أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب . »
- ٣٦ تفسير وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون .
« يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء ولأرض الآية . »
- ٣٧ تفسير يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله المرور .
- ٣٨ تفسير يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد .
« ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لسكم عدو مبين . »
« واتقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اللهم يتذكرون . »
« إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فنفسه الآية . »

- ٣٩ تفسير هذا بصائر للناس وهادي ورحمة لقوم يوقنون .
- ٤٠ » ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها الآية .
- ٤٢ » يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شراً وقبلاً لنعرفوا الآية .
- ٤٣ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل إلى : وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتذكرون .
- ٤٤ تفسير يأيتها الإنسان ماغرك ربك الكريم الذي خلقك فسواك .
- ٤٥ » يأيتها الإنسان إنك كدح إلى ربك كدحاً فلاقية .
- ٤٦ » فلينظر الإنسان م خلق خلق من ماء دافق الآيات .
- ٤٧ الحد الفاصل بين الإنسان والحيوان ، كم من متعادل ليس له إيمان .
- ٤٨ فصل في بيان الآيات الموجهة إلى المؤمنين .
- ٤٩ تفسير يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا .
- ٥٠ » يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ،
- ٥١ معنى الصبر وتحقيق ما يتعلق به وسرّ قرنه بالصلاة .
- ٥٢ تفسير يأيتها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله الآية .
- ٥٣ » يأيتها الذين آمنوا كتب عليكم الفصاحص في القتلى الحرب بالحر الآية .
- ٥٤ » يأيتها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم الآية .
- ٥٥ » يأيتها الذين آمنوا انخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان الآية .
- ٥٦ » يأيتها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم الآية .
- ٥٧ » يأيتها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى الآية .
- ٥٨ الإنفاق في سبيل الله أشق الأمور على النفوس . بيان المنّ والأذى .
- ٥٩ تفسير يأيتها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم الآية .
- ٦٠ » يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين .
- ٦١ » يأيتها الذين آمنوا إذا نذابتكم بدن إلى أجل مسمى فاكتبوه الآية .
- ٦٢ قد أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى نظام المدنية العليا لحفظ الحقوق .
- ٦٣ ولكن الأسف أن المسلمين محرومون عن هذه المرتبة الإنسانية والكالات المدنية .
- تفسير يأيتها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم الآية .

- ٦٤ تفسير يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا الآية .
- ٦٥ الاجتماع في الاعتصام بكتاب الله يوجب الاجتماع والوحدة والقوة ومن حاد عنه هلك .
- ٦٦ تفسير يأيتها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا الآية .
- ٦٧ سبب عز الدولة وقوتها الاعتصام بكتاب الله ، وسبب ضعفها وسقوطها الاعتماد على الأجانب .
- ٦٨ تفسير يأيتها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله الآية .
- ٦٨ » يأيتها الذين آمنوا إن تطيعوا الدين كفروا يردوكم على أعقابكم الآية .
- ٦٩ » يأيتها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض الآية .
- ٧٠ تفسير يأيتها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .
- ٧١ » يأيتها الذين آمنوا لايجل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن الآية .
- ٧٢ » يأيتها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة حاضرة عن تراض منكم الآية .
- ٧٣ ومن الأكل بالباطل الغصب والغش والسرقه والخداع والرشوة ونحوها .
- ٧٤ تفسير يأيتها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأتمسكوا بها حتى تعلموا ما تقولون الآية .
- ٧٥ » يأيتها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم الآية .
- ٧٦ من المراد بأولى الأمر المأمور باتباعهم .
- ٧٧ المسائل الدينية لاينبغي أن يكون فيها تفرق واختلاف .
- ٧٨ الأصف على حال المسلمين الذين جمدوا على التقليد على كتب المتأخرين .
- ٧٩ تفسير يأيتها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا .
- ٨٠ بيان فنون الحرب في كل زمان ومكان والقنبلة الذرية المهلكة .
- ٨١ تفسير يأيتها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فمبينوا ولا تقولوا الآية .
- ٨٢ » يأيتها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم الآية .
- ٨٤ » يأيتها الذين آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله الآية .
- ٨٥ » يأيتها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين الآية .

	صفحة
من وإلى من ماورك المسامحين ملوك الكفار ندم آخرا وذل لاحالة .	٨٦
تفسير يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام الآية .	٨٧
» » » » لا تخلوا شمار الله ولا الشهر الحرام الآية .	٨٨
من لم يسر على سنن الله في السكون هلك لاحالة .	٨٩
تفسير يأيها الذين آمنوا إذا قتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية .	٩٠
الصلاة الحقيقية تطهر الروح كما يطهر الماء الصافي الظاهر .	٩٠
تفسير يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالنسط الآية .	٩١
العدل سبب نمو الدولة والسعادة والظلم سبب الخراب والمذلة .	٩٢
تفسير يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم الآية .	٩٣
قصة هذا الفقير في بلاد فرغانة وحفظ الله إياه من القتل .	٩٣
تفسير يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة الآية .	٩٤
بيان الوسيلة الشرعية وأنها أحدثها الدجالون في القرون المتأخرة .	٩٥
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء الآية .	٩٦
أسراء المستعمرين الأجانب بلاء عظيم على أمته .	٩٧
تفسير يأيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله الآية .	٩٩
» » » » لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا الآية .	٩٩
» » » » لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية .	٩٩
من البدع التركية التعبد بترك الطيبات وتعذيب النفس .	١٠٠
تفسير يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام الآية .	١٠١
» » » » ليلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم الآية .	١٠٤
» » » » لا تقتلوا الصيد وأتم حرم ومن قتله منكم الآية .	١٠٥
» » » » لا تسئلوا عن أشياء إن تبدلكن تسؤكن الآية .	١٠٥
لا يجوز التنطع في الدين ولا الزيادة على نصوص الشارع .	١٠٧
تفسير يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم الآية .	١٠٩
» » » » شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت الآية .	١٠٩
» » » » إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار الآية .	١١٠
» » » » أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأتم تسمعون .	١١١

- صفحة
- ١١٢ تفسير يأيتها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحكيكم الآية .
إن الله يحول بين المرء وقلبه وهذا أخوف ما يخافه العبد المتقي .
- ١١٤ تفسير يأيتها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم الآية .
- ١١٥ علامات المنافق وفتنة الأموال والأولاد .
- ١١٦ خيانة الوزراء تسقط الدولة .
- ١١٧ قصة أبي لبابة وحاطب بن أبي بلتمة .
- ١١٨ تفسير يأيتها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقانا ويفكر عنكم الآية .
- ١١٩ « » « » « » إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا الآية .
- ١٢٠ منذ تفرق المسلمون وأحدثوا المذاهب والطرق تلاشوا وتشتتوا .
- ١٢١ تفسير يأيتها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استجبوا الكفر الآية
- ١٢٢ « » « » « » إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الآية .
- ١٢٣ عدم جواز سكنى الكافر في الحرمين وجزيرة العرب .
- ١٢٤ تفسير يأيتها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان الآية .
- ١٢٥ ما يأخذ الفضة من الرشوة وتأخذ سدنة القبور والمشاهد .
- ١٢٦ طريق صدّ الأحبار والرهبان عن الإسلام الصحيح والدين القويم .
- ١٢٨ تفسير يأيتها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله الآية .
- ١٢٩ « » « » « » اتقوا الله وكونوا مع الصادقين .
- ١٣٠ « » « » « » قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا الآية .
- ١٣١ انعكاس حال المسلمين في تواضعهم للكفار وغلظتهم للمؤمنين .
- ١٣٢ تفسير قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية .
- ١٣٣ « » وقل لعبادى يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم الآية .
- ١٣٤ « » يأيتها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم الآية .
- ١٣٦ « » « » « » لا تتبعوا خطوات الشيطان الآية .
- ١٣٧ « » « » « » لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا
على أهلها الآية .
- ١٣٨ تفسير قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم الآية .
- ١٣٩ « » وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن الآية .

- صفحة
- ١٤٠ تفسير يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبايعوا الحلم منكم ثلاث مرات الآية .
- ١٤١ تفسير يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون .
- ١٤٣ « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم
- ١٤٤ « » « » اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا .
- ١٤٥ الذكر نوعان بالقلب واللسان ، وأذكركم صوفية الزمان وروابطهم الخ .
- ١٤٦ تفسير يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن الآية .
- ١٤٧ تفسير يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام الآية .
- « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .
- ١٥٠ بيان الصلوات والأحزاب المتبدعة كدلائل الخيرات وصلوات الثناء الخ .
- تفسير يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية .
- ١٥١ تفسير يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم الآية .
- « قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة الآية .
- ١٥٢ الترعيب إلى الهجرة من دار الشرك إلى دار الإيمان لحفظ الدين والإيمان وحال بعض المهاجرين في مكة .
- ١٥٣ تفسير قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية .
- « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الآية .
- ١٥٤ « يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون .
- ١٥٥ « يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .
- مخالفة المتأخرين لأمر الله وحرمانهم من نصر الله ، وبيان دجل الدجالين .
- ١٥٦ تفسير يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم .
- ١٥٧ « » « » لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله
- سميع عليم .

- ١٥٨ مبقى العبادات على الاتباع وصوم يوم الشك وما ينفرع عليه .
- ١٥٩ تفسير يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول الآية .
- ١٦٠ تفسير يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما الآية .
- ١٦١ « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله اعلمكم رحمون .
- ١٦٣ « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم الآية .
- ١٦٤ تفسير يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا الآية .
- ١٦٦ تفسير يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته الآية .
- ١٦٧ « « « « إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول الآية .
- ١٦٨ تفسير يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم الآية .
- ١٧٠ تفسير يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يديكم صدقة الآية .
- ١٧١ « « « « اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لعد واتقوا الله الآية .
- ١٧٣ « « « « لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق الآية .
- ١٧٣ موالة الكفار والمشركين والقبوريين غير جائزة .
- ١٧٤ الحب في الله والبغض في الله .
- ١٧٤ تفسير يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية .
- ١٧٥ « « « « لاتمتنوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة الآية .
- ١٧٦ « « « « لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا الآية .
- ١٧٧ « « « « هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله الآيات .
- ١٧٩ الخلف قد خالفوا السلف ولم يعملوا بموجب الإيمان فجوزوا بالخذلان .
- ١٨٠ تفسير يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين الآية .

- صفحة
- ١٨١ قد اختلفت هذه الأمة كما اختلفت بنو إسرائيل إلى مذاهب وطرائق شتى .
تفسير يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسهوا إلى ذكر
الله الآية .
- ١٨٢ قصة من لا يحضر الصلاة الجمعة ولكن بمشى إلى زيارة قبر ابن عباس ويستمد
منه الإعانة .
- ١٨٤ تفسير يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله الآية .
- ١٨٥ » » » » إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية .
- ١٨٦ » فاتقوا الله يأولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا الآية .
- ١٨٨ » يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية .
- ١٨٩ » » » » توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم
سيئاتكم الآية .
- ١٩٠ التوبة من حقوق الأدعى بردها إلى أربابها ، وبيان التوبة الصحيحة
المنتجة النافعة .
- ١٩١ سر الخطاب والنداء بيأيها الناس ويأيها الذين آمنوا دون يأيها العلماء
يأيها السادات .
- ١٩٢ الذين لا يفهمون القرآن كأنهم قد مسحوا عن الإنسانية فصاروا من المحرومين .
- ١٩٣ اليهود والنصارى عندهم التوراة والإنجيل حيث لم يعملوا لم ينفعهم ، وكذلك
المسلمون عندهم القرآن ولكنهم حيث لا يعملون به لا ينفعهم بل يكون
حجة عليهم .
- ١٩٤ إن الأمة إذا تركت العمل بكتاب الله المنزل قست قلوبها فصارت ملعونة .
- سبب ذهاب الدولة عن المسلمين اغترارهم بمجرد تلاوة القرآن عن غير فهم
وتفهم والعمل بمقتضاه .
- ١٩٥ بيان الأحاديث الواردة في لزوم فهم معنى القرآن والعمل به .
- ١٩٨ العلم قبل القول والعمل والعلم بالتعلم لا بالكشف والإلهام أو الخيال والمنام .
- ٢٠١ إن الناس حيث جهلوا معنى القرآن تراهم قد خالفوه اعتقادا وعملا فصار
القرآن حجة عليهم .
- معنى الفقه وعن الفقيه وبيان الذين أشركوا بالله بالقياس .

- ٢٠٣ قطع عمر رضى الله عنه شجرة الرضوان التي بالحديبية .
فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد .
- ٢٠٤ أقوال الصحابة والتابعين رضى الله عنهم في لزوم فهم معانى القرآن والسنة .
- ٢٠٧ أقوال علماء السلف والأئمة الأربعة في لزوم فهم معانى القرآن والسنة .
- ٢٠٨ اللفظ العام يجب اعتقده عمومه فالعبارة العموم اللفظ لا خصوص السبب .
- ٢٠٩ لا بد للكلف من تتبع معانى ما كلف به من كلام ربه أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم .
- قد أجمع المسلمون على وجوب تعلم علم الدين على كل مسلم .
- ٢١٠ التقليد في الدين لغير المعصوم حرام .
- ٢١١ هل أوجب الله لأهل المغرب تقليد مالك ولأهل ما وراء النهر تقليد أبي حنيفة الخ .
- ٢١٢ ما أسند المسلمون وما أذهم إلا جهلهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ٢١٣ العلم النافع إنما هو الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم دون مقذورات الأذهان .
- ٢١٤ ذم النجاة إلى غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته إلى سنته .
- ٢١٦ جعل الله تعالى آدم عليه السلام وأولاده خليفة في الأرض وحكمة ذلك .

هَذَا يَمَّا لِسُلْطَانِ

الـ

مَسَلِي بِبِلَادِ جَابَانَ

يبين :

الإسلام وحقائقه وآراء أهل العلم وأفهامهم
في اتخاذ كيفية المذاهب على أصحابها رضوان الله

يطلب من : المؤلف بأم القرى